



قصائد من الشعر العربي في العراق



قصائد من الشعر العربي في العراق

إعداد: ماجد الحكواتي

إعداد
ماجد الحكواتي



2004

قصائد من
الشعر العربي في العراق

إعداد
ماجد الحكواتي

الصف والإخراج والتنفيذ

محمد العلي

أحمد متولي أحمد جاسم

بثينة الدوماني

قسم الكمبيوتر في الأمانة العامة للمؤسسة

(ح) مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ٢٠٠٤

فهرسة مكتبة الكويت الوطنية أثناء النشر

قصائد من الشعر العربي في العراق / إعداد وتقديم ماجد الحكواتي : تصدير عبدالعزيز سعود البابطين . - ط ١ - الكويت : مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، ٢٠٠٤ .

ص: ١٧ × ٢٤ سم.

ردمك: ٠ - ٠٤ - ٧٢ - ٩٩٩٠٦

١ . الشعر العربي - العصر الحديث - العراق - مختارات.

أ . الحكواتي ، ماجد (معد) ب . البابطين ، عبدالعزيز سعود (مصدر)

ديوي ٨١١,٩٥٦٧٠٠٨

ردمك: 0 - 04 - 72 - 99906 ISBN :

حقوق الطبع محفوظة للمؤسسة

هاتف: 2430514 فاكس: 2455039 (00965)

E-mail < Kuwait@alabtainpoeticprize.org >

2 0 0 4

لوحة الغلاف للفنان التونسي محمد الزواري

تصدير

كما يُعرّف العراق بأنه بلد النخيل، يمكن أن يعرف أيضاً بأنه بلد الشعراء، فبين هذين الآسرين: النخيل والشعر نسب وقربى، فالنخل كبرياء الطبيعة، والشعر هو كبرياء الإنسان وكلاهما يسمو فوق اللحظة العابرة، والهامش المختزل، وكلاهما يغرس جذوره عميقاً في سويداء الأرض، ولكنه يشرّب نحو السماء، السماء السابعة، هكذا أصبح النخل والشعر التعبيران الأبرز عن العراق، طبيعته وطبعه.

وكما أحسّ الإنسان الأول في العراق بوحام الأرض إلى النخل فغرس أول نخلة لتكون القصيدة الصامتة، أحسّ الإنسان الأول بعطش روحه إلى الخلود فصاغ أول مقطوعة شعرية لتكون القصيدة الناطقة، وتعانقت القصيدتان كما تعانق الفرات ودجلة لتكتبيا اسم العراق وتاريخه عبر الزمن وخارجه.

متى عرف العراق الشعر؟ هل يستطيع أحد الإجابة؟ لعل العراق عرف الشعر حين عرف اسمه، ومن يومها تلازمت الكلمتان: العراق والشعر، وغدت صيغة الاقتران «عراق الشعر» وأحياناً «شعر العراق».

وإذا غصنا في الزمن العراقي إلى فجر التاريخ حيث الحضارة الأولى في جنوب العراق، ستلمع في الذاكرة «ملحمة جلجامش» بكَر الملاحم الإنسانية، ولم تكن هذه الملحمة إلا الاستثناء من القاعدة حيث استتقدت من مطاوي الزمن بينما ما تزال كنوز من الشعر العراقي عالقة في رحم الأرض تنتظر الولادة الثانية.

وعندما تعرّب وجه العراق واستوطن فيه الفاتحون نقلوا معهم حميتهم الشعرية فأصبحت بلاد السواد مركز الشاعرية العربية، تفيض بالشعر كما تفيض بالغلال.

وسلّمت عكاظ راية الشعر إلى المربد، وأسلمت الصحراء العربية أسرارها وبذورها إلى المدن الوليدة (الكوفة - البصرة - واسط - بغداد) فغدت معاقل الشعر

وحصونه الجديدة، وفي قصور الخلفاء والأمراء، وعلى شواطئ دجلة والفرات، وفي مدارس البصرة والكوفة، وفي دكاكين الوراقين، اشتعلت نار الشعر لتضيء مفاصل الحياة العربية وهي تتحول من الشظف إلى الترف، ومن الوبر إلى الحجر، ومن الخيام إلى القصور.

وأصبح العراق، منجماً للشعر لا تُحصى طبقاته وتجلياته، ومهوى أفئدة الشعراء على مد الأرض العربية، وعلى مر الزمن العربي تفجّر في العراق رافد ثالث بالتواصل مع رافديه هو رافد الشعر، رافد لم تحبسه أرض العراق بل انطلق في متسع الفضاء العربي ليمنح المجذوبين بالشعر ما يزيد من ظمئهم.

واليوم ونحن نطمح إلى نقلة جديدة لسيدّ الفنون، نتجه إلى الشعر العربي المعاصر في العراق الذي شهد - كما عهدناه دائماً - نشوة الانقلابات، لعلنا نقبس منه جذوة تعيد إلى عمود الشعر صلابته وقدرته على الإنجاب، وإذا كنا قد قطعنا من حقل الشعر العراقي هذه الباقة من أزاهيره، فكلنا أمل أن تكون هذه الباقة مرآة ينظر فيها العرب تاريخهم المعاصر بكل التوائه واندفاعه، ويستكشفون من خلالها ولادة مستقبلهم بكل ألقه وعذاباته.

يهمني في نهاية هذا التصدير أن أشكر الأخ الأمين العام ومعاونيه على جهودهم لإنجاز هذا الكتاب، وأخص بالشكر الباحث الجاد ماجد عبدالسلام الحكواتي.

والحمد لله،،،

عبدالعزیز سعود البابطين

الكويت في ٩ / ١١ / ١٤٢٤ هـ

الموافق ١ / ١ / ٢٠٠٤ م .

مقدمة

تكتسب المجموعات الشعرية شرعيتها من كونها محاولة لإلقاء نظرة من بعد إلى الخريطة الشعرية لبلد ما أو لثقافة ما ، فإذا كان الإمام بهذه الحركة غير متاح إلا للمتخصصين ، فإن غير المتخصص بحاجة إلى هذه المجموعات التي تُرضي تطلعه دون أن تثقل عليه ، وهذه المجموعات تحاول ضمن الحجم المقرر لها - وهو حجم محدود - أن تتسع لمواصفات حركة غير محدودة ، ومن هنا ينبع الحرج الأهم الذي يواجه مثل هذا العمل ، فليس الأمر مجرد جمع عشوائي لعينات من الشعر تشمل طائفة من الشعراء وإلا لكان الأمر سهلاً وخائباً ، فكما أن استطلاع الرأي يحتاج إلى موازين دقيقة في اختيار عينة البحث حتى تكون هذه العينة أصدق تمثيلاً للمجتمع ، كذلك يحتاج القائم على المجموعة إلى بصيرة نافذة لكي يكون شعراء المجموعة شهود عدل على المشهد الشعري ، ولكي تكون القصائد الواردة في المجموعة شهود صدق على إنجاز الشاعر ، وهذه مهمة تقترب في صعوبتها من حد الاستحالة ، ومع ذلك فهذه المغامرة مشروعة وتستحق بذل الجهد ، لأنها تلبي نزوعاً عارماً لدى بعض الناس لتذوق جماليات الشعر بين حين وآخر ، وتهدف إلى توسيع هذا الهامش من المتذوقين لكي يصبح للشعر حضور أساسي لدى قطاع متسع من الناس .

وقد وضعت مؤسستنا منذ إنشائها ضمن فعاليتها إصدار عدد من المجموعات الشعرية ، وقد افتتحت هذا المشروع بإعادة نشر مختارات الشاعر محمود سامي

البارودي ، بمناسبة دورة البارودي التي عقدت عام ١٩٩٢ ، وفي دورة أحمد مشاري العدواني عام ١٩٩٦ ، أصدرت المؤسسة «مختارات من الشعر الحديث في الخليج والجزيرة العربية» ، وبمناسبة اختيار الكويت عاصمة للثقافة العربية عام ٢٠٠١ أصدرت المؤسسة «مختارات من الشعر العربي في القرن العشرين» في خمسة أجزاء ، وهي أقرب لموسوعة شعرية تتألف فيها - لأول مرة - أزهار الشعراء في الوطن العربي على امتداد أقاليمه كافة .

وفي هذه المجموعة نتجه إلى العراق وهو اتجاه مقصود ، فالعراق هذا البلد العريق مثّل طوال تاريخه منبعاً متدفقاً للشعر العربي ، ولا يمكن لأي عاشق للشعر أن يدير ظهره للعراق ، ولذا ظلت المؤسسة على تراسل دائم مع الشعر العراقي منذ قيامها ، على الرغم من انغلاق الأفق السياسي بين الجارين الشقيقين الكويت والعراق .

وخلال هذه السنوات الرمادية منحت المؤسسة جوائزها لثلاثة من شعراء ونقاد العراق ، واحتضنت صفحات «معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين» مئتين من شعراء العراق ، وأصدرت قسماً خاصاً بالشعر العراقي المعاصر في سلسلة «مختارات من الشعر العربي في القرن العشرين» احتوت قصائد لـ (٦٩) شاعراً .

واعتمد هذا السلوك المتنور على دعامة أساسية حكمت مسار المؤسسة وهي أن البعد الثقافي لا السياسي هو مركز المؤسسة إيماناً منها أن الثقافة هي الحقيقة الثابتة لهذه الأمة ، الحقيقة الغائرة في وجدان الجماهير والمتغلغلة في ثنايا التاريخ ، وهي اللحمة التي تشدّ أجزاء الوطن العربي بعضها إلى بعض غير مستجيبة للتشققات التي تحدثها السياسة وتقلباتها على سطح هذا الوطن .

وهذا التوجه الرشيد هو الذي أبقى المؤسسة حرماً آمناً يجد فيه المثقفون العرب على تعدد توجهاتهم متعة الألفة ولذة التواصل في زمن الفرقة والشتات . وعندما فكرت المؤسسة بإصدار هذه المجموعة الشعرية رغبت في أن تتحرر من النظرة الفردية الضيقة في اختيار الشعراء الذي يمثلون المشهد الشعري في العراق فعهدت إلى مئة من شعراء ونقاد الوطن العربي المرموقين - نصفهم من العراق - أن يختاروا من شعراء العراق المعاصرين أربعين شاعراً ، ورتبت هذه الأسماء المختارة حسب تسلسل الأصوات ، وأخذت المؤسسة من هذه القائمة الخمسة والعشرين شاعراً الأوائل ، ولم تتدخل المؤسسة أدنى تدخل في هذا الأمر ، ولم يكن بد من الارتهان في اختيار ثلاثة قصائد لكل شاعر للذوق الشخصي ، وهو ذوق خاضع - بلا ريب - لالهوى ، ولكن للتكوين الثقافي والحساسية الجمالية للقائم بهذا العمل .

وقد حرصنا كل الحرص أن تكون القصائد المنتقاة ممثلة للشاعر في مراحل تطوره ، وفي اهتماماته المتنوعة ، وأن تخلو مما يمسّ ثوابت الأمة .

وإذ نهدي هذه الإضمامة من الشعر العراقي إلى هواة الشعر ومحترفيه ، نأمل أن يجدوا فيها ما يرضي نزوعهم نحو التماسّ مع رافد من أغزر روافد الشعر العربي وأشدّها عنفواناً ، ولن يفاجأوا وهم يرون صورة العراق في مرآة هذا الشعر بكل جروحه وطموحه ، أنهم سيرون فيه أيضاً صورة الوطن العربي الكبير بكل همومه واهتماماته ، وبكل آماله وآلامه ، فالعراق ركن أصيل من صرح هذه الأمة ، ولن تزيده الجراح إلا مزيداً من التوهج والعطاء .

ماجد الحكواتي

— |

| —

— |

— |

— ^ —

محمد سعيد الحبوبي

ليس للطرس أن ينال ربيعا

في تقرير «الرحلة المكية» التي نظمها الشيخ

محمد حسين كبه

ليس للطرس أن ينال ربيعا
قبل أن يئسُق البيانَ البديعا
أو زهر الربى كزهر معانٍ
وشعّ الدهر حسنّها توشيعا؟
يمرع الروع ثم يذوي، وهذي
لم تزل، في الطروس، روضاً مريعا
كان سرُّ البيانِ قبلي مصوناً
فتولّيت هتكه فأذيعا
أيها المطلع المعاني شموساً
ماحيات من الظلام الهزيعا
ما الدراري من بحر فضلك إلا
دُرر زانت السّما ترصيعا
أنت من نظم الدراري قوافٍ
رخص (المشتري) لديها مبيعا

- محمد سعيد بن محمود الحبوبي.

- ولد في مدينة النجف عام ١٨٤٩م، وتوفي في الناصرية في منتصف حزيران ١٩١٥م.

- درس علوم الدين واللغة والأدب على علماء النجف.

- نظم الشعر في مطلع شبابه، وحضر منتدياته،

- انصرف عن الشعر إلى الفقه في سن الأربعين، وانقطع للتدريس، وقاد المجاهدين ضد الإنجليز في معركة

جعلتُ بيتَ حاسديكَ كبيتِ
للعرُوضيِّ سامه تقطيعا
نخله المسك عبقّتْ بأريجِ
ضاع بالمسك نشرها كي يضيعا
سجعتُ ورُقها بأحلى نشيدِ
علّم ابن الأراكه التسجيعا
لو رأته غيرَه يفوه برجزِ
لأرثه التوبيخ والتقريرِ
والأديبُ المدعو (صريع الغواني)
لو رآها لغادرته صريعا
و(بديع الزمان) لو قد رآها
قال: بدعاً إني أُسمي (البديعا)
راق إملأوها بغير عناءِ
فحسبنا إملأها ترجيعا
ظلّ (يشتارها) مُحبُّك شهداً
إن سقتُ حاسديكَ سمّاً نقيعا
فهي تسقي من سلسبيلٍ ولكنْ
كوثراً تارةً، وأخرى ضريعا
جمعتُ باقتران شطرٍ بشطرٍ
كَلِمًا طيِّباً، ومعنى بديعا
فهي عُونُ الألفاظِ بِحُرِّ المعاني
حَسُنَتْ صنعةً، وراقت صنيعا
قد تعجّبتُ، والعجيبُ يَراعُ
أشبع الطرسَ ريقه فأجيعا

مُفْحِمٌ بِالْمَقَالِ، وَهُوَ فَطِيمٌ،
 وَيَقُولُ الْقَوْلَ الْفَصِيحَ رَضِيْعَا
 يَنْتَشِي بِالْمَدَامِ حَتَّى إِذَا مَا
 جَفَّ مِنْهُ اللِّسَانُ خَرَّ صَرِيْعَا
 هُوَ صِلٌ - وَالصِّلُ يُلْسَعُ - لَكِنْ
 رَاقٍ عِنْدَ الرَّقِيِّ، وَرَاقٌ لَسِيْعَا
 أَرْضَعْنَاهُ دَرَّ الْمَحَابِرِ كَفُّ
 سَقَتِ السَّمُّ مَنْ عِدَاهُ نَقِيْعَا
 مُعْجِزٌ مِنْ (مُحَمَّدِ الْحَسَنِ) النَّدُّ
 بِ، حِمَى الرِّكْبِ، مِنْ حِمَى الرِّكْبِ رِيْعَا
 مِنْ حَبَاهِ الْإِلَهِ مُعْجِزٌ فَصِلُ
 مِنْ خَطَابٍ، فَلَوْ تَنْبَأَ أَطِيْعَا
 شَرَعَ الْفَضْلَ لِلْوَرَى فَاقْتَفَوْهُ،
 وَرَأَوْا فَضْلَ غَيْرِهِ تَشْرِيْعَا
 مَا أَجَالَ الْيِرَاعَ فِي الطَّرْسِ إِلَّا
 خَلَّتْ ذَا نَاطِقًا، وَهَذَا سَمِيْعَا
 يَتَلَقَّى السَّرَّ الْمَصُونِ بِصَدْرِ
 لَا يَخَافُ الْإِهْمَالَ وَالتَّصْنِيْعَا



يَا أَخَا كُلِّ سُؤْدِدٍ وَفَخَارٍ
 مَنْ يَرْمُ مَا تَرُومُ لَنْ يَسْتَطِيْعَا
 قَدْ رَوَّأَ عَنْ عِلَاكَ أَصْلًا جَمِيْلًا
 وَعَلَى الْأَصْلِ قَرَّعُوا تَفْرِيْعَا
 سَرَّتِ الْعَيْسُ مِنْ نَدَاكَ بِأَيْدٍ
 نَزَعَتْ دَانِيَا، وَأَدْنَتْ نَزِيْعَا

كم فَرْتُ بالسُّرى نَحورَ الفيافي
بيدِ تخضبِ الصَّعيدِ نَجيعا
جاورتِ أرضَ (مَكَّة) ورباهَا
والمصلَّى ويثرباً والبقيعا
أرْبُعُ زرتَهَا بجِدواك لَكُنْ
زرتَهَا أرْبُعاً فعادت ربيعَا
ما رفعتِ القِبَابَ عَنْهُنَّ حتَّى
سمكتُ من عَلاك بيتاً ربيعَا
ثم ودَّعتُ ، ما تُودِّعُ مِنْهَا ،
لَكَ ذِكْراً لا يَعْرِفُ التَّوْدِيعَا
(١٨٧٥)

من: «ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي»

أَبْنِ لِي نَجْوَى لَوْ تَطِيقُ بَيَانَا

«في رثاء السيد حيدر الحلّي»

أَبْنِ لِي نَجْوَى لَوْ تَطِيقُ بَيَانَا
أَلَسْتَ (لَعْدْنَانِ) فَمَا وَلَسَانَا؟
وَأَبْلُغْ خَطَاباً، فَالْبَلَاغَةُ سَلَّمْتُ
لَكَفَّيْكَ مِنْهَا مِقْدُوداً وَعَيْنَانَا
وَجُلُ يَا جَوَادَ السَّبْقِ فِي حَلَبَاتِهَا
(فَهَاشِمُ) سَامَتْ لِلْسَبَاقِ رَهَانَا
أَغِيثَ الْأَيْدِي قَدْ تَقَشَّعَ غَيْثُهَا،
وَحَيْنَ الْمُعَادِي كَيْفَ حَيْنُكَ حَانَا؟
صُرِعْتَ وَمَا خِلْتُ الرَّدَى يَصْرَعُ الرَّدَى
- لَعَمْرِي - وَمَا يُفْنِي الزَّمَانُ زَمَانَا
فِيَا صَارِماً لَا قَى مِنَ الْمَوْتِ صَارِماً
بَلَى، وَسِنَاناً ذَاقَ مِنْهُ سِنَانَا
رِمَاكَ الرَّدَى فِينَا بِمَاضِي سَهَامِهِ
فَأَصْمَى لِأَحْشَاءِ الْكَمَالِ جَنَانَا
لَقَدْ حَسَرْتُ فِيهِ مَقَاتِلُ (غَالِبِ)
وَكَمْ أَفْرَغَتْهُ نَثْرَةً لَتُصَانَا
أَجْوَهْرَةَ الدُّنْيَا الَّتِي قَدْ تَزَيَّنَتْ
بِهِ، وَاكْتَسَتْ مِنْ بَشَرِهِ اللَّمَعَانَا
حُمِلَتْ عَلَى الْجَيِّدِ الَّذِي زَنَتْهُ ثَنَاءً
لِتَجْمَعَ فِيهِ جَوْهَرًا، وَجُؤْمَانَا

حَجِيَّ حَمَلْتُ مِنْكَ الرِّقَابُ وَسُودِدَا
يُعَدَّانِ، فِي الشُّمِّ الرَّعَّانِ، رِعَانَا
بِنَعَشِكَ (رَضْوَى) أَمْ بِنَعَشِكَ (يَذْبُلُ)؟
وَمَا شَانُ ذَيْنِ؟ عَزُّ شَانِكَ شَانَا
كَأَنَّ رَوَاسِي الهُضْبِ أَجْنَحَةُ الْقَطَا
عَلَيْكَ لَمَّا أَلْزَمْتَهَا الْخَفَقَانَا
كَأَنَّ مَجَارِي الدَّمْعِ أَوْدِيَةُ الْحَيَا
تُدِيمُ عَلَيْكَ الْوَكْفَ وَالْهَمْلَانَا



تَوَلَّى زَمَانُ الْوَصْلِ لَمْ نَشْعُرْ بِهِ
أَجْدَكَ جَدُّدٌ لِلْوَصَالِ زَمَانَا
وَمَا خَلْتُ أَنَّ الْفَضْلَ آخِرُ عَهْدِهِ
صَبِيحَةَ عَاتَبْنَا بِكَ الْحَدَثَانَا
أَرَى لِمَثَارِ الْحَزَنِ زَفِيرَةً لَاعِجٍ
لَوْ اعْتَرَضَتْ أَقْسَى الْأَخَاشِبِ لَانَا
فَإِنْ مَسَحَتْ كَفِّي دَمُوعِي عَذَلْتُهَا
وَقُلْتُ لِمَحْزُونٍ: خُضِبْتَ بَنَانَا
فِيَا صَعْدَةً قَدْ أَقْصَدْتُ فَتَقْصِدْتُ
بِمَنْ، بَعْدَكَ، الْعَلِيَا تَوْمَ طِعَانَا
لَقَدْ أَكْبَرُوا فِيكَ النِّعَى فَكَبَّرُوا
كَمَا سَمِعَ الرِّكْبُ الْهُجُودَ أَذَانَا
أَمَسْتَنْهَضَ الْحَيَّ الْحِلَالَ لَغَارَةٍ
ثَوِيَّتَ، وَلَمْ تَرْضَ الثَّوَاءَ زَمَانَا
فَكَمْ لَكَ - إِذْ تَدْعُو (ابْنَ أَحْمَدَ)^(١) - نُذْبَةً
تُزَلْزِلُ (رَضْوَى) أَوْ تُزِيلُ (أَبَانَا)

(١) المقصود الإمام الحسين، وما اشتهر من قصائد المراثي في الحسين.

أُطِلْتُ وَلَمْ تَمْلُ بُكَاءَ عَلَيْهِمْ
فَطال، وَلَمْ نَمْلُ عَلَيْكَ بُكَاءَنَا
تَمَنَّيْتُ أَنْ تَبْقَى فَتُذْرَكَ ثَارَهُمْ
مُنَانًا، وَلِسْنَا بِالْغَيْنِ مُنَانًا
لَقَدْ سَرَتْ عَنَّا وَالْغُيُوبُ فَخَلَطَتْ
خَوَاطِرَ وَهْمٍ أَنْفُسُ تَتَفَانِي
فَكَمْ خَلْتُ أَمْرًا كَائِنًا ثُمَّ لَمْ يَكُنْ
وَكَمْ خَلْتُ أَمْرًا لَا يَكُونُ فَكَانَا
يَذْكُرُنِي (النَّسْرَانِ) كَقَيْكَ: (طَائِرًا)
عَلَا فِي السَّمَاءِ، أَوْ (وَأَقْعَا) يَتَدَانِي
يَمِينُكَ قَدْ سَلَّتْ حَسَامَكَ مُصَلَّتًا
وَيُسْرَاكَ فِيهَا قَدْ قَبِضْتَ عِنَانَا
وَكَمْ كُنْتَ فِي الدُّنْيَا مُقَارِنَ سَعْدِهَا
عَقِيدَيْنِ، لَكِنْ قَدْ وَفَيْتَ وَخَانَا
أَمَنْتُ عَلَيْكَ الْحَتْفَ أَنْكَ حَتْفُهُ
وَهَلْ تَرَكْتَ كَفَّ الْمُنُونِ أَمَانَا؟
بَلَى نَحْنُ فِي طَيْفِ الْكُرَى وَتَخَالِنَا
مَنْ السُّكْرِ يَقْظَى لَا بِطَيْفِ كِرَانَا
بِمَعْشُوقَةٍ لَمْ تَرَعْ ذِمَّةَ عَاشِقٍ
وَشَنَّانَةٍ لَمْ تُؤْلِهَا الشُّنَّانَا
نَرَى وَصَلَهَا - وَهُوَ الْمَحَالُ - فَرِيضَةً
كَمَا أُوجِبَتْ هِجْرَانُنَا وَجَفَانَا
أَجِدُكَ عَلَّمَنِي لَوْصَلَكَ حِيلَةٌ
فَأَنْتَ الَّذِي عَلَّمْتَنِي الْهَيْمَانَا
وَهَبْ أَنْ سَمِعِي قَانِعٌ بِحَدِيثِكُمْ
الْلَّعِينِ مَعْنَى أَوْ تَرَكَ عِيَانَا؟

و(ما) أَسِفًا ما إِنْ مَضَى الدَّهْرُ كُلُّهُ
هَبَاءً إِذَا أَبْصَرْتُ وَجْهَكَ أَنَا
إِلَى النَّزْوَانِ الْعِيسُ تَلْوِي أَعْنَتُهُ
وهِيَهَاتَ لَيْسَتْ تَمْلِكُ النَّزْوَانَا
ولَيْسَتْ تَشِيمُ الْبَرْقَ مِنْ أَبْرَقِ الْحَمَى
بلى قَدْ تَشَمَّ الشَّيْخَ وَالْعَلَجَانَا
ولَيْسَتْ تَنَالُ الرِّيَّ عَبَّاءَ، وَعَلَّهَا
- إِذَا ظَمِئْتُ - أَنْ تَبْلُغَ الرَّشْفَانَا
فِيَا أَخَوَيَّ الْمَدْلَجِينَ كَلِيهِمَا
إِذَا جُزْتَمَا (الْجُرْعَاءَ) فَانْتَظِرَانَا
وَيَا صَاحِبِي لَا تَلْوِ عَنْهَا مُعَرِّقًا
هَلُمَّ لِنَنْعَى مَنْ نُحِبُّ كَلَانَا
وَلَا تَدْعُ لِلنَّهْجِ الَّذِي أَنْتَ نَاهِجٌ
سَوَى مَنْ يَرَى نَارَ الْحَبِيبِ عِيَانَا
وَقُمْ نَجْتَلِ النَّارَ الَّتِي قَالَ خَاطِبٌ
مَنْ النَّاسُ: حَسْبِي أَنْ رَأَيْتُ دَخَانَا
وَأِنْ لَمَعَتْ فَاقْصِدْ لِمَشْرِقِ ضَوْئِهَا
وَأُمَّ شَرُوقَ الضَّوْءِ لَا اللَّمْعَانَا
وَلَا يَخْتَلِسُكَ الْوَهْمُ دُونَ مَكَانِهَا
فَتَنْمُ، وَإِلَّا لَا تَحُلْ مَكَانَنَا



فَمَنْ لِّلْقَوَافِي الْغُرِّ بَعْدَكَ (حِيدِرُ)
يُسَاجِلُ فِيهَا دَائِنًا وَمُدَانَا؟
فَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ أَلْبَسَتْ تَاجَ مَفْرِقٍ
وَكَمْ مِنْ لُئِيمٍ أَلْبَسَتْهُ عِرَانَا

وكم دُرِّ أَهْدِيَتْهَا (لحمّدي)^(١)
 فكنت كمن حلّى الجُمانَ جُمانا
 فتى ساكتٌ - إلا عليه - فمُ الثُّنا
 ولا مُسَلِّسٌ - إلا إليه - عِنانا
 هو ابنُ أبي شيخ الأباطح «طالب»
 فقرّ مَكِيناً في العُلى ومكانا
 يُعدّ صواباً كلُّ مدح يزوره
 وإن جازه أعددتَه الهذيانا
 نحتُ بيتَه العُلىا فقرّ قرارها
 ولولاه فرّت تآلف الجَولانا
 أناخت بمَغْنَاه مُناخ إقامة
 حميداً ، وألقت كَلْكَلاً وجِرانا
 وهل غاربُ الوجناء يُمسك كورها
 إذا أنت لم تشددْ عليه بِطانا؟
 ولن يملك العَلياء إلا مُوقِّقُ
 أُعينَ على علّاتها وأعانا
 قد اطّرحَ الناسُ العُلى وطلابها
 سواه فأضحى دائناً ومُدانا
 تُناخ عِجافاً عنده عيسُ وفده
 فيقريهم أضعافهن سِمانا
 بما تسع البِيدُ القفارَ موائداً
 من الجُرْز استصغرتَهن جِفانا
 لئن كان عن ريح الصَّبَا خفّ طبعه
 لما أدركتُ (رضوى) حِجَاه وزانا
 رأى الغيبَ حقّاً رأيَ غيرِ مشاهدٍ
 فأعربَ عن مكنونه، وأباننا

(١) المقصود السيد محمد القزويني أحد أعيان النجف.

رأى بذله، أنْ جاءه مُسْتَحْفُهُ،
وأبصرَ مَنْ عنه يُصان فِصَانَا
وَحَسَبُ «حَسِين»^(١) أنه من «مَحْمَدٍ»
كما هو منه خِبرَةٌ، وَعِيَانَا
رضيَعِي لِبَانِ ثَدِيٍّ أُمَّ تَحَالِفَا
ألا طابَ ذِيكَ اللَّبَانُ لِبَانَا
تَوَرَّكْتُمَا يَا سَيِّدِي كَلَاكَمَا
شِوَارِفَ مَجْدٍ لَمْ يَزَلْنَ هِجَانَا
تَوَرَّكْتُمَاهَا وَاجِدِيهَا نَوَاعِمَا
إِذَا مَا رَأَاهَا النَّاكِصُونَ خِشَانَا
وَأَحْبَبْتُ مَا حَبَّ الْمَدِيحَ فَسُدْتُمَا
وَلَمْ تَهْجِرَاهُ غَفْلَةً، وَهَوَانَا
فَلَوْ دَانَ مَلِكٌ لِلثَّنَاءِ لَدَنْتَمَا
بَلَى، لَكَمَا زَانَ الثَّنَاءُ وَدَانَا
وَبِالْأَنْجَبَيْنِ الطَّيِّبَيْنِ تَعَزَّيَا
أَجَلْ، بِهِمَا عِظْمُ الرِّزْيَةِ هَانَا
عَنِيتُ (حَسِيناً)^(٢) وَالْأَغْرَ (ابْنَ عَمَّةٍ)
جَوَادِي رِهَانٍ، حَائِزِينَ رِهَانَا
فَمَا جَفَّ ذَاكَ السَّيْلُ بَلْ عَادَ مَاؤُهُ
غَدِيرَيْنِ مِنْ سَلْسَالِهِ سَقِيَانَا
كَقُرْطَيْنِ حُلِّيٍّ عَاطِلُ الْمَجْدِ فِيهِمَا
فَزِينَا بِدُرِّيِّ النِّظَامِ، وَزَانَا

(١) هو شقيق السيد محمد القزويني.

(٢) هو ابن المرثي.

هالالين في بُرجِ العُلى قد تَطَلَّعا
فوافاهما برجُ الكمالِ قِرانا



سقى مستهلَّ العفو تربةً (حيدر)
وإن حلَّ منها روضةً وجنانا
ودونكمها وردةً في أوانها
فإنَّ لأثمار القريضِ أوانا
وحسناءٌ قد وافتِ أمامَ كواكبِ
تَطَلَّعنَ في وشي الجمالِ حِسانا
مُهدِّبةً ألفاظُها، عربيَّةُ
مُذهِّبةً أبياتُها، تتداني
عراقيَّةُ، بِكُرِّ المعاني تخالها
- لَهْلَهْلَةٌ في لفظهنَّ - عَوانا
شُرودُ القوافي، لم تُطعْ كَفَّ لاسِ
فما برحتْ خلفَ الحجابِ حِسانا
تُضَيِّفُ إلى (علم المعاني) معانياً
وتَنسُقُ من (علم البيان) بيانا
ألا واملِكُوا رِقَّ الزمانِ بَقِيَّتُمْ
بَقِيَّةً ما أبقي المليكُ زمانا

(١٨٨٦)

من: «ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي»



منح الصبابة أضلعاً وفؤادا

أرسلها من النجف إلى الحاج مصطفى كبة في بغداد

منح الصبابة أضلعاً وفؤادا،
وعصته سلوة مُقَصِّرِ فتمادي
وطغى عليه الحبُّ - وهو أميره -
فأطاع جامح قلبه، وانقادا
ولهان يفرح إن دنا أهل الحمى
منه، ويحزن إن نأوه بعبادا
بعثوا الخيال، وما رقدت فليتهم
بعثوا إليّ، مع الخيال، رقادا
أحيي الدجى أرقاً كأن نواظري
خُلقت محاجرُها قذى وسُهادا
فَلِقَ الوسادِ، كأن من أهواه قد
أهدى وشاحيه إليّ وسادا
قَطَفَ العيونِ الوردَ من وجناته
غَرَسَ المضاجعَ للمحبِّ قتادا
يا غارساً بالجَزَعِ روضةً حُسْنَه،
ومُخَيِّفَ رائدها ظُبًى، وصعبادا
كُنَيْتُ عَنْكَ بَمَنْ سِوَاكَ مُوَرِّياً
بهوى «سعاد» وما هويت «سعادا»
أعرضت عني، وادّعت مودتي!
أرأيت إعراضاً يكون ودادا؟
إن لم تساعف بالوصال فربما
عوّدت قلبي للجفا، فاعتادا

ولقد أزورك بالمنى وخذاعها،
 وأجوب في فكري إليك وهادا
 اترك فؤادي جمرة، لا تطفه
 فالنار، إن خمدت، تعود رمادا
 إني تعببني الهوى لمغنج
 دان الجمال لعزّه وانقادا
 كبر الوقور، إذا مشى، يعتاده
 حتى إذا غلب الدلال تهادى
 فكان في برديه ملكاً ظافراً
 جذلان، أبدى زهوّه وأعادا
 قاس، رقيق نال من زهر الربى
 خدأ، ومن زبر الحديد فؤادا
 فإذا هززت هزئت منه أراكه
 وإذا سألت سألت منه جمادا
 لا يستجيب، ولا ينيب، ولا يثيد
 ب، ولا يُقيل، ولا يُنيل مرادا
 ينأى فلا يعدّ الدنو، فإنّ دنا
 يوماً، نوى لك فرقةً وبعادا
 وتريبه عيني تُخالس لحظه،
 وضنى طلى جسدي عليه جسادا
 إني لأستتر عفتي بخلاعة،
 وأريد، فيما أنتحيه، مرادا
 والصدّ قد يبدو بمظهر ضده
 أوّما ترى نور العيون سودا؟
 بضمّام ذياك الغزال حُشاشة
 أسرت، ولم يقبل فدى فتفادى

أخذ الحشاشة ثم ضنّ بردها
وأبى البخيل بأن يكون جوادا
لله، يوم وداعهم، من عصبية
وقفت، وقد سرت الجمال وخادا
وقفت بهم أقدامهم أن يقتفوا
أثر النياق، فأركضوا الأكبادا
فوق الركائب أنجم لا تُجتلى،
ورياض حُسن تمنع الروادا
عرب، معاطف غيدهم ورماحهم
سيان: كل ينثني مبيادا
سلّوا لواظهم، فكن صوارما،
وغدت ذوائبهم لهن نجادا
فتخال كلاً في المحاسن (يوسف)،
وتخال من (مصر) له (بغدادا)



يا ربّع لذاتي، ومربع جبرتي
روى معاهدك الغمام، وجادا
لا أبتغي للوصل فيك نهاية
أبدأ، ولا للعيش فيك نفادا
لا، والذي سمك السموات العلى
وأقامهن - وما أقام عمادا
ودحا البسيط صحارياً، وصحاصحاً،
وسباسباً، وفدافداً، ووهادا
لا أرتضي غير الأكارم معشراً
يوماً، ولا غير (العراق) بلادا

كلّاً، ولا أنشي لغير (المصطفى)
و(أخيه) قافيةً تروق نِشادا
الباذلين لكلّ ثاوٍ بُلغةً،
والمتبوعين لكلّ ركبٍ زادا
والسابقين بكلّ حَلبةٍ مَفخرٍ،
والحائزين من العُلى الأمادا
سلكا من العلياء نهجَ أبيهما
إن الشبولَ لتقتفي الأسادا
عَلَمِي هدىً، قمرِي دجىً، مطرِي جدىً:
إن أرشداً، أو أشرقا، أو جادا
وتجارياً، فتبارياً، وتساوياً
في كلّ ما قد أبديا، وأعادا
الكلُّ يَأبى ما أباه شقيفةً
- خُلُقُ الكرامِ - وما أراد أرادا
كالناظرين على الزمان تراهما
يتشاركان معاً كرىً وسُهادا
لم تغتمض عينٌ إذا ما أختُها
أرقت، ولا هي تستطيع رُقّادا
فهما يدُ العلياء ساعةً بطشها،
أو ناظراها المبصران رشادا
من معشرٍ ضربوا رُواق بيوتهم
فوق السّمّاك، وغادروه مهادا
وإذا الفخارُ غدا هنالك حلبةً
ركبوا مساعيهم، فكنّ جيادا
ومن العزائم ينتضون صوارماً،
ومن الحفائظ يُشرعون صِعادا

مادت لبشرهم البسيطة بهجة،
فرست حلومهم بها أطوادا



(أبا الغني)، وتلك أسمى كنية
تدعى بها، بين الوري، وتنادى
شكرت مساعيك البلاد، وأهلها
وإليك قد ألقى الزمان قيادا
طأ فوق هام الفرقدين بأخمص،
واسحب على فرقئيهما الأبرادا
إن (أعرق) عيس إليك أرحتها،
وكفيتها (الإتهام) ، و(الإنجادا)



وإلى (أبي الهادي) انتهت جمل الثنا،
وأحاط فيها طارفاً، وتلادا
المخضم البلغاء، والمعبيهم
حججا تُسل على الخصوم حدادا
يتهلل النادي ببهجة بشره
كالروض راوحي الغمام، وغادي
يبدو بمنبلج الجبين، تخاله
شمس الضحى، والكوكب الوقادا
تسمو لطلعته العيون تشوقاً
لترود أحسن منظر مُرتادا
يتباشرون، إذا رأوه، كأنه
برق وراء المَحَل زَفَ عهادا

شَرُفَ القِبَائِلَ فِي مَوَاقِفَ فخرها
إِذْ طَوَّقَتْ بِهِبَاتِهِ الأَجْيَادَا



أَخَوِيَّ إِنَّ ضَاقَتْ بِوصفِ عَلاَكَمَا
سَعَةُ القَرِيضِ، وَمَا بَلَغَتْ مُرَادَا
فَلِي القَوَافِي الشَّارِدَاتُ كَأَنَّهَا
سِمَطُ الجُّمَانِ يَقلَدُ الأَجْيَادَا
مِنْ كُلِّ مُعَرَّبَةٍ المَتُونِ تَنَاسَقَتْ
مَثْنَى فَرَائِدُ دُرِّهَا، وَفُرَادَى
لَوْلَاكَمَا مَا كُنْتُ أَنْظِمُ عِقْدَهَا،
يَوْمًا، وَلَا أُعْطِيَتَهَا الإِنْشَادَا
أَخَوِيَّ، فَلْتَشْرِقْ شَمْسُ عَلاَكَمَا
بِسَنَا المَكَارِمِ تَصْحَبِ الأَبَادَا

من: «ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي»



جميل صدقي الزهاوي

عن بغداد

مقامك في الزوارة غير حميد
وليئك للأعداء غير مفيد
وظنك حسناً بالليالي سفاهة
ورأيك في الأيام غير سديد
سأرحل عن بغداد رحلة عائف
فقد طال في دار الهوان قعودي
وأخرج من آلي ومالي وموطني
وما كان لي من طارف وتليد
ولم أر في عمري كبغداد منزلاً
به العلم لا يجرى بغير جُود
رأيتُ بها بؤساً وشاهدتُ نعمة
فلم أسترخ من شامت وحسود
وكافحتُ أياماً بها وليالياً
تكرّان من بيضٍ هناك وسُود

- جميل صدقي بن محمد فيضي الزهاوي.

- ولد في «بغداد» عام ١٨٦٣ وتوفي عام ١٩٣٦.

- درس على والده وبعض علماء العراق علوم العربية والدين والمنطق.

- عمل في التدريس وفي الصحافة وانتخب نائباً أكثر من مرة.

وعشتُ فلم يرغد لي العيشُ عندها
وما خيرُ عيشٍ لم يكن برغيد
ببغدادَ ناسٌ راشدون بعلمهم
وقومٌ من الجهَّال غيرُ رشيد
شبابٌ مُريدٌ للتعلمِ ناهضُ
وشيبٌ لنور الشمسِ غيرُ مُريد
وقومٌ كرامٌ ساءهم وشكُّ فرقتي
وقومٌ تَمَنُّوا أن يزول وجودي
هُم القومُ ما إن يبتغون لما بهم
من الكسل المذموم غيرَ قُعود
بعضرٍ به الأقوامُ تنشط للعلی
أرى البعضَ لا يزداد غيرَ جُمود
صعاليكُ سادوا ثم سيدوا بجهلهم
فأذمُّ بهم من سائدٍ ومَسود
لقد عشتُ بين القومِ ستينَ حِجَّةً
ولم أكُ في يومٍ بها بسعيد
أشاهدُ غرباناً بأوكارِ أنسُرٍ
وألقي ذئاباً في عرينِ أسود
هُجودٌ عن الحُسنى فما إن يرونها
وأما عن السَّوءِ فغيرُ هُجود
وليس الذي في القومِ من عنجهيَّةٍ
سوى إرثِ آباءٍ لهم وجُود
إذا كان مَشْيُ المغمضين إلى الردى
وئيداً فمَشْيُ القومِ غيرُ وئيد

غداً ينظرون الشرَّ عُريانَ كاشراً
وليس غداً عن ناظرٍ ببعيد
نممتُ من الأيام فقداً عدلها
وما أكَثَرْتُ من سادةٍ وعبيد
وأما طريقُ الذام فهو إذا بدا
لنفسي مَحِيدُ عنه أيَّ مَحِيد
وَأَلَيْتُ أَنْ لَا أَسْتَكَينَ لِمَنْ عَتَوَا
وإنْ قَطَّعُوا بالسيف حبلَ وريدي
حييتُ فحَقِّي أَنْ أَلْقِيَ مصرعي
فما عَدَمِي إِلَّا نِتَاجَ وجودي
وإنِّي كغيري لستُ في الأرض خالداً
وإنِّي وإن طال الزمانُ لَمُودِي



دعاني إلى حزب الخنوع رئيسه
وأكَثَرَ من وعدٍ له ووَعِيد
فَقُلْتُ لَهُ أَنْذِرْ سِوَايَ فَإِنَّمَا
وعِيدُكَ مَهْمَا زِدْتَ غَيْرُ مَفِيد
وإنْ زَعِيمَ القومِ لَيْسَ يَغْرَهُمْ
ولا هو يَجْزِي فَضْلَهُمْ بِكُنُود
تَجَسَّسَ من بعد الزعامة للعدي
وما كان منهم أَجْرُهُ بِزَهِيد



بَنَتْ حَدْسَهَا في الشرق والغرب ساسةً
على نظرٍ فيهما يكون بعيد

ولكن قومي فوضوا الأمر كله
إلى قدر من ربهم وجود
وثاروا بإغراء العميد فخانهم
فكان عميد القوم غير عميد
لقد خمد الثوار بعد شُبوبهم
وقد لا تُشَبَّ النار بعد خمود



قليتك من دار بها الجهل شائع
ومن بلد بين البلاد بليد
هنالك ناسٌ يمقتون قصائدي
وتمقتهم طراً كذاك قصيدي
وكم دُرر لي في القريض نظمتها
فكانت بجيد الدهر مثل عُقود
وكم حكمة فيها بلاغٌ أذعَّتْها
بقافية ملء البلاد شرود
يذمّون شعراً لا يقلّد غيره
أولئك أعداء لكل جديد
ولا يحمدون الشعر إلا مكبلاً
بسلسلة يأذى بها وقُيود
وفي الحق أن لا يقرب الشعر قائل
إذا لم يكن في شعره بمجيد
يموت إذا لم يُشجَّ شعراً بشدوه
ويحيا إذا أشجى حياة خلود

إذا طابَقَ الشعرُ الحقيقةَ لم يكن
بذي حاجةٍ في صدقه لشُّهود
لقد أنشدتُ بالأمس شعراً حَمَامَةً
على فَنَنٍ غَضٌّ فقلتُ أعِيدي



صبرتُ على ليلي وقد جُنَّ راجياً
صباحاً وعلَّ الصبحَ غيرُ بعيد
إلى أنْ رأيتُ الليلَ يرفعُ بيته
أخيراً على صبحٍ بدا كعمود
ستبعثُ هَبَّاتُ النسيمِ مَسَرَّتِي
ويجمعُ نورُ الشمسِ شملَ سُعودي
وأشربُ ماءَ النيلِ من بعد دجلةٍ
فيخضرُّ في مصرَ الجديدةِ عُودي
متى ما أجيءُ مِصرَ الفتاةِ فإنني
سأوي إلى رُكنٍ هناك شديد

من: «ديوان جميل صدقي الزهاوي»



النائحة

يرثي بها من شنعهم جمال باشا في سورية

على كلِّ عُودٍ صاحبٍ وخليلٍ
وفي كلِّ بيتٍ رثلةٌ وعويلٌ
وفي كلِّ عينٍ عُبْرَةٌ مُهْرَاقَةٌ
وفي كلِّ قلبٍ حَسْرَةٌ وغليلٌ
علاها وما غيرُ الفتوةِ سُلَمٌ
«شبابٌ تَسَامَى للعلَى وكُھولٌ»
كأنَّ وجوهَ القومِ فوقَ جُذوعهم
نجومٌ سماءٍ في الصباحِ أُقولُ
كانَ الجذوعُ القائِماتِ منابِرُ
علتْ خطباءُ عُودَهُنَّ تقولُ
لقد ركبوا كُورَ المطايا يَحْتَنِمُ
إلى الموتِ من وادي الحياةِ رحيلُ
أجالوا بهاتيكِ المشانقَ نظرةً
يلوحُ عليها اليأسُ حينَ تجولُ
وبالناسِ إذ حقَّوا بهم يخفرونهم
وقوفاً وفي أيدي الوقوفِ نُصولُ
يرومون أن يلقوا عُدولاً فينطقوا
وهيهاتَ مافي الحاضرينِ عُدولُ
دَنَوْا فَرَقَّوْها واحداً بعدَ واحدٍ
وقالوا وجيزاً ليس فيه فُضولُ

فمن سابقِ كيلا يُقالَ مُحاذِرٌ
ومُسْتَعَجِلٌ كيلا يُقالَ كسولٌ
وللّهِ ما كانوا يحسّون من أذى
إذ الأرضُ تنأى تحتهم وتزول
وإذ قُربوا منها وإذ صعدوا بها
وإذ مَسَّ هاتيكَ الرقابَ حُبُولٌ
وما هيَ إلا رجفةٌ تعتري الفتى
مُفاجأةً والرأسُ منه يميل
مَشَوًا في سبيلِ الحقِّ يحدوهمُ الردى
وللحقِّ بين الصالحين سبيلٌ
ستبكي على تلك الوجوه منازلُ
وتبكي ربوعُ للعلى وطُلول
وأعظمُ بخطبٍ فيه للمجد شِقْوَةٌ
وفي جسدِ العلياء منه نُحول
سَرَتْ روحهم تطوي السماءَ لربّها
وما غيرُ ضوءِ الفرقدين داليل
وللّهِ عِيدانٌ من الليل أثمرتْ
رجالاً عليهم هيبَةٌ وقُبول
ويا لكَ من رُزءٍ حمدتُ له البُكا
وقبّحتُ فيه الصبرَ وهُوَ جميل
قبورُ كأن القومَ إذ رقدوا بها
عباديدُ سَفَرٍ بالتلاع نُزول
هوتُ أمُّهم ماذا بهم يومُ صُلِّبوا
على غيرِ ذنبٍ كي يُقالَ دُحول

سوى أنهم قد طالبوا لبلادهم
بأمر إليهم فخره سيؤول
ونادوا بإصلاح يكون إلى العلى
وللنَّجِّج والعمران فيه وُصول
فما ردَّ عنهم بالشفاعة عُصْبَةٌ
ولا ذبَّ عنهم بالسلاح قَبِيل
ولا نفعَ السيفَ الصَّقِيلَ حديدُهُ
مضاءً ولا الرمحَ الطويلَ عُسُول
لعمركَ ليس الأمرُ ذنباً أصابه
قِصاصٌ ولكنَّ يَغْرُبُ وَمَغُول
أناخوا المطايا حين أدركَ ليلها
بمأسدةٍ فيها الحماةُ قليل
وإني على ما بي من الحرِّ والصدى
لأنظر ماءً ما إليه سبيل
أفكر في الماضي فيأتي خيالُهُ
جميلاً أمامَ العينِ ثم يزول
وإنَّ بكائي اليومَ لو نفعَ البُكا
عليهم وفي مستقبلِ سيطول
أبعدَ بني قومي أُنْهِنُهُ عَبرتي
وأمنعها، إني إذا لبخيل
أقْبِرَةَ الحقلِ اغنمي الوقتَ واصفري
فما بعدَ أيامِ تمرِّ حُقول
يُبْرِحْنِي أَنَّ الصُّرُوحَ تَقْوُضُ
ويُحْزِنُنِي أَنَّ القُصُورَ تُطْلُول

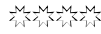
فليت الذين استحسنوا الأمر فكروا
فكان عن الرأي السخيفِ عُدول
قد اسودَّ ليلُ الظلم حتى كأنه
ستارٌ على الأرض الفضاء سديل
ويا لك من ليلٍ يروع كأنما
بكل مكانٍ منه يرقبُ عُول
وقد قرَّ حتى قلتُ قد جمد الدجى
وخِلْتُ بياضَ الصبحِ ليس يسيل
وعسَّسَ يرتاع الكرى من ظلامه
وطال وليلُ الخائفين يطول
إنِ الوطنُ المأسور ينهض قائماً
فتقعَّد أغلالُ به وكُبول
مضى ما مضى لا عاد واليومَ فاستمعْ
إلى لهجة التاريخ كيف يقول
ستُكتب فيه بالدماء حوادثُ
وتُقرأ للويلات فيه فُصول
ويذهب هذا الجيلُ نضو شقائه
ويأتي سعيدهُ بالسلامة جيل

من: «ديوان جميل صدقي الزهاوي»

يا عيد

قد عدتَ بعد ذهابِ منك يا عيدُ
إذ كلُّ شيءٍ يسرَّ النفسَ مفقودُ
أأنتَ عيدُ به الأفراحُ شاملةُ
أم مآتمُ فيه للأحزانِ تجديدُ؟
عيدُ أجَلُ أنتَ عيدُ لا سلامَ به
إلا لمن قلبُه بالغشِّ معقودُ
عيدُ به عنك هذا الناسُ في شغلٍ
بهمَّها ما بها في الألفِ مسعودُ
عيدُ ألمٌ على يأسٍ بمملكةٍ
وليس فيه لجرحٍ سالِ تضييدُ
حيث الدخيلُ سعيدُ من تزلفه
وعن مواطنه للحرِّ تشريدُ
عيدُ تمجُّ جراحُ الحقِّ فيه دماً
وخنجرُ الضيمِ في الأحشاءِ مغمودُ
عيدُ يكابد فيه المسلمون أسيَّ
مَبْرَحاً ما عليه الصبرُ محمودُ
يبغون ركناً لهم يستعصمون به
والركنُ من ضَرَبَاتِ الدهرِ مهدودُ
يؤمِّلون زعيماً فيه تسريةً
وهل يُسرِّي عن المصفودِ مَصْفودُ

يشكو تباريحه الإسلام مُضطهداً
أين الأباة وأين الذادة الصَّيد؟
الحقُّ يُوطأ بالأقدام مُنْسحقاً
وما هنالك يحمي الحقَّ صِنديد
بابُ المنية مفتوحٌ لمضطهدٍ
وكلُّ بابٍ سواه فهو مسدود
الغيدُ تبكي شجاها في المصاب وما
أشجى دموعاً همتُ تبكي بها الغيد
ما إن لها من عُقودٍ غيرُ أدمعها
منها تُحلَّى بها اللبَّاتُ والجيد



نالت مطالبها الاقوامُ قاطبةً
ومطلبُ العَرَبِ المهضومِ مردود
في كل يومٍ تُصيب القومُ كارثةً
فداحةً ويروع القومَ تهديد
لا قلبَ إلا وفيه الحزنُ مُرتكِمٌ
وما لأبعدَ هذا الحزنُ تحديد
لا الروضُ نَضُرُّ كما قد كنتَ تعهده
ولا لبَّبله الصيِّداحُ تغريد
أتى على الروض حتى جفَّ من ظمأٍ
يومٌ من الدهر يشوي النبتَ صيخود
تسرُّ بالعيد أقواماً أولي شَمَمٍ
أيامُها البيضُ لا أيامُها السُّود
اذهبْ فإن قلوبَ الشعبِ داميةٌ
ما إن لها من سُلوفٍ فيكَ يا عيد

وكيف تَفْتَحُ أَبْوَابَ السُّرُورِ لَهَا
وفي يدٍ غيرِ أيديكَ المَقَالِيدِ
كُنَّا نَرْحَبُ بِالْأَعْيَادِ عَائِدَةً
لو كان في العيد للأحزان تبديد
لا وحدة في النظام اليومَ تجمعهم
فإن قومي عباديدُ عباديد
وما بكلِّ بلادِ العُربِ من جَدَلٍ
ولا بكلِّ بلادِ العُربِ مَسْعُودِ
قد كان وجهُك بسَّاماً لناظره
واليومَ يملأُ منك الوجهَ تجعيد
أظافرُ الدهرِ غاصت فيه عابثةً
ففيه من كلِّ ظُفُرٍ منه أُخْدُودِ
الدهرُ يعطي سُروراً ثُمَّ يَمْنَعُهُ
وذلكَ منه لا بخلٌ ولا جُودِ



ما كان قَبْلاً لهذا الشعبِ من خَطَلٍ
حتى اطمأنَّ فغَرَّتْهُ المَوَاعِيدُ
إن السَّهَامَ وإنْ كانت مُنْصَلَّةً
يعوزها منه عند الرمي تسديد
هذهِ المِدافعُ للأَسْماءِ قَارِعَةٌ
كما تصادمُ جُلُموذُ وجُلُموذِ
نريدُ ظلاً يقينا الحرَّ من شَجَرٍ
لم يبقَ أخضرٌ منه اليومَ أُمْلُودِ
لم يبقَ عندي بغيرِ الشعرِ من وَلَعِ
وإنما الشعرُ أغرُودٌ وأغرُودِ

وما الحياة سوى نارٍ مُؤجَّجةٍ
يثيرها في دم الشَّبَّانِ بارود
وإنها لأصطداماتٌ بمنحدرٍ
كما تصادمُ بالسَّيلِ الجلاميد
قد علَّمتُنِي تجارِيبِي التي سبقتُ
أَنْ ليس يظفرُ بالحاجاتِ رَعْدِيد
أيامُ ذِي العَرَّ أعيادُ برُمَّتِها
أما الذَّلِيلُ فهذا ما له عيد

من: «ديوان جميل صدقي الزهاوي»

— |

| —

— |

| —

عبد المحسن الكاظمي

الأمر إن نمتَ عن إدراكه جَلل

قَدِّمًا من الدهر أفراحي وأحزاني
فقد تَداولني منه الفريقان
البِشْرُ واصلَ حيناً ثم فارقني
والوجدُ لازمَني في كلِّ أحياني
مَلَاوَةٌ أَتراءى غيَرَ ذي شجنٍ
وتارةً أَتوارى خلفَ أشجاني
وكَلِّمًا قلتُ إن الدهرَ قَرَّبَني
إذا به عن طريقِ البِشْرِ أَقْصاني
أنى وأُسْرِعَ والدنيا لمعتْ زِمَ
لا مُسْرِعُ في تَمْشِيهِ ولا واني
سَعَيْتُ في طلبِ العلياءِ مُرتزِقاً
وما سَعَتْ قَدَمي إلا لحرمانِي
فلا التريثُ عَمَّا خَفْتُ أبعَدَني
ولا التَّعَجُّلُ مِمَّا رَمْتُ أَدْناني

- عبد المحسن بن محمد بن علي.

- ولد في بغداد عام ١٨٧١، وتوفي عام ١٩٣٥.

- درس في الحلقات الدينية في الكاظمية والنجف.

- أقام في مصر منذ عام ١٩١١ وتوفي بها.

- دواوينه: طبعت المجموعة الأولى من ديوان الكاظمي عام ١٩٤٠ والمجموعة الثانية عام ١٩٤٨ والمجموعتان الثالثة

ما زلتُ والدهرُ تعلوني حوادثه
أبني ويهدمُ صرفُ الدهرِ بنياني
أشكو وأشكرُ والأيامُ صاغيةً
إلى النقيضين من شكوى وشكران



من لي بذي هممٍ أعماله رجحتُ
إذا وزنتُ به الدنيا بميزان
من لي بذي غيرَةٍ إنْ جلجلتُ غيرُ
لم يُلفَ يوماً علينا غيرَ غيران
فات الذين أضلّتهم جهالتهم
عن الهداية من علم وعرفان
من لي بذي غيرَةٍ إنْ جلجلتُ غيرُ
خلفَ الجوانح من حقدٍ وأضغان
الأمـرُ إنْ نمتُ عن إدراكه جـلـلُ
وليس يدفعُ خطباً غيرُ يقظان
أرى صحائفَ سُوداً كلُّها عبـرُ
مُلُوناتُ حواشيها بألوان
هل (طانها) ^(١) كفلتُ حفظي (وتيمسها) ^(٢)
وبين تيمسها قد ضِعتُ والطان
أيذهب الناسُ بالآمال مذهبَه
ومَن له الأمرُ فينا سامعُ راني



حتى القوافي عصتني وهي عالمةُ
بأنني ربُّها في كلِّ إبان

(١) جريدة فرنسية.

(٢) جريدة إنكليزية.

حتى مَ أسمع أيماناً مُغلُظَةً
ولا أرى غيرَ حَنَاتٍ بِأيمان
عسى نَبْرَ الليالي بعدما حنثتُ
ويُصبح الدهرُ طوعي بعد عصيان
فأنظمُ القولَ يُزري بالقلائد من
لألىءٍ ويواقيتٍ ومَرَجَان
يا من عصرتَ حُميًّا المجدِ خالصةً
من كرمةٍ في المعاني غيرَ ظمان
إذا طربتُ فَجُرْدُ الخيلِ صاهلةً
عنادلي وطِوالُ الخطِّ أغصاني
وإن ظمئتُ وبيضُ الهندِ ناهلةً
فخَيْرُ وِرْدٍ لإروائي الوريْدان
فكم شربتُ وكأسي كلُّ ذي شُطْبٍ
من أبيضٍ يَقْقِ أو أحمرٍ قاني
لئن أعشُ فالقِبابُ البِيضُ عاليةً
مَحَطُّ رحلي وأوجُ المجدِ إيواني
وإن أمتُ فحَنُوطي والقنا شرعُ
زاكي الثرى وثيابي الحُمُرِ أكفاني
ماذا الزئيرُ وقد طنتَ غوائلُهم
أخفِ الزئيرَ لصوتِ منك رَنان
ليت الطليقُ الذي تُقضى حوائجُه
درى بحاجة هذا المدنفِ العاني
فراح يحملُ عَنَّا أو لنا خبراً
عن الحبيبين من أرضِ وسُكَّان



لا تحسبوا قد مضى عهدُ العُلَى فلقد
يكون ما لم يكن يوماً بحُسبان
كم بدلتْ حادثاتُ الدهر من قِدمِ
عرشاً بعرشٍ وتيجاناً بتيجان

من: «معلقات الكاظمي»

\$ رثاء محمود سامي البارودي

أقيموا صلاة الخاشعين وسلّموا
على من حوى هذا الضريح المعظم
حوى خير من يرعى، حوى خير من يقي
حوى خير من يحمي الدمار ويعصم
حوى خير من إن قال أو صال هزنا
وهز العلاء منه يراع وميخضم
حوى خير من شاد المكارم معلياً
منار الهدى والخلق أعلى وأعظم
ومن يبن بالأخلاق ركناً فلا تهى
دعائمه يوماً ولا تتهدم
حوى البطل المقدام لا يرهب الردى
على حين أبطال المخاوف تُحجم
حوى العزم مقروناً به الحزم والنهى
ومطرداً فيه الندى والتكرم
حوى جبلاً فات الظنون إلى العلا
فمن دونه تجثو الظنون وتجثم
حوى حسنات ذاع في الكون صيتها
وكانت زماناً وهى سرُّ مكنم
فرائد أخلاق جثا الدهر دونها
يُمجد من آياتها ويعظم
يُذال لها منها على كل معطف
من المجد بُرد طاهر الذيل مُعلم

وخيرُ رداءٍ يرتديه أخو علًا
متى حيك والأخلاق تسدي وتلحم



كذا تطمئن النفس من نزعاتها
وتأمن أحداث الزمان وتسلم
كذا تنفض الأرواح ثقل قيودها
فتتجدد في عرض الفضاء وتثهم
كذا الراسيات القود تذك شمها
وينهار منها مخرم ثم مخرم
كذا تغرب الأقمار في غيب السما
وترتد أفاق المنابر تظلم
كذا سئنة الأجال لا متأخر
لديها إذا وافت ولا متقدم
كذا ينطوي محمود والشيب شامل
ويقضي رفيق والشباب مُنعم



وإن هلالاً غاب قبل أوانه
أعز على العلياء منها وأكرم؟
ورب هلال غاب والبدر طالع
يضيء به أفق العلا وهو مظلم
فما خلت أن الشبل والليث راصد
يُقاد بأيدي النازلات ويخطم
ويا رب سرب آمن في كناسه
يُراع وحاميه لدى الروع ضيغم
فتنشب فيه للحتوف مخالب
وتنفذ فيه للمقادير أسهم

ولو أمهلته الحادثات لأبصرت
 جلائل أعمالٍ تُبَثِّ وتُبَرِّم
 ولكنّها الأجال لا الشيبُ عندها
 يُراعى ولا غصنُ الشبيبةِ يُرحم
 نوى وهوى غصنُ الشباب ونجمه
 فوجهُ سماءِ الروض أغبرُ أقتم
 أمن بعد ما قرّت به العينُ تنثني
 عليه دموعُ العينِ تهمني وتسجم
 لقد كان ملءُ العينِ حُسْنًا وبهجةً
 فأصبح ملءُ القلبِ والقلبُ مُضرم
 وقد كان مأمولاً به الخيرُ فانتثني
 على اليأسِ منه الناظرُ المتوسّم
 يموت الفتى السنُّ للخيرِ يُرتجى
 ومن ليس يُرجى عنده الخيرُ يَهْرم
 وكان كزهرِ الروضِ وهو مُفْتَحُ
 تَضُوعِ بريّاه الصِّبَا ومُكَمَّم
 فعاد ولا ذاك السنُّنا منه يُجْتَلَى
 وعُدنا ولا تلك النساءُ تُنَسِّم
 مُجاورُ محمودٍ مُجاورُ أروع
 أمينُ الحمى والروعُ يَدْهَى ويدهم
 حنانُك يا محمودُ حيّاً وميتاً
 ملاذُّ يُجيرُ الخائفينَ ومَعْصَم
 سيحَمَّدُ منك العطفَ «ابنُ حمادةٍ»
 ولا الأبُّ يَكْلَاهُ ولا الأمُّ تَرَامُ
 ويأخذ من ذاك الحنانِ نصيبه
 أخو رَشَاءٍ يعنو إليك وينعم

ففي ذمّة الأشجان من ظلّ باكياً
وفي ذمّة الولدان من راح يبسم



ألا إن يوماً فيه محمود قد ثوى
ليوم على أهل الفضائل أشأم
لقد أحزن الأذنين إذ قيل راحل
كما أطرب النائين إذ قيل يقدم
يودعه مستغبراً كاظميها
ويلقاه بالبشر «الوليد» و«مسلم»
فقام له في ظاهر الأرض مائت
وقام له في باطن التُّرب موسم



أليس له فصل الخطاب متى يفه
أليس له فصل الطُّلا حين يعزم
أليس له في عزمه وثباته
عديد إذا قلّ العديدُ عرمرم
فكيف تسنى للمنون اقتحامه
وكانت له تسطو المنون وتَقَحُّم
وكيف أناخت في الحضيض مطيه
وكان لها فوق السماكين ملطم
عزيز على العلياء تبكي عميدها
ويُحجب عنها ثغره المتبسّم
عزيز على الأشعار يثوي أميرها
ويغدو نواحاً في حماء الترنم
عقرن القوافي في ثرى كلّه ندى
وبأس وإحسان وفضل وأنعم

أقول لفرسان البلاغة أقفرت
 ميادينها ممن يقول فيفحم
 له قلم إن ينشيب الخطب ظفره
 فذاك لأظفار الخطوب مقلّم
 رهيف إذا ما البيض كلت شباتها
 فصيح إذا القوم الفصاح تلعثموا
 تمرّ به سود الليالي وبيضها
 فيشتار شهّد من لَمَاهِ وَعَلَقَم
 سلوا عنه هاتيك الطباع فإنه
 مثقّف معوجّاتِها والمقوم
 لتسمو به أخلاقه ويُجلّه
 تواضعه والمجد أسمى وأفخم؟
 فعلّ بالأقلام تُبرى وبالظُّبَا
 تُسلُّ ونارُ الوجودِ تذكو وتُضرم
 وهل بيَراعٍ أو حُسامٍ غلاله
 إذا قيلَ رثَ الكفُّ واندثرَ الفم



ألا فافيقوا واذكروا أين أنتم
 ومن أين من تحت التراب ومن هم
 وما تحته إلا الحقيقة تُبَتِّني
 وما فوقه إلا المجاز المهدّم
 فلا تُزعجوا هذا الثرى وترقّوا
 فأنتم لمن هذا الثرى وهو منكم
 ولا تستهينوا بالرغام فإنه
 يجلّ على ذكر الكرام ويعظم

فكم تحته من أنفُسٍ لو تراجعتُ
إلى عهدِها ما كان في الناس مُجرِم
ويا حبّذا مَنْ فوقها لو تبيّنوا
هُداهم وجاءوا بالسيوف فحطّموها



أُمخْتَلَفَ الزَّوَارِ حَسْبُكَ مِنْهُمْ
فصيحٌ له فضلُ البيانِ وأعْجَم
يُحْيِيكَ مِنْهُ وَاهِنُ الصَّبْرِ جَاوِزُ
وَيُطْرِكُ مِنْهُ مَنْ أَبِي وَهُوَ مُعْجَم
تَحَكَّمَ فِيهِ الْوَجْدُ وَالْوَجْدُ ظَالِمٌ
وَأُنْحَى عَلَيْهِ الْبَيْنُ وَالْبَيْنُ أَظْلَمُ
كَأَنِّي بِمَحْمُودٍ مُصَيِّحٍ كَعَادِهِ
إِلَى الْوَفْدِ إِلَّا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُ
وَعَهْدِي بِذَلِكَ الْوَجْهِ إِنْ قِيلَ زَائِرُ
يَنْمُ عَلَيْهِ بِشْرُهُ وَالتَّبَسُّمُ
أَجْدَكَ لَا تَبْعَدُ وَهَلْ كَانَ نَافِعاً
«أَجْدَكَ لَا تَبْعَدُ» وَأَنْتَ مُصَمَّمُ
لِئِنْ تَدُنْ فَالْعَيْشُ الذَّمِيمُ مُحَمَّدُ
وَإِنْ تَنَأْ فَالْعَيْشُ الْحَمِيدُ مُذَمَّمُ
إِذَا مَا دَهَانَا مِنْ خُطُوبٍ جَسِيمُهَا
فَخُطْبُكَ فِي الْأَحْشَاءِ أَدْهَى وَأَجْسَمُ
وَتِلْكَ نَفُوسٌ شَقَّهَا لَاعِجُ النَّوَى
وَسَارَ بِهَا حَيْثُ النَّفُوسُ تُنْعَمُ
لَقَدْ عَلِمْتَ مَنُوكَ مِنْ ذَلِكَ الثَّرَى
فَجَاءَتْكَ تَحْنُو مِنْ تُرَابٍ وَتَلِثُ

تُحاول كتمانَ الأسى ثم تنثني
فتُفصح والبيدُ الحوائل تُعجم



أُتطربُ نفسي نظرةً تبعث الجوى
وفي القلب ما يُشجي النفوسَ ويؤلم
وهاجت بي الذكرى كوامنَ لوعةٍ
تُقاسمُن قلبي فهو نهبٌ مُقسَم
كأنَّ قبورَ القومِ نثراً وبينها
مقامُك يا محمودُ عِقدٌ مُنظَّم
أُفنى إذا ديوانُ شعركَ آيةً
به الباقياتُ الصالحاتُ تُترجم
وهايك مختاراتك الغُررُ التي
تُعزُّ على كَرِّ الدهورِ وتُكرم
تُعلمنا الأخلاقَ والبأسَ والندى
فأنتَ وما تختارِ نِعَمَ المعلم



تُذكرنا تلك الخلائقُ ساعةً
أسىً أيقظتُنا والخليون نُوم
كأنَّ لم تكن تلك العهودُ ولم تكن
نعمنا بها والدهرُ بُؤسٌ وأنعم
جمعتَ فحولَ القولِ فيها فكلُّهم
لدى القولِ مَهْدَارُ التسابقِ مُقَرَّم
تَوَلَّى عكاظاً مذ تَوَلَّيتَ وانقضتْ
مواسمُهُ فالسوقُ بعدك مَيِّتَم
تُخاطبكُ الأقلامُ مكلومةً الحشا
أفقٌ ليس لي إلا مَدَارَكَ مَرَّهَم



وقفنا على مثنوى الحبيب وكلُّنا
عيونٌ تَهَامِي أو قلوبٌ تَضَرِّمُ
فلم يُبرموا الميثاقَ إلا لينقضوا
ولم يعدلوا في الأرض إلا ليظلموا
وكم نارِ حربٍ أَجَّجُوا وتنصَّلوا
وكم ظلموا ثم انثنوا فتظلموا
أداروا رحي أطماعهم وتطاحنوا
وحلَّوا عُرا تلك العهودِ وصمَّموا
يروحون والخمسُ الحواسُّ على شَفَا
ويغدون والستُ الجهاتِ جَهَنَّمُ
فلم تُبقِ تلك المَهْلَكَاتُ ولم تذرْ
على أرضِها من مَوْضِعٍ يتألمُ
فما تركوا إلا أَكْفَاً تطايرتْ
سواعدها أو رؤساً تتهشمُ
وكان عُقابُ الجوِّ ينظر من علٍ
فأصبح يرنو للعلَّاء حيث يَرْجُمُ
إذا كان هذا آخرُ العلمِ كلُّه
فأَجْهَلُ من أبصرتَ مَنْ هو أعلمُ



أحمودُ ما عن مثل محمودٍ لي غِنَى
إذا حلَّ خَطْبٌ أو تَنَكَّرَ أَرْلَمُ
أسامي الذرى كيف انطوتْ تلْكُمُ الذرى
وفي الخَطْبِ ما يُوهي الجبالَ ويهدمُ
ولم أك أدري قبل ذا أنْ حَفَنَةً
من التُّرْبِ فيها يستكين «يَلْمَلَمُ»

أحمودُ ما الوجدُ القديم بمُحدثٍ
سوى الوجدِ والبُرْحَا تَجِدُ وتُقدِّمُ
أتيناك ممَّن فوقها لك نشتكي
وعُدنا على من تحتها نترحمُ
ولسنا بمُسْتَبْقِينَ غيرَكَ ديمَةً
كفانا ربيعُ من نباتك مُرْهَمُ
وإنْ ما تَأَخَّرْنَا لقومٍ فحسبْنَا
من الفضل منه فضلك المتقدِّمُ
شاك ابنُ أوسٍ للثرى وشأوتنا
إليه فنحن اللاحقون وأنتم

من: «ديوان عبدالمحسن الكاظمي»

المجموعة الثالثة والرابعة

بين يومين^(١)

جلي المعالي أيَّ يومَيْكَ أعظمُ:
أيومَ تشدُّ الرحلَ أم يومَ تُقدِّمُ؟
أجدُّكَ ما يوماك إلا صَحيفةً
يُخطُّ بها فخرُ الرجالِ ويُرقَّمُ
وليس كلاً يومَيْكَ إلا عزيمةً
يُشادُ بها مجدُّ البلادِ ويُدعمُ
فيومُكَ إنْ ترحلَ ويومُكَ إنْ تَوُجَّ
سبيلُ إلى نيلِ الأمانِ وسُلَّمُ
إذا صحَّ لليومينِ وصفُ له اقتفوا
وجُدُّوا على آثاره وتَرسَّمُوا
فيوماك جِدُّ للحياة وجِدَّةُ
ويوماك شَهدُ في المذاقِ وعَلِمُ
ومن شهدَ اليومينِ قال كلاهما
عَظِيمٌ ولكنَّ يومُ أمسِكَ أعظمُ
تُبَّتْ ثَبَاتُ الصابرينِ، وظنُّهُمْ
تَمَلُّ إذا طال الزمانُ وتسَاءَمُ
فما أرهَبَتْكَ القاذفاتُ ولا نَبَا
بَحُجَّتْكَ المثلَى جُرَّازٌ وَلَهْذَمُ



ولما دنا الترحالُ قال لنا التُّهَى
أفيقوا وقال الحزمُ لا تَتَقَدِّمُوا

(١) اليومان هما: يوم نفي سعد زغلول ويوم عودته من المنفى.

وقال الجوى لا يأخذنكم الجوى
فتستسلموا للحادثات فتَهْزَمُوا
ولا عجب فالقلب يحمل وَجْدَهُ
ويسكت يوم العَثْبِ والعزم يحلُم
ذهبت ومصر كلُّها لك قَطَبَتْ
وعُدت ومصر كلُّها لك تبسم
لئن لم يطب للقلب، والطرف حائر
رحيلك عن مصر فقد طاب مَقْدَم



سلُّوا مصر هل من بعده ساغ مشرب
سلوا مصر هل من بعده طاب مَطْعَم
سلوا مصر ماذا في سبيل حياتها
تحمل فيهما صحبه وتَجشَّموا
لئن أنس لا أنس الذين تَأْمَرُوا
على مصر في إبعاد سعد وصَمَّمُوا
وهل فرضوا إلا القضاء على العُلا
لئن فرضوا نفى الزعيم وحتَّمُوا
نفوه وصحبا يستفزهم السرى
وهم حول سعد قاعدون وقوم
وشتان قوم يحجمون إذا دُعُوا
وقوم إذا ما أحجم الدهر أقدموا
إلى «عَدَن» ساروا إلى «سَيْشَل» نأوا
إلى منزل صبح الهدى فيه أقتم
إلى جبل ينميه للعصم «طارق»
ولكنه من طارق ليس يعصم

لَقَدْ حَسِبْنَا كَالْأَلَى إِنْ تَلَقَّتُوا
وَلَمْ يَجِدُوا مَاءً طَهُوراً تَيْمَّمُوا
وَمَا عَلِمُوا أَنَّ الْجِهَادَ فَرِيضَةٌ
عَلَى صَحْبِ «سَعْدٍ» وَالشَّهَادَةَ مَغْنَمٌ
وَلَوْلَا وَصَايَاهُ الَّتِي أَخَذُوا بِهَا
لَمَاتُوا جَمِيعاً دُونَ مَنْ ذَبَّ عَنْهُمْ
وَكَمْ مِنْ دَمٍ قَدْ سَالَ فِي ظِلِّ رَايَةٍ
وَرَايَةُ «سَعْدٍ» عِنْدَهَا يُحَقِّنُ الدَّمَ
لِكُلِّ عَظِيمٍ آيَةً مِنْ جَلَالِهِ
وَأَيَّةُ «سَعْدٍ» صَفْحُهُ حِينَ يُهْضَمُ
تَسَاعَلَ وَادِي النِّيلِ يَوْمَ رَحِيلِهِ
أَحَلَّتْ بُوَادِي النِّيلِ دَهْياً صَيْلَمَ
وَأَقْبَلَ وَادِي النِّيلِ يَوْمَ قُفُولِهِ
يُقْبِلُ كَلَّتِي رَاحَتِيهِ وَيَلْتَمِ
فُرَادَى وَأَزْوَاجاً يُحْيِيهِ وَفَدَهُ
تُحْيِيهِ جَمْعِيَّاتُهُ وَتُسَلِّمُ
يُحْيِيهِ مَنْ أَحْيَوْا بِذِكْرِهِ لَيْلَهُمْ
وَمَنْ جُرَّعُوا صَابَ الْحَيَاةِ وَأُطْعِمُوا
يُحْيِيهِ مَنْ طَالَتْ عَلَيْهِمْ سَجُونُهُمْ
وَمَنْ سُجِنُوا مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ وَأَعْدِمُوا
فَقَبْلِيُّهَا يَمْشِي وَبَحْرِيُّهَا مَعاً
وَمَا تَمَّ قَبْطِيٌّ وَلَا تَمَّ مُسْلِمٌ
جَمِيعُهُمْ فِي حَبِّ «زَغْلُولٍ» وَاحِدٌ
فَسِيَّانَ قَدْ فِي هَوَاهُ وَتَوَامُ

بمخْتَلَفِ الْأَزْهَارِ شُقَّ طَرِيقُهُ
كَأَنَّ أَدِيمَ الْأَرْضِ وَشَيْ مُسَسَّهَمٌ
نَظَرْتُ إِلَى تِلْكَ الْأَزْهَارِ نَظْرَةً
فَعَلَّمَنِي مِنْ ثَوَرِهَا كَيْفَ أَنْظَمَ
إِذَا عَادَ زَغْلُولٌ فَقَدْ عَادَ كَعْبَةٌ
تَحُجُّ إِلَيْهِ الْمَكْرَمَاتُ وَتُحْرِمُ
لِيَهْنَ أَبُو الْأَبْطَالِ بِالْبِشْرِ مُفْعَمًا
قُلُوبَ بَنِيهِ الْيَوْمَ بِالْبِشْرِ تُفْعَمُ
إِنْ اسْتَقْبَلُوا «سَعْدَ» الْبِلَادِ فَإِنَّهُمْ
قَدْ اسْتَقْبَلُوا أَمَالَهَمْ تَتَبَسَّمُ
تَقَرُّ عَيُونُ النَّاسِ، وَالْمَجْدُ خَاطِبُ
وَعُشَّاقُهُ حَوْلَ الْمُنَابِرِ جُتَمُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ مَجْدٌ فَلَا قَرَّ نَاطِرُ
لِذِي أَمَلٍ يَوْمًا وَلَا افْتَرَّ مَبْسَمُ
يَقُولُونَ «سَعْدٌ» سَوْفَ يَهْرَمُ عَزْمُهُ
وَمَنْ كَانَ سَعْدًا عَزْمُهُ لَيْسَ يَهْرَمُ
إِذَا عَادَ لِلْأَوْطَانِ يَوْمًا فَإِنَّمَا
يَعُودُ إِلَيْهَا الْيَوْمَ مَنْ لَا يُهْوَمُ
وَهَلْ كَانَ مُلْكُ الْمَجْدِ إِلَّا لِسَاهِرِ
طَوَالَ اللَّيَالِي، وَالْخَلِيَّوْنَ نُومُ ؟



أَبَا الشَّعْبِ، حَسْبُ الشَّعْبِ أَنْتَ لَهُ أَبُ
أَبْرُ بِهِ يَوْمَ الْعُقُوقِ وَأَرْحَمُ
تُصَارِحُهُ فِي الْحَالَتَيْنِ وَلَمْ تُبَلِّ
يَقِيكَ كَرِيمٌ أَوْ يُصِيبَكَ أَلَامُ

لقد كذب الجانون ما أنت مثلهم
وقد كذب الباغون ما أنت منهم
وما أنت إلا البدر، والبدر كامل
وما أنت إلا البحر، والبحر خضرم
إذا غاب ذاك البدر عنا ملاءة
وأشرق فينا فالموالون أنجم
ومن ذا يزود العين أن تبصر السنا
إذا ما تبدى البدر والليل مظلم
ومن ذا يزود القلب أن يتبع الهدى
إذا كان منه في يدي «سعد» مخطم
فما بالهم خافوه حتى كائن
قضاء على مَحَق الأباطيل مُبرم
وما بالهم إن قال قالوا مُشاغب
وأرجف فيه المرجفون وأوهموا
لقد هالهم تصرّيحُه وبيانه
وإيضاحُه للأمر، والأمر مُبهم
فقالوا مثيرٌ للخواطر مُوهم،
ووالله ما «سعد» مثيرٌ وموهم
وما غرَّ سعداً قولٌ من قال مُنقذُ
ولا ضرَّ سعداً قولٌ من قال مُجرم
فما ذا له يومَ السباقِ مُؤخَّر
ولا ذا لهم يومَ اللحاقِ مُقَدَّم
هو التَّدبُّ لا يلوي عن القصد عزمه
ولو حال «رضوى» دونه و«يلملم»

ومن تكُ مصرُ روضه فهُوَ بَلبلُ
ومن تكُ مصرُ خيسه فهُوَ ضيغمُ



أزغلولُ إنَّ الرأْيَ رأْيُكَ والنُّهى
نُهاكَ وإنَّ العزمَ ما أنتَ تَعزمُ
يَراعُكَ نَقَّادُ وفَكَرُكَ ثابِتُ
ونَهْنُكَ وَقَّادُ ونَهْجُكَ أَقْومُ
وهل سَلِمْتَ أَوطانُ قومٍ تَقاعَسوا
عن الذبِّ عنها أو توارَوْا لِيَسْلَموا ؟
ومن جَدٍّ للأوطانِ يَجثمُ دونها
فَمِنْ دونه الأوطانُ تَجثو وتَجثمُ



عجبتُ لِقَوْمٍ أيقظتُننا فَعالَهُمْ
وقالوا لنا دون الحقيقَةِ هَوْمُوا
يلوموننا أنَّا طلبنا حَقوقنا
وهل غَضَّ مَمَّنْ يَطْلُبُ الحَقَّ لَوْمٌ ؟
مخالِبُهم في كلِّ أمرٍ نواشِبُ
وأظفَارُنَا عن كلِّ أمرٍ تُقْلَمُ
قَضَوْا في رُبَّانَا أربعين ولم يَرَوْا
من الناسِ فيها من يُعَزُّو ويُكْرَمُ
وكم وعدونا بالجلاءِ فأخلفوا
وكم حنثوا من بعد ما قيل أقسموا
إذا ما سألناهم أداروا وجوهَهُمْ
وهزَّؤا لنا أكتافَهُم وتجهَّموا

لقد زعموا رُدَّتْ لمصرَ حقوقُها
 وذلك زعمٌ بباطلٍ وتَوَهُّمٌ
 وهل ساد شعبٌ واستقلَّ بأمره
 وغاصبُبه في أمره يتحكّمُ ؟
 وهل نال مظلومٌ من العدل قسطه
 وأفياؤه للظلم نهبٌ مُقسَّمُ ؟
 وهل ملكتُ أمراً لدارٍ يمينه
 وفي عُقرها من غاصب الدار قِيمُ ؟
 يقولون مصرٌ خَيِّمتْ في ذرى الغنى
 وإفلاسُ مصرٍ في ذراها مُخَيِّمٌ
 وقالوا تُراثُ الحقِّ رُدُّ لأهله
 وما رُدُّ من ديناره اليومَ دَرهمٌ



رأى بيننا المستعمرون وبينهم
 على يد «سعدٍ» ما بنوه سيُهدَمُ
 وباطلُهم قد عاد منقصم العرى
 وعُروتُنا ليست عن الحقِّ تُفصَمُ
 وما عندنا إلا حديثٌ مُصدَّقُ
 وما عندهم إلا الحديثُ المرجمُ
 فقامت على سعدٍ قِيامةٌ مُحْفِهمُ
 تسبُّ إذا قال الصوابَ وتشتُمُ
 إذا أنصفته في الحقوق تهجُمُ
 فإنصافُها يومَ الحقوق تهجُمُ
 وكم تعرف الأيامُ من مُتهكِّمُ
 ومن عَرَفَ الأيامُ لا يتَهكِّمُ

صحائف غيِّ ليس للرُّشد كاتبٌ
لديها ولا للحقَّ فيها مُترجم
فلا تطمعوا أنْ تدركوا اليومَ مأرباً
وأنتم على قلبِ الحقائق أنتم
ولا تطمعوا يوماً بإِذلالِ أمةٍ
حديثُ معاليها من الشمس أقدم
بنى مجدها القُدُموسُ في ذروة العُلَى
بُناةٌ متى يحموا ذرى المجدِ يحتموا
وجددَ هاديها «محمَّدُ عبْدُه»
لها مجدها وهو الإمامُ المعظَّم
ربيُّ «جمالِ الدين» أنجبَ سعدَها
فإنْ بدأ فهُوَ الذي سيُتمِّمُ



ألا قُلْ لأعداءِ البلادِ تهامسوا
وإنْ سمعْتُكم ذاتُ حقدٍ فتمتموا
لقد عاد زغلولٌ وعاد هديرُه
وإنْ لسانُ الصدقِ لا يتلعثم
هَبُّوا أنْ سعداً لم يعد لبلادهِ
وليس كسعدِ ذو غرارينِ مِخْدَم
فهل درستُ تلكَ الديارُ وأقفرتُ
ولم يبقَ فيها من يَحجُّ ويُفحِم
وهل درستُ تلكَ الديارُ وأقفرتُ
ولم يبقَ فيها من يُحسِّ ويفهم
مَعاذاً لها من أهلاتٍ تدققتُ
رجالُها تقضي الفروضَ وتلزم

أَحْطُ بِبِلَادِ الْغَرْبِ تَمْلِكُ أَمْرَهَا
وَأَرْقَى بِلَادِ الشَّرْقِ مِنْ ذَاكَ تُحَرِّمُ
إِذَا لُزَّتِ الْبِلْدَانُ فِي حَلْبَةِ الْعُلَى
فَمَصْرٌ لَهَا فِي كُلِّ شَوْطٍ تَقْدُمُ
أَلَمْ يَكُ فِيهَا الْعَالَمُ الْمُرْشِدَ الَّذِي
يُفِيءُ إِلَى إِرْشَادِهِ الْمُتَعَلِّمُ
أَلَمْ يَكُ فِيهَا مَنْ يُصَرِّفُ أَمْرَهَا
وَيَقْضِي بِمَا تَقْضِي الْحَقُوقُ وَيَحْكُمُ
أَلَمْ يَكُ فِيهَا مَنْ بَنِيَهَا مُدْرَبٌ
يُثَقِّفُ مَعُوجَاتِهَا وَيُقَوِّمُ
أَلَيْسَ «فَرِيدٌ» مِنْ بَنِيهَا وَ«كَامِلٌ»
وَ«سَعْدٌ» أَبُو أَبْنَائِهَا أَيْنَمَا نُمُوا
وَكَمْ شَيْدُ الْأَبَاءِ مَجْدًا وَكَمْ رَأَى
بَنُو الْمَجْدِ نَقْصًا فِي الْبِنَاءِ فَتَمَّمُوا
بَنَوُهَا بَنُو الْمَجْدِ الْأَثِيلِ وَأَهْلُهَا
إِذَا قِيلَ أَهْلُ الْمَكْرَمَاتِ فَهُمْ هُمْ
يُرَوِّحُونَ لَا تَخْفَى عَلَيْهِمْ خَفِيَّةٌ
مَنْ الْأَمْرِ فِيمَا أَدْرَكُوا وَتَوَسَّمُوا
وَيَغْدُونَ «أَهْرَامًا» بِهَا وَ«مُقْطَمًا»
إِذَا مَا وَهَى أَهْرَامُهَا وَالْمُقْطَمُ
كَأَنِّي بِهِمْ قَدْ حَطَّمُوا الْخُلْفَ بَيْنَهُمْ
وَشَادُوا وَفَاقًا بَيْنَهُمْ لَا يُحْطَمُ
إِذَا غَابَ هَذَا قَامَ هَذَا مَقَامَهُ
يُشَيِّدُ هَذَا رُكْنَ هَذَا وَيَدْعَمُ

وَكَلَّهِمْ عَيْنٌ وَكَلَّهِمْ يَدٌ
 إِذَا مَسَّتِ الْبُلُوى وَكَلَّهِمْ قَمٌ
 وَمَنْ لَمْ يَجِدْ الْيَوْمَ يُنْقِذْ عَزَّهُ
 فَمَا غَدُهُ إِلَّا الْهَوَانُ الْمَجْسَمُ
 جَزَى اللَّهُ قَوْمًا جَاهِدُوا دُونَ مَجْدِهِمْ
 وَمَاتُوا كِرَامًا وَالْقَضَاءُ مُحْتَمٌ
 جَزَى اللَّهُ أَحْيَاءً إِذَا ذَكَرُوا الْوَفَا
 وَمَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِ الْوَفَاءِ تَرَحَّمُوا
 حَمَى النَّاسَ مَا بَثُّوا مِنَ الْخَيْرِ وَالْهَدَى
 وَمَا عَمَلُوا مِنْ صَالِحَاتٍ وَقَدَّمُوا
 وَمَنْ لَمْ يَجِدْ مِنْ نَفْسِهِ مَخْرَجًا لَهَا
 فَلَيْسَ لَهُ مِنْ مَخْرَجٍ يَوْمَ يَنْدَمُ
 وَيَا رَبَّ شَاكَ يَشْتَكِي مِنْ فَعَالِهِ
 وَظَالِمَةِ بَيْنِ الْوَرَى تَتَظَلَّمُ
 إِذَا الْمَرْءُ لَمْ تَحْسَمِ أَمَانِيهِ نَفْسُهُ
 فَإِنْ حُسَامَ الْمُعْتَدِي لَيْسَ يَحْسَمِ
 وَلَيْسَ الْفَتَى مِنْ لَيْسَ يَحْمِي دِيَارَهُ
 وَيُدْفَعُ عَنْهَا مَنْ عَدَا حَيْثُ يَهْجُمُ
 أُيْخِذَلُ مَنْ كَانَ الْإِلَهُ نَصِيرَهُ
 وَأُمْنَتُهُ تَحْنُو عَلَيْهِ وَتَرَامُ



طَرِيرَ الشُّبَا إِنَّ السَّيُوفَ كَلِيلُهُ
 إِذَا قِيلَ سَعْدٌ فِي الْمَعَامِ يُرْزَمُ
 وَمَا فِي الْهَدَى شَكٌّ لَنْ طَلَبَ الْهَدَى
 إِذَا قِيلَ يُسَدِّي النِّصْحَ سَعْدٌ وَيَلْحَمُ

وَأَحْسَبُ بَنِي أَبَدْتُ حَتَّى كَأَنَّمَا
أَنَا أَنْتَ أَوْ حَتَّى كَأَنِّي مُلْهِمٌ
وَأَحْسَبُ إِذْ تَمْضِي شَبَابِي مُضِيَّهَا
شَبَابُكَ لَا تَنْبُو وَلَا تَتَثَلَّمُ



أَحْبَابِي هَزَنَتْنِي إِلَيْكُمْ صَبَا الْحِمَى
وَأَرْوَاحُ مَصْرٍ عَنْ شَذَا «الْكَرْخِ» تَنْسِمُ
فَرُحْتُ أَدَارِي الْحَبَّ ثُمَّ أُذِيْعُهُ
وَأُعلنُ أَحْيَاناً هَوَاكُم وَأَكْتُمُ
وَمَا بِكَ يَا مَصْرُ بِبَغْدَادَ نَازِلُ
وَفِي «جِلْقٍ» أَدْهَى وَفِي الْقُدْسِ أَجْسَمُ
هَنَالِكَ أَحْشَاءُ تَذُوبُ وَهَهْنَا
قُلُوبٌ مَتَى حَرَكَتَهَا تَتَضَرَّمُ
إِذَا مَا تَوَالَى جُرْحُنَا وَتَعَذَّرَتْ
مَرَاهِمُهُ فَالْجَرْحُ لِلْجَرْحِ مَرْهَمُ
سَتَجْمَعُنَا الْآيَامُ، وَالْخَيْرُ ضَاكُ
يَعْمُ الْوَرَى وَالشَّرُّ يَبْكِي وَيَلْطِمُ
وَلِلْعَدْلِ فِي كُلِّ الْمَوَاضِعِ مَوْسَمُ
وَلِلظُلْمِ فِي كُلِّ الْمَوَاقِعِ مَأْتَمُ
أَبَى الْغَرْبِ مِنْ أَنْ يَنْجَلِيَ بِاخْتِيَارِهِ
عَنْ الشَّرْقِ حَتَّى يَنْجَلِيَ وَهُوَ مُرْغَمُ
وَأَعْظَمُ مَا أَذْكَى الْحَشَى زَعْمُ جَاهِلِ
بِأَنْ سَيَسُودُ الْقَوْمَ مِنْ حَيْثُ يَزْعُمُ
وَكَمْ مِنْ دَعِيٍّ فِي الْوَرَى عَدَّ نَفْسَهُ
سَنَاماً وَإِنْ مَحَصَّتْهُ فَهُوَ مَنْسَمُ

يدبّ عليها مثلما دبّ عقربٌ
وينساب فيها مثلما انساب أرقم
هدايته للحائرين ضلالةً
وجنته للبائسين جهنم
ويحسب ما جاءت به كلُّ كرمةٍ
زيباً تعدى نضجه وهو حصرم
وذات جمالٍ تيمّ الناس حسنها
فظلت وكلُّ في هواها متيم
تتيه دلالاً وهي عذراء عانس
وتزداد تيتها وهي شمطاء أيم
فمجتهد من وصلها نال ما اشتهى
ومتئد قد بات بالوصل يحلم



سمعتُ بقلبي ضجةً ورأيتُني
أصيح ولا أدري من المتكلم
ويممت وجداني فصاح بي الجوى
وقد هزني الوجدان أين تُيّم
وعدت لقلبي والتفت إلى الحمى
إذا أنا بين القوم لا أتقدم
فقلت لنفسي ما الذي حال بيننا
فقالت ضئى يدهى النفوس ويدهم



أغالط نفسي والشكوك كثيرة
وأعلم أنني بالحقيقة أعلم

وعندي من الأنبياء ما لو نثنته
لألم قوماً والحقيقة تؤلم
أحاول أن أبني هياكل لا تهي
من الكلام الباقي ولا تتهدم
ينهنهني أمر الأساة ونهيهم
وما قد أباحوا من علاج وحرموا
فيدفع عني القول أني مدنف
ويدفعني للقول أني مغرم
وقد هزني التطراب حتى كأنما
أناشيد «سعد» في بلادي ترنم
نطقت وقواد القوافي صوامت
وجيش المعاني والبيان عرمم
فقال إله الشعر إنني أبتدي
وقال إله الشعر إنني أختم

من: «معلقات الكاظمي»

معروف الرصافي

الأرملة المرضعة

لَقَيْتُهَا لِيَتَنِي مَا كُنْتُ أَلْقَاهَا
تَمْشِي وَقَدْ أَثْقَلَ الْإِمْلَاقُ مَمْشَاهَا
أَثْوَابُهَا رَثَّةٌ وَالرَّجْلُ حَافِيَةٌ
وَالْدَمْعُ تَذْرِفُهُ فِي الْخَدِّ عَيْنَاهَا
بَكَتْ مِنَ الْفَقْرِ فَاحْمَرَّتْ مَدَامُعُهَا
وَاصْفَرَّ كَالْوَرَسِ مِنْ جُوعٍ مُحْيَاهَا
مَاتَ الَّذِي كَانَ يَحْمِيهَا وَيُسَعِدُهَا
فَالْدَهْرُ مِنْ بَعْدِهِ بِالْفَقْرِ أَشْقَاهَا
الْمَوْتُ أَفْجَعُهَا، وَالْفَقْرُ أَوْجَعُهَا
وَالْهَمُّ أَنْحَلَهَا، وَالْغَمُّ أَضْنَاهَا
فَمَنْظَرُ الْحَزَنِ مَشْهُودٌ بِمَنْظَرِهَا
وَالْبُؤْسُ مَرَأَهُ مَقْرُونٌ بِمَرَأَتِهَا
كَرُّ الْجَدِيدِينَ قَدْ أَبْلَى عِبَاءَتَهَا
فَانْشَقَّ أَسْفَلُهَا وَانْشَقَّ أَعْلَاهَا
وَمَزَّقَ الدَّهْرُ - وَيلَ الدَّهْرِ - مِئْزَرَهَا
حَتَّى بَدَأَ مِنْ شُقُوقِ الثَّوْبِ جَنْبَاهَا

- معروف عبدالغني الرصافي.

- ولد ببغداد عام ١٨٧٥، وتوفي عام ١٩٤٥.

- درس في حلقات بغداد الدينية والمدارس العثمانية.

- عمل في التعليم وفي الصحافة، وانتخب نائباً في البرلمان.

تمشي بأطمارها والبرد يلسعها
كأنه عقربٌ شالت زباناها
حتى غدا جسمُها بالبرد مُرتجفاً
كالغصن في الريح واصطكت ثناياها



تمشي وتحمل باليسرى وليدتها
حملاً على الصدر مدعوماً بيمنها
قد قَمَطَتْهَا بِأَهْدَامٍ مُمَزَّقَةٍ
في العين مَنَشْرُهَا سَمَجٌ ومطواها
ما أنسَ لا أنسَ أَنِّي كُنْتُ أَسْمَعُهَا
تشكو إلى ربِّها أوصابَ دنياها
تقول: يا ربَّ لا تتركْ بلا لبنٍ
هذي الرضيعة وارحمني وإياها
ما تصنع الأمُّ في تربيـب طفـلتها
إنَّ مَسَّهَا الضـرُّ حَتَّى جَفَّ ثديـها
يا ربَّ ما حيلتي فيها وقد ذبلتْ
كزهرة الروض فَقَدْ الغيثِ أَظْمَاها
ما بألها وَهِيَ طوْلَ اللَّيْلِ باكيةً
والأمُّ سَاهِرَةٌ تبكي لمبكاها
يكاد ينقـدُّ قلبي حين أنظرها
تبكي وتفتح لي من جوعها فاها
ويُلَمُّها طفلةٌ باتت مُرْوَعَةً
وبتُّ من حولها في الليل أرعاها
تبكي لتشكو من داءِ ألمِّ بها
ولست أفهم منها كُنْهَ شكواها

قد فاتها النطقُ كالعجماء أرحمها
ولستُ أعلمُ أيَّ السقمِ أذاها
ويحَ ابنتي إن ريبَ الدهرِ رَوَّعها
بالفقرِ واليُتَمُّ أهاً منهُما أها
كانت مصيبتُها بالفقرِ واحدةً
وموتُ والدها باليُتَمِّ ثنائها



هذا الذي في طريقي كنتُ أسمعُه
منها فأتُّر في نفسي وأشجاها
حتى دنوتُ إليها وهْيَ ماشيةً
وأدمعي أوسعتُ في الخدِّ مَجراها
وقلتُ: يا أختُ مهلاً إنني رجلُ
أُشاركُ الناسَ طُراً في بلاياها
سمعتُ يا أختُ شكوى تهمسين بها
في قالةٍ أوجعتُ قلبي بفحواها
هل تسمحُ الأختُ لي أني أشاطرها
ما في يدي الآنَ أسترضي به اللِّها
ثم اجتذبتُ لها من جيبِ ملحفتي
دراهماً كنتُ أستبقي بقاياها
وقلتُ: يا أختُ أرجو منك تَكْرُمَتي
بأخذها دونَ ما مَن تَغشَّاهَا
فأرسلتُ نظرةً رعشاءَ راجفةً
ترمي السهامَ وقلبي من رماياها
وأخرجتُ زَفَراتٍ من جوانحها
كالنار تصعد من أعماق أحشاهَا

وأجهشتُ ثمَّ قالت وهي باكِيَّةُ
واهاً لثلك من ذي رَقَّةٍ واهِا
لو عمَّ في الناس حسٌ مثلُ حسِّك لي
ما تاه في فُلوات الفقرِ من تاهِا
أو كان في الناس إنصافٌ ومَرحمةُ
لم تشكُّ أرملةٌ ضَنكاً بدنياها



هذي حكايةُ حالٍ جئتُ أذكرها
وليس يخفى على الأحرارِ مَغزاهِا
أولى الأنامِ بعطفِ الناسِ أرملةُ
وأشرفُ الناسِ مَنْ في المالِ واساهِا

من: «شرح ديوان معروف الرصافي»

بعد البين

لقد طوّحتني في البلاد مُضاعاً
طوائحُ جاءت بالخطوبِ تباعاً
فبارحتُ أرضاً ما ملأتُ حقائبِي
سوى حبّها عند البراحِ متاعاً
عتبتُ على «بغداد» عتبَ مُودّعٍ
أمضتُه فيها الحادثاتِ قِراعاً
أضاعتني الأيامُ فيها ولو درتُ
لعزّ عليها أن أكون مُضاعاً
لقد أرضعتني كلَّ خسفٍ وإنني
لأشكرُها أن لم تُتمّ رضاعاً
وما أنا بالجاني عليها وإنما
نهضتُ خِصاماً دونها ودِفاعاً
وأعلمتُ أقلامي بها عِربيّةً
فلم تُبدِ إصغاءً لها وسماعاً
ولو كنتُ أدري أنها أعجميّةٌ
تَخِذتُ بها السيفَ الجُرّازَ يِراعاً
ولو شئتُ كايّلتُ الذين انطوّأ بها
على الحقدِ صاعاً بالعداءِ فصاعاً
ولكنّ هي النفسُ التي قد أبّت لها
طباعُ المعالي أن تسوءَ طباعاً
أبيّتُ عليهم أن أكونَ بذلةً
وتأبى الضواري أن تكونَ ضِباعاً

على أنني داريتُ ما شاءَ حقدُهم
فلم يُجدِ نفعاً ما أتيتُ وضاعا
وأشقى الورى نفساً وأضيّعُهم نُهى
لبيبٌ يُداري في نُهاه رعاعا



تركتُ من الشعور المديحَ لأهله
ونرّهتُ شعري أن يكون قِذاعا
وأنشدته يجلو الحقيقة بالنهى
ويكشف عن وجه الصواب قِناعا
وأرسلته عفواً فجاء كما ترى
قوافي تجتاب البلاد سِراعا



وقفتُ غداة البين في «الكرخ» وقفةً
لها كربتُ نفسي تطير شعاعا
أودّع أصحابي وهم مُحدقون بي
وقد ضقتُ بالبين المشتّ ذراعاً
أودّعهم في «الكرخ» والطُرفُ مُرسِلُ
إلى الجانب الشرقيّ منه شعاعاً
وأدعمُ رأسي بالأصابع مُطرقاً
كأنّ برأسي، يا أميم، صُداعا
وكنْتُ أظنّ البين سهلاً فمذ أتى
شَرى البين مني ما أراد وباعاً
وإني جبانٌ في فراق أحبّتي
وإن كنتُ في غير الفراق شجاعاً
كأني وقد جدّ الفراقُ سفينّةً
أشالت على الريح الهجوم سِراعا

فمالت بها الأرواح والبحر مائج
وقد أوشكت الواحها تتداعى
فتحسبني من هزة في أفدعاً
ترقى هضاباً زلزلت وتلاعا
فما أنا إلا قومة وانحناءة
وسر أذاعته الدموع فذاعا



رعى الله قوماً «بالرُصافة» كلما
تذكرتهم زاد الفؤاد نزاعا
أبيت وما أقوى الهموم بمضجع
تصارعني فيه الهموم صراعا
والهو بذكراهم على السير كلما
هبطت وهاداً أو علوت يفاعا
هم القوم أما الصبر عنهم فقد عصى
وأما اشتياقي نحوهم فإطاعا
لقد حكمتوني في الأمور فلم أكن
لأنطق إلا أمراً ومطاعا
فلست أبالي بعد أن جد بينهم
زجرت كلاباً أم قحمت سباعا
سلام على «وادي السلام» وإنني
لأجعل تسليمي عليه وداعا
له الله من واد تكاسل أهله
فباتوا عطاشاً حوله وجياعا
رأهم عبيداً فاستبد بمائه
ولم يجر بين المجذبات مشاعا

جرى شاكرًا صنعَ الطبيعةِ إنها
أبانت يداً في جانبيه صنّاعا
وما أنسَ لا أنسَ الميَاهَ «بدجلة»
وإنْ هي تجري في العراق ضياعا
ولو أنها تسقي العراق لما رمتْ
به الشمسُ إلا في الجنان شُعاء
وما وجدتْ ريحٌ وإنْ قد تَنَاحَتْ
مَهَبًا به إلا قُرى وضِيعا
سأجري عليها الدمعَ غيرَ مُضِيعٍ
وأنْدبُ قاعاً من هناك فقاعا
وأذكر هاتيك الرباعَ بحُسْنِها
فَنِعَمْتُ على شَحَطِ المزارِ رباعا

(١٩٠٨)

من: «شرح ديوان معروف الرصافي»

الغروب

نزلتُ تجرّ إلى الغروب ذيولا
صفراءُ تُشبه عاشقاً متبولاً
تهتزّ بين يد المغيب كأنها
صبٌّ تملّمل في الفراش عليلاً
ضحكتُ مشارفها بوجهك بُكرةً
وبكتُ مغاربها الدماءُ أصيلاً
مذ حان في نصف النهار دلوّكها
هبطتُ تزيد على النزول نُزولاً
قد غادرتُ كبد السماء منيرةً
تدنو قليلاً للأفول قليلاً
حتى دنتُ نحو المغيب ووجهها
كالورسِ حال به الضياء حيولاً
وغدتُ بأقصى الأفق مثل عرارةٍ
عطشتُ فأبدتُ صُفرةً وذبولاً
غربتُ فأبقتُ كالشُّواظ عقيبها
شفقاً بحاشية السماء طويلاً
شفقُ يروع القلبَ شاحب لونه
كالسيف ضُمخ بالدمّ مسلولاً
يحكي دم المظلوم مازج أدمعاً
هملتُ بها عينُ اليتيم هُمولاً

رَقَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ الَّذِي
فِي الْأَفْقِ أَشْبَعَ عُصْفُراً مَحْلُولَا
شَفَقُ كَأَنَّ الشَّمْسَ قَدْ رَفَعَتْ بِهِ
رَدْنًا بِذُوبِ ضِيَائِهَا مَبْلُولَا
كَالْخَوْدِ ظَلَّتْ يَوْمَ وَدَّعَ الْفُهَا
تَرْنُو وَتَرْفَعُ خَلْفَهُ الْمُنْدِيَا
حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ وَغَادَرَتْ
وَجْهَ الْبَسِيطَةِ كَاسْفًا مَخْذُولَا
فَكَأَنَّهَا رَجُلٌ تَخَرَّمَ عِزَّهُ
قَرَعُ الْخَطُوبِ لَهُ فِعَادٌ ذَلِيلَا
وَانْحَطَّ مِنْ غُرْفِ النَّبَاهَةِ صَاغِرًا
وَأَقَامَ فِي غَارِ الْهَوَانِ خُمُولَا



لَمْ أَنْسَ قَرَبَ «الْأَعْظَمِيَّةِ» مَوْقِفِي
وَالشَّمْسُ دَانِيَّةٌ تَرِيدُ أَفْوَلَا
وَعَنِ الْيَمِينِ أَرَى مَرْوَجَ مَزَارِعِ
وَعَنِ الشَّمَالِ حَدَائِقًا وَنَخِيلَا
وَتَرْوَعُ قَلْبِي لِلدَّوَالِي نَعْرَةً
فِي الْبَيْنِ يَحْسِبُهَا الْحَزِينُ عَوِيلَا
وَوَرَاءَ ذَاكَ الْبَزْرَعِ رَاعِي تُلَّالَةٍ
رَجَعَتْ تَوْؤَمٌ إِلَى الْمَرَاحِ قُفُولَا
وَهَنَّاكَ ذُو بَرْدُونَتَيْنِ قَدْ انْثَنَى
بِهِمَا الْعِشْيُ مِنَ الْكَرَابِ نَحِيلَا
وَبِمَنْتَهَى نَظَرِي دُخَانٌ صَاعِدٌ
يَعْلُو كَثِيرًا تَارَةً وَقَلِيلَا

مدّ الفروع إلى السماء ولم يزل
بالأرض متّصلاً يمدّ أصولاً
وتراكبت في الجوّ سوداً طباقه
تحكي تلولا قد حملن تلولا
فوقفت أرسل في المحيط وفي المدى
نظراً كما نظر السقيم كليلاً
والشمس قد غربت ولما ودعت
أبكت حزوناً بعدها وسهولاً
غابت فأوحشت الفضاء بكُدرةٍ
سَقَم الضياءُ بها فزاد نحولاً
حتى قضت روح الضياء ولم يكن
غير الظلام هناك عزرائيلاً
وأتى الظلام دُجْنَةً فدجْنَةً
يُرخي سُدولاً جمّةً فسُدولاً
ليلٌ بغيهبه الشخوص تُلْقَعُ
فظاللت أحسب كلَّ شخصٍ غُولا
ثم انثنيت أخوض غمرَ ظلامه
وتَخِذْتُ نجمَ القطب فيه دليلاً
إن كان أوحشني الدجى فنجومه
بعثت لتؤنسني الضياء رسولاً
سبحان من جعل العوالم أنجماً
يسبحن عَرْضاً في الأثير وطُولا
كم قد تصادمت العقولُ بشائنها
وسعت لتكشف سرّها المجهولاً

لا تحتقرْ صِغَرَ النجومِ فإنما
أرقى الكواكبِ ما استبان ضئيلاً
دارت قديماً في الفضاءِ رحى القوى
فغدا الأثيرُ دقيقُها المنخولا
فاقرأ كتابَ الكونِ تَلَقَّ بمتنه
آياتِ رَبِّكَ فَصَّلَتْ تفصيلاً
ودع الظننَّ فلا وربَّكَ إنها
لم تُغْنِ من علمِ اليقينِ فتية

من: «شرح ديوان معروف الرصافي»

محمد رضا الشبيبي

شهيد الدفاع

في رثاء الشهيد محمد سعيد الحبوبى

عَمَّ النُّغُورَ المُّوحِشَاتِ ظِلَامُ
وَدَجَّتْ لَأَنَّكَ تُغْرِهَا البَسَامُ
طَوَتْ الفِیَالِقُ نُكْسَاءَ أَعْلَامُهَا
إِذْ لَیْسَ تَخْفُقُ بَعْدَكَ الْأَعْلَامُ
رَابَطَتْ فِي ثَغْرِ الْعِرَاقِ، وَثَغْرُهَا
يُحْمَى الْحِجَازُ بِسَدِّهِ وَالشَّامُ
سَقَطَ الَّذِي شَيِّدَتْ مِنْ أَرْكَانِهِ
وَأُعِيدَ فِيهِ النِّقْضُ لَا الْإِبْرَامُ
رَامَ الْعَدُوُّ بِكَ الْوُثُوبَ فَأَدْرَكُوا
مَنْ غَيْرَ أَنْ يَتَكَلَّفُوا مَا رَامُوا
صَالَتْ عَلَى تِلْكَ الْمَنْيَّةِ أَخْتُهَا
وَسَطَا عَلَى ذَاكَ الْحِمَامِ حِمَامُ
لِلَّهِ تَسْعَةُ أَشْهُرٍ مَوْصُولَةٍ
طَالَتْ عَلَيْكَ فَكُلُّ شَهْرٍ عَامُ

- محمد رضا بن محمد جواد بن محمد بن شبيب،
- ولد في مدينة «النجف» عام ١٨٨٩، وتوفي عام ١٩٦٥.
- درس في الحلقات العلمية في النجف الأشرف.
- منحه جامعة القاهرة سنة ١٩٥٠ مرتبة الدكتوراه الفخرية في اللغة العربية والدراسات الإسلامية.
- كان رئيساً للمجمع العلمي العراقي سنوات طويلة، وانتخب عضواً في مجلس النواب أكثر من مرة، وعين وزيراً للمعارف.
- له: «ديوان الشبيبي» ١٩٤٠.

شهرُ الصَّيامِ أتى فراعكَ أنه
 في ظلِّ غيرِ المُسلمينِ يُصام
 شهرُ الإِطاعةِ والعبادةِ خائفُ
 من أن تُطاعَ وتُعبدَ الأصنامُ
 فأرَقَتْه لا ذلك اللَّيلُ الَّذي
 يُحيا ولا تلك الصَّلَاةُ تُقام
 لك في الدِّفاعِ مُوقِّراً أجراً الألى
 في التُّغْرِ صَلُّوا خاشعينَ وصاموا
 ما كنتَ تُؤثِّرُ في جهادِكَ لَدَّةً
 فيسُوءُ شَرْبٌ أو يطيِّبَ طعام
 قَلِقٌ وغيرُكَ ساكِنٌ، ومُسَهَّدٌ
 والمُسلمونَ مُهَوِّمونَ نِيام
 ما حُبُّهُمْ لك حُبُّ راجٍ حُظْوَةٍ
 في الحُبِّ بل هُوَ لَوَعَةٌ وغِرام
 عَلِمَ الرِّجَالُ الحاملُوكَ بأنَّهم
 حَمَلُوا الصَّلَاةَ فَكَبَّرُوا وأقاموا
 فَعَلَيْكُمْ ما منَ ذاهِبَيْنِ تحيَّةُ
 وعليكما من غاديَيْنِ سلام
 إذ لستَ وحدَكَ في الحقيقةِ ذاهباً
 طيَّ السَّـمِّ الرَّدَى بل أنتَ والإسلام
 الآنَ لَمَّا غَيَّبُوكَ تَيَقَّنُوا
 أنَّ الحِياةَ جَمِيعُها أَحْلام
 أين الذي بثباته ثَبَّتَ الوَرَى
 وتَزَلَّزَتْ مِنْ بَعْدِهِ الأقدامُ؟
 أبا الفريقِ البائسينَ كفَلْتَهُم
 ورعيَتَهُمْ فإذا هُمْ أَيْتام

أَدْرَكَتْ أَنْ سَتَدُولُ مَنَّا دَوْلَةً
وَعَلِمَتْ أَنْ سَتُبَدِّلُ الْأَحْكَامَ
وَتُكَذِّبُ الْآيَاتُ - وَهِيَ حَقَائِقُ
مَجْلُوءَةٌ - وَتُصَدِّقُ الْأَوْهَامَ
تَرُكُ الْإِقَامَةَ فِي الْمَقَامِ فَرِيضَةً
وَتَطْلُبُ الْبَيْتَ الْحَرَامَ حَرَامَ
قُدَّتِ الْقَبَائِلُ بِالْإِمَامَةِ فِيهِمْ
فَمَنْ الْإِمَامَةُ فِي يَدَيْكَ زِمَامُ
شَافَهُتَهُمْ بِالْدُرِّ وَهُوَ مَبَاسِمُ
وَأَخَذْتَهُمْ بِالسَّحْرِ وَهُوَ كَلَامُ
كَلِمٍ بِهَا وَبِمُعْجَزَاتٍ مِثْلِهَا
تُجَلِّي الْعُقُولُ، وَتُصَقِّلُ الْأَفْهَامَ
أَصْلَحَتْ شَأْنَهُمْ وَكَانُوا عَصَبَةً
لَا الدِّينُ يَخْجِرُهُمْ وَلَا الْأَرْحَامُ
أَيْدِيُؤْتَلْنَ التَّنْائِ وَأُنْعَمُ
لَكَ فِي رِقَابِ الْمُسْلِمِينَ جِسَامُ
خَلَدُنْ ذَكَرَكَ لَيْسَ تُدْرِكُ تِلْكَ
مِنْهُ السَّنُونَ الْغُبُرُ، وَالْأَعْوَامُ

(١٩١٥)

من: «ديوان الشيباني»

دمشق وبغداد

نظمت حينما أذاع الإنجليز سنة ١٩١٨ في
العراق أنهم - لا العرب - أخذوا دمشق الشام

ماذا بنا وبذي الديار يُراد؟
فقدت دمشق وقبلها بغداد
من موطن الميلاذ قامت نُزْعاً
خيلُ لهنَّ بجِلَقٍ ميعاد
ساعت وقائِعُها وماسُرتُ بها
لا الهجرة الأولى، ولا الميلاذ
وردت مياه الرافدين مُغيرةً
شُقِرُ من القُبِّ البطونِ وِراد
هُجُنْ طَرَدَنَ من الجِياد كرائمًا
عربيَّةً فكائِنهنَّ جِياد
(بردى) وأودية (الفرات) و(دجلة)
و(النيل) غصَّ بمائكِ الوُراد
حال العلوج من الأحامر بيننا
وتَعَدَّرَ الإصدارُ والإيراد
لا ساعَ - يا بردى - الشرابُ ولا هنا
عَذْبُ من الماء القَرّاح يُراد
نبأ باعلى (قاسيون) تجاوبتُ
بِدويّه الأغوار والأنجاد

وأصاب بحر الروم حتى عَبَّرَتْ
عن شجوه الأمواج والأزبياد
حَوْلانِ حالُ الشرقِ حالتَ فيهما
لا تَلَكُمُ الأحقابُ والأبياد
الشرقُ مُسَوِّدَ الجوانبِ كُلِّهِ
ليس العراقُ، وما لديه سَواد
أعيادُ هذا الشرقِ صِرْنَ مَاتِمًا
لكنَّها لَعُدَاتُنَا أعياد
الجودُ وهو مُقَطَّبٌ مُتَجَهِّمٌ
يبكي لنا، والأرضُ، وهِيَ جماد
لسنا نَحُدُّ عليكِ يوماً واحداً
أو ليلةً، كلُّ الزمانِ حِداد
شلَّ العُدَّةُ جموعَنا فتفرَّقتُ
في الخافقينِ كأنَّها أدواء
أحادُهم فينا جموعُ جَمَّةٍ
مرهوبةً، وجموعُنا أحاد
في كلِّ يومٍ للعدو مَهَابَةٌ
فينا تقوُّمُ، وقدرَةُ تَزْدَاد
يا راكبينِ إلى دمشقَ تزودوا
منَّا السلامُ، لكلِّ ركبٍ زاد
المُلكُ مُضْطَرِبُ النظامِ، كأنه
جسدٌ، دمشقُ الشامُ منه فؤاد
هل في مُروجِ الغوطتينِ لأهلها
ولرائديها مَرَبِّعٌ وَمَراد؟

وهل الرُّبَا حُلِّلَ ضَوَافٍ طُرِّزَتْ
 وطِـرَازُهَا الْأَزْهَارُ وَالْأُورَادُ؟
 وَثَبِيتَ مِنَ الرُّوْضِ الْأَرِيْضِ مَطَارِفُ
 خُضْنِ الْأَدِيمِ، وَفُوقَتْ أَبْرَادُ
 بَيْنِ الْغُصُونِ وَمِنْ مَشْيَيْنَ تَشَابَهُ
 فِي الْحَالِ، كُلُّ مُوْرِقٍ مَيَّادُ
 تِلْكَ الْقُصُورُ كَأَنَّهُنَّ قَلَائِدُ
 فَوْقَ الشُّطُوطِ كَأَنَّهُا أَجْيَادُ
 أَوْ مَا تَزَالُ عَلَى مَعَاهِدِ جِلْقِ
 تَرْدِ الضِّيَوفِ وَتَصَدْرُ الْوُرَادُ؟
 يَحْلُو لَهَا هَذَا الْقَرِيْضُ مُهَذَّباً
 وَيَرْوِقُهَا الْإِنْشَاءُ وَالْإِنْشَادُ
 غَدَتِ الْعَوَاصِمُ خِطَّةً مَغْزُوءَةً
 لَا الْخَيْلُ تَعَصِمُهَا، وَلَا الْأَجْنَادُ
 لَا (أَلْ حَمْدَانِ) وَلَا أَيَّامُهُمْ
 فِيهَا لِهَاتِيكَ الثَّغُورُ سِدَادُ
 الْمُصَلِّتُونَ سَيُوقَفُهُمْ لَيْسَتْ لَهَا
 إِلَّا رِقَابَ عُدَاتِهِمْ أَغْمَادُ
 أَخَذُوا الْمُضَاقِقَ، وَالدُّرُوبُ تَغْلُغَلُ
 فِيهَا الْجِيُوشُ، وَأَمْعَنَ الْقُؤَادُ
 ضَاقَتْ عَلَى سَعَةِ الْمَجَالِ بِجُنْدِهِمْ
 شَعَفَ الْجِبَالُ، وَغَصَّتِ (الْأَسْنَادُ)
 سَمِعُوا الصَّرِيخَ فَأَنْعَمُوهُ إِجَابَةً
 مَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّهُمْ أَنْجَادُ

رُزِيَ الصَّلاحُ صلاحُ دينِ مُحَمَّدٍ
والفَاتِحَانِ (مُحَمَّدٌ) و(مُرَاد)
الذَّاهِبُونَ مَضَى لَنَا بِذَهَابِهِمْ
فِي اللَّهِ جِدٌّ دَائِمٌ وَجِهَادٌ
خُنَّا ذِمَامَ الْفَاتِحِينَ وَعَهْدَهُمْ
مَا هَكَذَا تُسْتَنْجَبُ الْأَوْلَادُ
إِنَّا بِمَا نَجْنِي وَهُمْ فِي مَا جَنَوْا
بِئْسَ الْبَنُونَ وَنِعْمَتِ الْأَجْدَادُ
كَانَتْ حَفَائِظُ (يَعْرَبُ) إِنْ صُولِيْتُ
نَاراً، وَنَارُ الْآخِرِينَ رَمَادُ
إِنِّي يُذَكِّرُنِي الشَّهَامَةُ (عَنْتَرُ)
فَيْنَا وَوَالِدُ (عَنْتَرِ) (شَدَادُ)
وَيَهْزَنِي عَصْرُ (الْعِرَاقِ) تَسْوِسُهُ
(لَحْمٌ) و(أَلٌ مُّحَرَّقٌ) و(إِيَادُ)

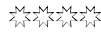


يَأْيُهَا الْجِيلُ الطَّرِيدُ كَمْ انْقَضَتْ
فِي مَا تُحَاوِلُ غَارَةً وَطِرَادُ
وَعَدْتُ بِغَرْبَتِكَ الرُّوَاةُ وَإِنَّهُ
حَنْتُمْ عَلَيْكَ كَمَا بُدِئْتَ تُعَادُ
مِمَّا أَضَعْتُمْ مِنْ تَرَاثٍ (بَابِلُ)
و(مَصَانِعُ الْخُلَفَاءِ) و(الْأَسْدَادُ)
لَمْ تَخْلَفُوا بَانِي (السَّيْدِ) بِمَا بَنَى
وَمُشَيِّدِيهِ بِمَا أَتَوْهُ وَشَادُوا

لولا التفكرُ في مصير بلادكم
تأله ما ضاقت عليّ بلاد
إني أبيت لأجلها مُتملماً
قلِقَ الوسادِ وما لديّ وساد
أضدادكم مُتساندون قد اجتنوا
ثمرَ الوفاقِ وأنتم أضداد
نبذوا لكم ثمنَ البلادِ وفيكم
من لا يُشكّ بأنهم أجواد
وعَدوكم الإصلاحَ فلتتوقعوا
برقاً جوانبُ وعده إيعاد
إطلاقُ أيدينا على أيدي العدى
رقٌ وفكٌ إسرارنا استعباد



مدّوا الحديدَ وما اهتزتُ لمدّه
سكّ الحديدِ بأرضنا أصفاد
طُرِقَ الحديدِ إذا التوت وتشابكت
شركٌ به شرفُ العراقِ يُصاد



ما ولّد الآثارَ إلا معشرُ
حرّكو الطباعَ وجودهم إيجاب
القومُ ملّحَ بالحديثِ قديمهم
فرّقوا وزينَ بالطريفِ تلاد
ألقي أعنته الهواءُ إليهم
والماءُ ، صعبٌ كليهما مُنقاد

هانتْ على السُّفْنِ الَّتِي مَخَرْتُ بِهِمْ
لُجَجَ المِيَاهِ كَأَنَّهَا أَثْمَاد
كَمْ بَيْنَ مَنْ بَلَغُوا السَّمَاءَ وَبَيْنَنَا
نَحْنُ الَّذِينَ خَيَالُهُمْ مُنْطَاد؟
هَلْ فِي غِيَاضِ (الدَّرْدَنِيلِ) مُجَابِبُ
إِنْ قُلْتُ: لِمَ لَا تَرُزُّرُ الْأَسَاد؟
خُرْسُ الْمُقَاوِلِ نَاطِقُونَ دِهَاهُمُ
رَيْبُ الرُّمَانِ وَغَيْبُ أَشْهَاد
أَسْمَاؤُكُمْ فِيهَا - ظَنَّنَا - جُنَّةُ
مِمَّا نَخَافُ وَعُدَّةُ وَعَتَاد
الصُّدْرُ فِي دَارِ الْإِمَارَةِ (طُلُعَتْ)
وَمُمَالِئُوهُ، وَالْإِمَامُ (رَشَاد)
أَفَادَكُمْ شَنْ الْحُرُوبِ تَتَابَعَتْ
وَأَنَالَكُمْ مَا لَا يُنِيلُ حِيَاد؟
رَفَعَ الْخِيَالَ لَكُمْ، وَقَرَّبَ رَوْضَةً
غَنَاءَ تُسْقَى بِالْمُنَى وَتُجَاد
تَمَرُّ دَنَا مِنْهُ الْقِطَافُ - زَعَمْتُمْ
سَفَهَا - وَزَرَعُ مِنْهُ حَانَ حَصَاد
رَفَعَ الْهَلَالَ عَنِ السَّمَاءِ وَقَدْ خَبَا
أَوْ كَادَ ذَاكَ الْكَوْكَبُ الْوَقَّاد
لِلَّهِ أَكْتَادُ عَوَاتٍ حُمِّلَتْ
مَا لَيْسَ تَحْمِلُ بَعْضُهُ أَكْتَاد
مِنْ كُلِّ قَاصِيَةٍ لِأُخْرَى لَمْ تُخْطُ
تُجَبِّى الْجُنُودُ، وَتُجَلِّبُ الْأُمْدَاد

ما بين (مصر) و(الحجاز) تطأحُنْ
ومن (العراق) إلى (الخليج) جِلاَد
يتزودون من التَّجَلَّد كُلِّمَا
قلَّ المتتاعُ، وخفَّتِ الأزوادُ
ويُعَلِّلون جريحَهُمْ بِأدائه
فَرَضَ الدَّفْعَ كَأَن ذاك ضِمَامُ
يا لِرَزِيَّةٍ كم تُفَرِّقُ بيننا
وتُضِلُّنَا الأضغانُ والأحقادُ
لا تَبْرُدُ الأكبادُ فيما بيننا
حتى تذوبَ ، وتعطبَ الأكبادُ
الآنَ لا (الحَجَّاجُ) فينا قائمُ
لننْزِلَ منه ولا الدَّعْيُ (زياد)
جارتُ علينا عُصْبَةُ رُوحِيَّةُ
شقيتْ بها الأرواحُ والأجسادُ
راجتْ نقائِصُها ولكنْ أَدْنَتْ
برِواجِها أَنَّ الكَمالَ كسادُ
عاداتُها بليتْ وتلك عوائدُ
مِمَّا نَفَتْه لنا (ثمُودُ) و(عاد)
مَلَّتْ مَسامِعُنَا ومَلَّ نَجِيئُنا
مِمَّا يُكْرِرُ ذِكرَهُ ويُعادُ
وَعَظَتْ شُيوخُ لو أَصابتْ لارْعَوَتْ
ولَنالَ منها الوَعْظُ والإرشادُ
لا يَحْسُدون على المعالي أُمَّةُ
وَهُمْ - على عِلَاتِهِمْ - حُسَّادُ

حَسْبُ الْبُغَاةِ الظَّالِمِينَ تَرْبُصُ
بِالْمُسْلِمِينَ ، وَحِيلَةٌ وَكِيدُ
إِنَّ الزَّعَامَةَ سُلِّمَتْ لَزَعَانِفٍ
فِي الشَّرْقِ قَادُوا أَهْلَهُ فَاِنْقَادُوا
اِنْظُرْ إِلَى الْأَعْجَازِ كَيْفَ تَصَدَّرَتْ
وَعِمَائِمُ السَّادَاتِ كَيْفَ تُسَادُ
شَرُّ الْعُصُورِ - وَفِي الْعُصُورِ تَفَاوُتٌ -
عَصْرُ بِهِ تَتَقَدَّمُ الْأَوْغَادُ
أَمَّا مَخَازِيهِمْ فَلَيْسَتْ تَنْتَهِي
وَلَوْ اِنْقَضَتْ وَتَنَاهَتْ الْأَعْدَادُ
وَلَوْ أَنَّ أَشْجَارَ الْبَسِيطِ يَرَاعَةُ
وَالْأَرْضُ دَرَجٌ وَالْبَحَارُ مِدَادُ

(١٩١٨)

من: «ديوان الشيببي»

باطل الحمد ومكذوب الثنا

فتنةُ النَّاسِ - وَقَيْنَا الْفِتْنَا -
باطلُ الحمدِ ومكذوبُ الثَّنَا
رَبِّ جَهَنَّمَ حَوْلَاهُ قَمَرًا
وقبَّيحِ صَيِّرَاهُ حَسَنًا
أيُّهَا المصلِحُ من أخلاقنا
أيُّهَا المصلِحُ ألداءُ هُنَا
كلُّنَا يطلب ما ليس له
كلُّنَا يطلب ذا حتَّى أَنَا
رَبِّمَا تُعْجِبُنَا مُخْضَرَّةً
أَرْبَعُ بِالْأَمْسِ كَانَتْ دِمْنًا
لم تزل - ويحك يا عصرُ أَفْقُ -
عصرُ الْقَابِ كِبَارٍ وَكُنَى
حكمُ النَّاسِ على النَّاسِ بما
سمعوا عنهم وغلَّضُوا الأَعْيُنَا
فاستحالت - وأنا من بعضهم -
أُذْنِي عَيْنًا وَعَيْنِي أذْنَا
إِنَّا نَجْنِي على أَنفُسِنَا
حين نَجْنِي ، ثم ندعو: من جَنَى
بلغ النَّاسُ الأَمَانِي حَقَّةً
وبلغناها ولكنْ بَالْمَنَى

أُخْطِئَ الحَقُّ فَرِيقُ بَائِسٍ
لَمْ يَلُومُونَا وَلَا مَوَا الزَّمَنَّا
خَسِرْتُ صَفَقَتُكُمْ مِنْ مَعْشَرٍ
شَرُّوا الْعَارَ وَبَاعُوا الْوِطْنَ
أَرْخَصُوهُ وَلَوْ اعْتَاضُوا بِهِ
هَذِهِ الدُّنْيَا لَقَلَّتْ ثَمَنُهَا
يَا عَبِيدَ الْمَالِ خَيْرٌ مِنْكُمْ
جَهْلَاءُ يَعْبُدُونَ الْوِثْنَ
إِنَّنِي ذَاكَ الْعِراقِيُّ الَّذِي
ذَكَرَ (الشَّامَ) وَنَاجِي (الْيَمَنَّا)
إِنَّنِي أَعْتَدُ (نَجْدًا) رَوْضَتِي
وَأُرَى جَنَّةَ عَدْنِي (عَدْنًا)



أَيُّهَا الْجِيلُ اكْتَشَفْ لِي حَاضِرًا
كَلِّمَ خَرَّبَ مَاضِيكَ بَنِي
يَنْهَضُ الشَّعْبُ فَيَمْشِي قُدُمًا
لَوْ مَشَى الدَّهْرُ إِلَيْهِ مَا انْتَنَى
غَيْرُ رَاقِي النَفْسِ وَالرُّوحِ فَتَى
وَضَعَ الرُّوحَ وَرَقَى الْبَدَنَّا
حَالَةُ النَفْسِ الَّتِي تُسَعِدُهَا
وَتُزِيلُهَا كُلُّ صَعْبٍ هَيَّئْنَا
فَفَقِيرٌ مَنْ غِنَاهُ طَمَعٌ
وَعَنِيٌّ مَنْ يَرَى الْفَقْرَ غِنًى

من: «ديوان الشيباني»

أحمد الصافي النجفي

التشرد

أبدأ جائلٌ ومالي مَقْرُ
مُزَعِجَاتُ الْحَيَاةِ عِنْدِي كُنُورُ
دَفَعْتُ بِي فِي كُلِّ يَوْمٍ لِأَرْضِ
أَنَا لِلْمَزَعِجَاتِ، عِنْدِي شُكْرُ
سَالِمٌ مِنْ سَامَةِ وَمَلالِ
كَاشَفٌ، كُلُّ بُرْهَةٍ، لِي قُطْرُ
مُزَعِجَاتِي هِيَ الْجَنَاحُ لِرُوحِي
وَبَهَا كُلُّ لَيْلَةٍ لِي وَكُرُ
إِنْ لِي فِي تَشْرِدِي خَيْرَ دُنْيَا
فِي هِنَائِي وَقُرٍّ، وَفِي الدَّرْسِ وَقُرُ
وَبِالْأَمِيِّ الْكَثِيرِ صِقَالُ
وَحَيَاتِي صِرَاعِي الْمُسْتَمِرُّ
عَرَضُوا لِي أَنْ يَشْتَرُوا لِي دَاراً
فَتَرَاءَى فِي ضَمَمِهَا لِي أَسْرُ
أُبْصِرُ الْمَوْتَ فِي الْمَقَامِ بَدَارِ
قَدْ تَسَاوَى لَدِي دَارٌ وَقَبْرُ

- أحمد بن صافي بن السيد قاسم الحسيني.

- ولد في «النجف» عام ١٨٩٧، وتوفي عام ١٩٧٧.

- درس في الحلقات العلمية في مدينة النجف.

- من دواوينه: «الأمواج» ١٩٣٢، «أشعة ملونة» ١٩٣٨، «الأغوار» ١٩٤٤، «التيار» ١٩٤٦، «ألحان الهييب» ١٩٤٩، «هواجس» ١٩٤٩، «حصاد السجن» ١٩٥١، «شرر» ١٩٥٢، «الشلال» ١٩٦٢، «ثمالة الكأس» ١٩٧١، «المجموعة

أَبِيعَ الْحَيَاةَ حُرّاً، بَدَارِ
إِنَّ هَذَا لِصَاحِبِ اللَّبِّ خُسْرُ
أَنَا كَالطَّيْرِ جَائِلٌ، أَلْقُطُ الْحَبَّ
بَ، وَحَبِّي فِي اللَّقْطِ كَالدَّرِّ، شِعْرُ
كَيْفَ فِي دَارِي التَّقَاطِي حَبّاً
كَيْفَ يُشْرَى، وَمَا لَذَا الْحَبِّ سِعْرُ
أَعْلَمُ الْخَلْقَ لَوْ تَأَمَّلْتَ، طَيْرُ
سَائِحُ، فِي الْوُكُورِ لَا يَسْتَقِرُّ
قَدْ تَرَكْتُ الزَّوْجَ خِيْفَةً قَيِّدُ
وَزَوَاجِي بِالْإِدَارِ قَيِّدُ أَمْرُ
وَمُعَزُّ مِنَ الزَّوْجِ طَلَقُ
هَلْ طَلَقُ لِلدَّارِ، أَوْ هَلْ مَفْقَرُ؟
وَأَرَى الدَّارَ قَدْ تَجَرَّرَ زَوَاجاً
وَهُوَ، مِنْ بَعْدُ، لِلْبَنَيْنِ يَجُرُّ
فَأُعَانِي احْتِلَالَ دَارٍ وَرُوحِ
مِنْهُمَا أَصْبَحْتُ يَدِي وَهِيَ صِفْرُ
قَدْ تَخَلَّيْتُ عَنْ عِلَاقِ عَيْشِ
فَأَنَا أَيْنَمَا تَوَجَّهْتُ، حُرُّ
إِنْ جَسَمِي سَجَنُ، وَثَوْبِي سَجَنُ
ثُمَّ عِنْدِي كَالسَّجْنِ، دَارُ وَقْصَرِ
أَحْسَنُ الدُّورِ وَالْمَسَاكِينِ بَيْتُ
إِنْ تَسِيرُ سَارَ، إِذَا تَقَرَّرَ، يَقَرُّ
فَالِدِي الْخِيَامُ أَفْضَلُ دُورِ
فَهِيَ رَمَزُ الْأَسْفَارِ، وَالْأَهْلُ سَفَرُ
نَحْنُ جِئْنَا مُسَافِرِينَ، وَنَمْضِي
فَلِمَاذَا فِي مَرْكَزِ نَسْتَقَرُّ؟

يضحك القصرُ حين يبنيه بانٍ
أملٌ عند ذا، ومن ذاك سُخْر
أنا فُلُكُ، ولي مَرافئُ كُنُورُ
لستُ يوماً، في مرفأٍ أَسْتَقِرُّ
وإذا ما مكثتُ في واحدٍ مِنْ
هـا، فبي من عواصف الدهرِ، كَسُر
وطنني لا يروق، لا ساكنوه
وطنني غيرُ ذا، وأهلوه كُنُور
وطنني فوق عالمي، فوق فكري
وطنني لم يصله، لليوم فكر
ليس يدري بموطنني غيرُ ربِّي
وشعوري، وما دنا منه شِعْر
وطنني مُبْهَمٌ، ويجذب رُوحِي
وطنني السحرُ، إن يكن ثَمَّ سحر
وطنني مُبْهَمٌ، بروحي مُقِيمٌ
إن طلبتُ الوضوحَ، منِّي يَفِرُّ
وطنني الوهمُ، منه أعشق وهماً
منه أحيَا بالوهم، منه أُسَرُّ
وطنني لا يُحسُّه أيُّ صاحٍ
قد تُلاقِيه، حين يغشاك سُكْر
وطنني، إن تُسمِّه «قصرَ عاجٍ»
فلكم قِصْرُكم، كما لي قِصْر
أو تقلُّ لي واللهِ هذا جنونُ
قلتُ يحلُّو الجنونُ، والعقلُ مُرُّ
أنا دنيا، كما تراني بشعري
هل لدنيا بالدار يُمكن حَصْرُ؟!

وإذا ما توسّعت لك روح
لم يسعها إلا خيال وفكر
ولذا طاف في السّما شعراء
ولذاك الباقون، في الأرض قرّوا
ضيق النفس حسبّه أي دار
هو مَيّت، والمَيّت يكفيه قبر
عن مجالي ضاق الوجود فسيحاً
أو يكفي المجال دار وجُدر
لي بكوخي استراحة ومنام
وإذا ما أفقت، منه أفر
مثل غيري، في الصبح أسعى لرزقي
غير أني رزقي فرائد بكر
ليس في رزقنا تكالب بعض
طالبوه قلّوا، وفي الرزق وقّر
جائل، أفحص الوجود بفكري
وعيونني قد لا ترى من يمرّ
فأنا، ليس أعينني ما تراها
لي قلب، وأعين القلب كُنْز
فتراني أسير، والجسم مني
مُسْتَقِرٌّ، والفكر لا يستقرّ
عالمّي لم يحط به الناس علماً
فعليه من عالم الغيب سنّ
حسبوني أعيش فيه شقيّاً
وهو ملآن بالسعادة، ثرّ
فتوخّوا سعادي بهنّاهم
لنواياهم البسيطة، شُكر

عالمي لو رأوه عافوا قصوراً
ومحيطاً، كم فيه سُخْفٌ ونُكْرٌ
ولهاموا معي، وطافوا وجالوا
فرأوا في طوافهم ما يَسُرُّ
أمنوا عالمي، ومن بعد داراً
فهو لُبٌّ، والدارُ عندي قِشْرٌ
أيُّ شأنٍ للدار إن هُيئت لي
وهي من هذه الجواهر صِفْرٌ؟
إن ضمننكم في الدار شعراً كهذا
ثم خالفنكم، فما لي عُذرٌ
وُلِدَ الشعرُ في الفيافي طليقاً
فدهاه في المُنْدَن رِقٌّ وأَسْرٌ
غيرُ شعرِ الفلاة، شعرُ النوادي
إن هذا عِبْدٌ، وذلك حُرٌّ
ليس في ذا سوى زخارفِ زُورٍ
ومن الروح والمشاعر قُفْرٌ
وبهذا تَصْنَعُ ونِفَاقٌ
وبذاك الإِبا، وعِزٌّ، وكِبْرٌ
فاتَّصلْ بالفلاة، إن رُمْتَ شعراً
وخلوداً، فليس في المُنْدَن شعرٌ
جاءني عند رفضي الدار، شعرٌ
خالدٌ، في الخلود يحكيه دهرٌ
فكأنني، إذ كنتُ أرفض داراً
كان يبني عندي من الشعر قصرٌ
غيرَ أني كسرتُ منهم قلوباً
وبقلبي من ذلك الكسر، كَسَرٌ

حار أمري ما بين عطفٍ وردٍ
مثلما ضاق بي من الأمر فكر
ثم أثرت ما اصطفاه شعوري
وشعوري عندي، من الله أمر
فرددت الدارَ الجميلةَ منهم
بعد شكري لهم، وها أنا حُرٌّ
داري الأرض، أوسع الدور طُوراً
وهي بي إن تضيق، لموتي أقرّ
وهي هيهات أن تضيق بمثلي
إن يضيق سطحها، فما ضاق صدر
سوف يبقى أسطورة الدهر رفضي
ما حكاها من الأساطير سطر
ربما عدها فريق جنوناً
وفريق بصدقها لا يُقرّ
فهي حقاً غريبة مثل شخصي
مثلها في غرابة لي فكر

من: «المجموعة الكاملة لأشعار أحمد
الصافي النجفي غير المنشورة»

نخيل صيدا

يا نخلَ صيداء، لي هيَّجتَ أحزاننا
ذُكِّرتَ من وطني، أهلاً وجيراننا
ما لاح طلعُك لي إلا وذُكِّرتني
ربيعَ ريفي، بطلع النخلِ مُزداننا
هلِ الربيعُ مُعيدٌ عند رجعتِه
ربيعَ عمري، وعمرَ الصَّحبِ رِيَّاننا؟
وما أرى الطلعَ إلا رُوحِي اختنقتُ
بعَبْرَةٍ لا تُريد الدمعَ عنواننا
هيهات يُفصح دمعٌ عن كآبتها
وعن فؤادِ بدنينا الحزنَ مالاننا
وليس شعري إلا البعضَ من حُممِ
تُنْبِيكَ أنْ بهذا القلبِ بركانا
كم ذُكِّرتني بساتينِ النخيلِ هنا
من نخلِ ريفي جَنَّاتٍ وبستاننا
وكم دعَّتني وأغرَّتني لأدخلَها
حتى أُلَاقِي بها أهلاً وخالاننا
يا نخلَ صيداء قد أشعلتَ نيراننا
بقلبِ ناءٍ بعيْد الدارِ ولهاننا
ذُكِّرتني نخلَ ريفٍ قد نشأتُ بهِ
هل ذلك النخلُ باقٍ مثلاً ما كاننا؟
كم رقدةٍ لي بظلِّ النخلِ ناعمةٍ
من نصفِ قرنٍ، تراها مُقلَّتِي الآننا؟

تلك النُسيّماتُ في خَدَيّ تداعبني
وتعزف الريحُ بالأغصان ألحانا
يظلّ فيها خيالي سارحاً مَرِحاً
فأغمض العينَ، بالألحان نشوانا
ولستُ أنهض إلا حين يلذعني
حَرُّ الظهيرة، أعدو منه سرعانا
هذا شعوريّ دون العَشْرِ من عُمرِي
هذا هو الشعرُ، لا ما أنظم الآنَا
تلك الملاعبُ هل يوماً أعود لها؟
أرى بها من لِدات العمرِ، إخوانا
نصطاد أطفالُ أسماكٍ تُشابهنا
مُعَكِّرينَ لذاك الصيدِ، عُذرانا
نشكّهنَ بأعوادٍ لنشويها
مُؤَجِّجينَ من الأغصان نيرانا
ملهُوجينَ لها عَجلى لنأكلها
مخلوطةً برماد الأرضِ، أحيانا
أخشى إذا عدتُ لا ألقى لهم أثراً
إذ أصبحوا تحت هذي الأرضِ سُكَّانا
وإنْ يَكُنْ أَحَدٌ باقٍ سينكرني
فالدهرُ غيّرَ أشكالاً وألوانا
فلتبقَ ذكراهمو في القلبِ عائشةً
تُبدي لديّ شيوخَ الصُحبِ، ولِدانا
فما الحياةُ سوى وهمٍ نعيش بهِ
يحكي الحقيقةَ تزويراً وبُهتانَا

من: «المجموعة الكاملة لأشعار أحمد
الصافي النجفي غير المنشورة»

دمعة على رثيف خوري

أمثلُ رثيفَ يصرعه الحِمَامُ
على الدنيا وأهلِها السَّلامُ
أديبُ الروح، والخُلُقُ المصقَّى
أديبُ الفكر، جَوَالُ هُمَامِ
أديبُ، فارسٌ، إنْ خطَّ حرفاً
تقول، أذا يراعُ، أم حُسام؟
كتابته وسيرته دروسُ
يُكرِّرها غداً عامٌ قَعام
أديبٌ لازمَ الحقَّ التَّزاماً
ولم يحكمه في الأدب التَّزام
وفي، لم تُغيِّره الليالي
ولا الأحداثُ، والنُّوبُ الجِسام
يزيدُ على مدى الأيام طيباً
كما تحلو المعتقَّة المُدام
لقد صقلت به الأيامُ سيفاً
ولا صدأً عليه، ولا انثلام
صديقُ خالدٍ، في الروح باقٍ
فلن يمحو صداقته الرُّغام
صديقُ دام لي من ثلثِ قرنٍ
وكم جحدتْ صداقتُها الأنعام
صريحٌ، لا يُصانع في كلامٍ
ولم يكذب بمَلَقاه ابتسام

هو الشمسُ الصريحة في علاها
فيعجز أن يموهها الغمام
عظيمٌ، لا ادعاءً، ولا غرورُ
كذلك يُخلَقُ الناسُ العظام
هو الرجل التمامُ بكلِّ شيءٍ
وقلُّ بعصرنا الرجلُ التمام
فهَبْنَا يا إلهُ له نظيراً
مخافةً أن يُقالَ، هو الخِتام
ألا يــــا داءه، لك كلُّ يومٍ
على الدنيا اعتداءً واجترام
قصدتَ لمركز الإشعاع منه
لتطفئه، فيغمرنا الظلام
ولكنْ خِبتْ إن رُئيفَ شمسٍ
تظلّ تشعّ، والموتُ القِتام
أتصرعه، وألفُ رُئيفَ عاشوا
بنا، وعلى رسالته قيام؟
كذلك لا يموت هداةٌ حقٌّ
فكم عاشوا، وأعظمُهم رِمام
فمَنْ لــــننقد حُرّاً، لم يشنه
ولم يُفسده وُدُّ، أو خِصام
ومن لــــنظرف والأدب المعلى
وحُرِّ الرأي، إنْ خِيف الكلام؟
لكَ الكلماتُ، كالأمثال تسري
لكَ الصولاتُ، إنْ كان احتدام

ففي قلب الصديق لك امتزاجٌ
وفي قلب العدو لك احترام
يُحبُّكَ من يخالفك اتجاهاً
لأنَّ صادقاً، شَهْمٌ، هُمام
ولو رام العدو لك التجاءً
وحقُّك، لم يخبُ منه المرام
إلى فرسان يَغْرِبُ فيكَ طبعُ
وأنساب، وأمجاد ضِخام
صديق العمر، ما هذا رثاءً
فهذي أدمعُ مني سِجَام
تَأْمَلُهُ، ففي الكلمات دمعُ
يسحُّ بها، وأجفاني الغمام
يكاد يُبَلِّ منها الطُّرسُ، لو لم
تُجفِّفْها من الآه اضطرام
تُسابق أدمعي كلماتٍ شعري
فللكلمات والدمع ازدحام
دموعُ الروح قد صِيغَتْ كلاماً
بسلك النظم كان لها انتظام
ودمعُ الشعر لا يُطفئ غليلاً
فمهما قلت، يشتدُّ الأوام
نثرت عليَّ دُرّاً من ثناءٍ
تمنّاه الأنام، وفيه هاموا
برغمي أن يكونَ جَزَاكَ عندي
رثاءك، حين غيَّبكَ الحِمام

ولم تطلب جزاءً ثنّاك مني
وهل طلب الجَزَا عُـرْ كِرَام
ثناؤك لا يُباع، وليس يُشـرى
ومدحك بالتملّق، لا يُرام
لغير الحقّ لم تمدح، وتذمّم
فعندك كان للحق الدّمَام
ومثلُك صاحباً، يرثيه مثلي
وثقّ، لم أرث غيـرك، والسـلام

من: «المجموعة الكاملة لأشعار أحمد
الصافي النجفي غير المنشورة»

محمد مهدي الجواهري

ناجيتُ قبركِ (*)

في ذمّة الله ما ألقى وما أجْدُ
أهذه صخرة أم هذه كَبِدُ
قد يقتل الحزنُ مَنْ أحبَّابه بَعْدوا
عنه فكيف بمن أحبَّابه فُقِدوا
تجري على رسلها الدنيا ويتبعها
رأيٌ بتعليل مجراها ومُعْتَقَد
أعيا الفلاسفة الأحرار جهْلُهُمْ
ماذا يُخبّي لهم في دَفْتَيْهِ غَد
طال التمحّل واعتاصت حلولُهُمْ
ولا تزال على ما كانت العُقَد
ليت الحياة وليت الموت مَرَحمةُ
فلا الشبابُ ابنُ عشرين ولا لُبَد
ولا الفتاة بريعان الصِّبا قُصِفَتْ
ولا العجوزُ على الكفّين نَعْتَمَد

- محمد مهدي بن عبدالحسين الجواهري.

- ولد في مدينة «النجف» عام ١٩٠٣، وتوفي في دمشق عام ١٩٩٨.

- درس في حلقات النجف الدينية والأدبية والفكرية.

- عمل في الصحافة لفترة طويلة.

- من دواينه الشعرية: «حلبة الأدب» ١٩٢٤، «بين الشعور والعاطفة» ١٩٢٨، «بريد الغربة» ١٩٦٥، «خلجات» ١٩٧١.

- ديوان الجواهري طبعات متعددة.

(*) نظم الشاعر هذه القصيدة بعد أن بلغه خبر وفاة زوجته «أم فرات» وكان يحضر مؤتمراً في لبنان، وذلك عام ١٩٣٩.

وليت أن النسور استنزفت نَصَفاً
أعمارهن ولم يُخصَّص بها أحد



حُيِّيتِ «أُمُّ فِرَاتٍ» إِنْ وَالِدَةٌ
بمثل ما أُنجبت تُكنى بما تَلِد
حَيَّةٌ لم أجد من بَثَّ لَاعْجَهَا
بُداً، وَإِنْ قَامَ سَدّاً بَيْنَنَا اللَّحْدُ
بِالرُّوحِ رُدِّي عَلَيْهَا إِنَّهَا صَلَّةٌ
بَيْنَ الْمُحِبِّينَ مَاذَا يَنْفَعُ الْجَسَدُ
عَزَّتْ دُمُوعِي لَوْ لَمْ تَبْعَثْنِي شَجَناً
رَجَعْتُ مِنْهُ لَحَرِّ الدَّمْعِ أَبْتَرِدُ
خَلَعْتُ ثَوْبَ اصْطِبَارٍ كَانَ يَسْتَرْنِي
وَبَانَ كِذْبُ ادِّعَائِي أَنَّنِي جَلِدُ
بَكَيْتُ حَتَّى بَكَى مِنْ لَيْسَ يَعْرِفْنِي
وَنُحْتُ حَتَّى حَكَانِي طَائِرُ غَرْدٍ
كَمَا تَفْجَرُ عَيْنَانَا ثَرَّةً حَجَرُ
قَاسٍ تَفْجَرُ دُمُوعاً قَلْبِي الصَّلْدُ
إِنَّا إِلَى اللَّهِ! قَوْلٌ يَسْتَرِيحُ بِهِ
وَيَسْتَوِي فِيهِ مَنْ دَانُوا وَمَنْ جَحَدُوا



مُدِّي إِلَيَّ يَدًا تُمَدِّدُ إِلَيْكَ يَدُ
لَا بَدْءَ فِي الْعَيْشِ أَوْ فِي الْمَوْتِ نَتَّحِدُ
كُنَّا كَشِقَّيْنِ وَافَى وَاحِداً قَدَرُ
وَأَمْرُ ثَانِيهِمَا مِنْ أَمْرِهِ صَدَدُ

ناجيتُ قبركِ أَسْتَوْحِي غِيَاهِبَهُ
عن حال ضيفٍ عليه مُعْجَلاً يَفِد
وردتُ قفرةً في القلب قاحلةً
صدى الذي يبتغي ورداً فلا يجد
ولقني شبحٌ ما كان أشبهه
بجَعْدِ شَعْرِكَ حول الوجهِ ينعقد
القيتُ رأسي في طيَّاته قَزَعاً
نظيرَ صنعي إذ أسي وأفتاد
أيامَ إن ضاق صدري أَسْتَرِيحُ إلى
صدرِهِ هو الدهرُ ما وقى وما يعد
لا يُوحش الله ربَّعاً تنزّلين به
أظنّ قبركِ روضاً نُورُهُ يَقْد
وأنّ روحكِ رُوحٌ تأنسُين بها
إذا تملّمتْ مَيّتُ روحه نَكَد
كُنّا كنبته ريحانٍ تخطّمها
صِرٌّ، فأوراقُها منزوعةٌ بدد
غطّى جناحاكِ أطفالي فكنتِ لهم
ثغراً إذا استيقظوا، عيناً إذا رقدوا



شتى حقوقٍ لها ضاق الوفاءُ بها
فهل يكون وفاءً أنني كَمِد
لم يلقَ في قلبها غلٌّ ولا دنسُ
له مَحَلّ، ولا خُبْتُ ولا حَسَد

ولم تكن ضرةً غيّر لجاتها
تُلوى لخيرٍ يُواتيها وتضطهد
ولا تذلّ لخطبٍ حمّ نازلّه
ولا يُصعّر منها المال والولد



قالوا أتى البرقُ عَجَلاناً فقلتُ لهم
والله لو كان خيرٌ أبطأتُ بُرد
ضاقتُ مرابعُ لبنانٍ بما رحبتُ
عليّ والتفتُ الأكام والنُّجد
تلك التي رقصتُ للعين بهجتها
أيامَ كنا وكانت عيشةُ رعد
سوداء تنفخ عن ذكرى تُحرّقني
حتى كاني على ريعانها حرد
والله لم يحلّ لي مَعدى ومُنقل
لما نُعيت، ولا شخصٌ، ولا بلد
أين المفرُ وما فيها يطاردني
والذكريات، طرياً عودها، جُد
الظلالُ التي كانت تُفيئنا
أم الهضابُ أم الماء الذي نرد؟
أم أنتِ ماثلةٌ؟ من ثمّ مُطرحُ
لنا ومن ثمّ مُرتاحٌ ومُتّسد
سُرعان ما حالتِ الرؤيا وما اختلفتُ
رؤى، ولا طال - إلا ساعةً - أمد

مررتُ بِالْحَوْرِ والأَعْرَاسُ تَمْلِؤُهُ
وَعَدْتُ وهو كَمَثْوَى الجَانِ يَرْتَعِدُ



مُنَى - وَأَتَعَسَّ بِهَا - أَنْ لَا يَكُونَ عَلَى
تَوْدِيعِهَا وَهِيَ فِي تَابُوتِهَا رَصَدُ
لَعَلَّنِي قَارِئٌ فِي حُرِّ صَفْحَتِهَا
أَيُّ الْعَوَاطِفِ وَالْأَهْوَاءِ تَحْتَشِدُ؟
وَسَامِعٌ لَفْظَةً مِنْهَا تُقَرِّظُنِي
أَمْ أَنَّهَا - وَمَعَاذَ اللَّهِ - تَنْتَقِدُ
وَلَا قُطْ نَظْرَةً عَجَلَى يَكُونُ بِهَا
لِي فِي الْحَيَاةِ وَمَا أَلْقَى بِهَا، سَنَدُ

(١٩٣٩)

من: «ديوان الجواهري»



يوم الشهيد

«ألقاها الشاعر في أربعينية أخيه الشهيد

جعفر الجواهري»

يَوْمَ الشَّهِيدِ: تَحِيَّةٌ وَسَلَامٌ
بِكَ وَالنَّضَالِ تُؤرِّخُ الْأَعْوَامُ
بِكَ وَالضَّحَايَا الْغُرَى زَهْوٌ شَامِخاً
عِلْمُ الْحِسَابِ، وَتَفْخَرُ الْأَرْقَامُ
بِكَ وَالَّذِي ضَمَّ الثَّرَى مِنْ طِيبِهِمْ
تَتَعَطَّرُ الْأَرْضُونَ وَالْأَيَّامُ
بِكَ يُبْعَثُ «الْجِيلُ» الْمُحْتَمُّ بَعَثُهُ
وَبِكَ «الْقِيَامَةُ» لَطْغَاةٌ تُقَامُ
وَبِكَ الْعَتَاةُ سَيُحْشَرُونَ، وَجُوهُهُمْ
سُودٌ، وَحَشَنُ أَنْوْفِهِمْ إِرْغَامُ
صَفْقاً إِلَى صَفْ طَغَاماً لَمْ تَذُقْ
مَا يَجْرَعُونَ مِنَ الْهَوَانِ طَغَامُ
وَيُحَاصِرُونَ فَلَا «وَرَاءَ» يَحْتَوِي
ذَنْباً، وَلَا شُرْطاً يَحْوزُ «إِمَامُ»
وَسَيُسْأَلُونَ: مَنْ الَّذِينَ تَسَخَّرُوا
هَذَا الْجَمْعَ كَأَنَّهَا أَنْعَامُ؟
وَمَنْ اسْتَبِيحَ عَلَى يَدِيهِمْ حَقُّهَا
هَدِراً، وَدِيسَتْ حُرْمَةُ وَدِامُ؟
وَمَنْ الَّذِينَ عَدَوْا عَلَيْهِ فَشَوْهُوا
وَجَهَ الْحَيَاةَ فَكَدَرُوا وَأَغَامُوا؟

خَلَصَ النّٰعِيْمُ لَهُم فِهِم مِّن رّقَةٍ
وَعَضَارَةٍ بِيضُ الْوَجْوهِ وَسَامٍ
وصفا لهم فَلَكَ الصَّبَا فتَلَّأَلُوا
فِيهِ كَمَا تَتَلَّأَلُ الْأَجْرَامُ
يَتَدَلَّلُونَ عَلَى الزَّمَانِ كَمَا اشْتَهَتْ
شَهْوَاتُهَا قُبُ الْبَطُونِ وَحَامٍ
وَمَدَاسُ أَرْجَالِهِمْ وَنَهَبِ نِعَالِهِمْ
شَعْبٌ مَّهِيضُ الْجَانَحَيْنِ مُضَامٍ
يُمَسِّي وَيَصْبِحُ يَسْتَظِلُّ بِخِدْنِهِ
بَقَرُ الرَّرَّابِ، وَيَرْتَعِي وَيَنَامُ
سَيُّحَاسِبُونَ، فَإِنْ عَرَّثَهُمْ سَكَنُهُ
مِنْ خِيْفَةٍ فَسَتَنْطِقُ الْأَثَامُ
سَيُّنَكْسُ الْمُتَذَبِّذُونَ رِقَابَهُمْ
حَتَّى كَأَنَّ رُؤُوسَهُمْ أَقْدَامُ



يَوْمَ الشَّهِيدِ! وَمَا الْخِيَالُ بِسَادِرٍ
بئْسَ الْخِيَالُ تَقْوَدُهُ الْأَوْهَامُ
الشَّعْرُ - يَا يَوْمَ الشَّهِيدِ - تَجَارِبُ
وَبِلَاؤُهَا، لَا لَوْلُو وَنِظَامُ
كَذِبًا يُخِيلُ أَنْ بَارِقَةَ الْمَنَى
تَنْجَابُ مِنْهَا وَحِشَّةٌ وَظَلَامُ
أَوْ أَنْ بِالنُّزْرِ الْيَسِيرِ مِنَ الدِّمَا
سَيُّبَلُّ مِنْ عَطَشِ الطَّفْغَاءِ أَوَامُ

أَوْ أَنْ مَتَّعَوْبًا سَتَسْعَى نَحْوَهُ
عَمَّا قَرِيبٍ رَاحَةً وَجِـمَامَ
حُسْبَانُ ذَلِكَ لِلشَّهِيدِ خِيَانَةً
وَلِـمَا تَقْفَجَّرَ مِنْ دَمٍ إِجْرَامَ
وَلِتلك مَدْعَاةٌ سَيُنْصَرُ عَنْدهَا
عَارُ النُّكُوصِ وَيُخْذَلُ الإِقْدَامُ
وَلِذَاكَ إِيهَامٌ يُضِلُّ أُمَّةً
وَسِلَاحٌ كُلُّ مُضِلٍّ إِيهَامُ
عَظُمَتْ مُحَاوَلَةٌ وَجَلَّ مَرَامُ
أَقْبَالِيسِيرٍ مِنَ الْعَنْاءِ تُرَامُ



يَوْمَ الشَّهِيدِ! طَرِيقُ كُلِّ مُنَاضِلٍ
وَعُـرٌّ، وَلَا تُصَبُّ وَلَا أَعْلَامُ
فِي كُلِّ مُنْعَطَفٍ تَلُوحُ بَلِيَّةٌ
وَبِكُلِّ مُفْتَرَقٍ يَدْبُ حِمَامُ
وَحِيَاضُ مَوْتٍ تَلْتَقِي جَنَابَاتُهَا
وَعَلَى الْحِيَاضِ مِنَ الْوُفُودِ زِحَامُ
وَقِبَاحُ أَشْبَاحٍ لِمُرْتَعِدِي الْحَشَا
بَرَمٌ بِهَا، وَلِـمُحَرِّبِينَ هُيَامِ
بِكَ بَعْدَ مُحْتَدِمِ النِّضَالِ سَيَنْجَلِي
مِمَّا ابْتَدَأَتْ مِنَ النِّضَالِ خَتَامُ
سَيُجَازُ شَهْرٌ بِالْعَنْاءِ وَآخِرُ
وَيُخَاضُ عَامٌ بِالدَّمَاءِ وَعَامُ

ستطير في أفق الكفاح سواعدُ
وتطيح في سُوح الكرامةِ هام
ستنور من رَهَجِ اللهاتِ عِجاجةُ
ويهبُ من وَهَجِ الشُّكَاةِ قَتام
سيُعَالجُ الباغِي بنَضْحٍ من دمٍ
حتى تُسكُنَ شهوةٌ وعُرام
لا بُدَّ من نارٍ يروح وَقودُها
مَنّا ومنه غاربٌ وسَنام
وتُنير منها الخابطين دروبهم
من بعد ذلك جَنُودٌ وضِرام
إذ ذاك يصبح بعد طول متاهةٍ
بيدِ الشعوبِ مَقَادَةُ وزِمَام



تباً لدولة عاجزين توهّموا
أن «الحكومة» بالسياسات تُدام
والويلُ للماضين في أحلامهم
إن فرَّ عن «حُلُمٍ» يروع مَنام
وإذا تَفَجَّرَتِ الصدورُ بغیظِها
حَنَقاً كما تتفجّرُ الألغام
وإذا بهم عَصُفاً أكيلاً يرتمي
وإذا بما ركنوا إليه رُكّام
وإذا بما جمع الغواة خُشارةً
«وإذا عُصَّارةُ كلِّ ذاك أَثام»



يَوْمَ الشَّهِيدِ! لَسَوْفَ تُعْقَبُ فِي غَدٍ
يَوْمًا تَحَارُ بِكُنْهَةِ الْأَفْهَامِ
وَلَسَوْفَ نَجْهَلُ مَا يَقْلُ بِصُلْبِهِ
قَدْرٌ وَمَا تَتِمَّخُضُ الْأَيَّامُ
وَلَسَوْفَ يُصْبِحُ مَا نَحَارُ بِكُنْهِهِ
إِنْ حَانَ حِينٌ، وَاسْتَتَمَّ تَمَامُ
أَمْرًا كَمَا قَالَ الْبَدِيدَةُ قَائِلٌ:
«النُّورُ نَوْرٌ، وَالظُّلَامُ ظِلَامٌ»



إِنِّي لَيُخْنِقُنِي الْأَسَى وَيَهْرُنِي
مَا لَاحَ طِفْلٌ يَحْتَبِي وَغِلَامُ
عِلْمًا بَأَنَّ دِمَاءَهُمْ لَيْسَتْ لَهُمْ
وَبَأَنَّهَا لِلْجَائِعِينَ طَعَامُ
لِلنَّاسِ بَعْدَ الْيَوْمِ مِيلَادُ الْفَتَى
وَمَمَاتُهُ، وَرَضَاعُهُ وَفِطَامُ
يَوْمَ الشَّهِيدِ! بِكُلِّ جَارِحَةٍ مَشَى
دَاءٌ تَعَاوَرَهُ الزَّمَانُ عُقَامُ
تَعَبِ الْأَسَاءَةِ بِهِ، وَجَافَى أَهْلَهُ
يَأْسًا نِطَاسِيًّا بِهِ عَلَامُ
وَتَعَسَّرَ الْإِبَالُ حَتَّى تَنْتَفِي
مِنْهُ الْجُذُورُ، وَتُقْطَعَ الْأَجْذَامُ
يَوْمَ الشَّهِيدِ! بِكَ النُّفُوسُ تَفْتَحُ
وَعِيًّا، كَمَا تَتَفَتَّحُ الْأَكْمَامُ

كاد الضعيفُ يشكَّ في إيمانهِ
والصبرُ كاد يشلُّه استسلام
طاح البلاءُ بخائِرٍ في مَعْرِكِ
أشِبَّ تطيش بهـوله الأحلام
وانجاب عن مُتردِّدين طِلاؤهم
وانزاح عن مُتربِّصين لِثام
وأغصَّ قومٌ بالسكوت، وأقصحتْ
عن غير ما عُرِفَتْ به أقوام
وتَمَسَّكَ المتثبِّتون بجاحمِ
جَمَراته تُشوى بها الأقدام
وتَراكم الصبرُ الجميل بساحةٍ
من حولها تَتَراكم الآلام



شعبٌ يُجَاع وتُسْتَدْرُ ضُرُوعُه!
ولقد تُمار لثُحْلَبَ الأغنام
وأمدَّ للمستهترين عِنائُهم
في المخزيات فأرتعوا وأساموا
وتعطَّلَ الدستورُ عن أحكامه
من فَرَطَ ما ألوى به الحُكَّام
فالوعيُّ بغِيٍّ، والتحرُّرُ سُبَّةُ
والهمسُ جُرمٌ، والكلامُ حرام
ومُدافعٌ عمَّا يدين مُخربٌ
ومُطالبٌ بحقوقه هَدَّام



ومشى بأصلاب الجموع يهزها
الجهل والإدقاع والأسقام
وهوت كرامات تولت أمرها
خُطط، تولي أمرها إحكام
فكرامة يُهزى بها، وكرامة
يُرتى لها، وكرامة تُسَنِّم
وانصاع يغزو أهله ودياره
جيش من المتعطلين لهُم
وتصافقت حُجْرٌ على مُتحرِّرٍ
ومُفكّرٍ فتحطمت أقلام
ولكل مُحْتَطِبِ الخنا مَدَاحَةٌ
ولكل مُمْتَدِحِ النِّثا شَتَام



ومُعَاتِبُ والسُّوطُ يُلْهَبُ ظَهْرَهُ
ومُعَذِّبٌ بِجِراحه ويَلام
مما أَشَاعَ البَغْيَ من إرهابه
وبما اسْتُطِيبَ الخوفُ والإحجام
ومطاردون تَعَجَّلُوا أَيامَهُم
ومُشَرَّدُونَ من المِذْلَةِ هَامُوا
ومُشَكِّكون وقد تَعَاصَتْ مِحْنَةٌ
صَلُّوا على شرف الخِلاصِ وصاموا



ولقد تَرَقَّرَقَ في العيون تَسَاوُلُ
وعلى الشفاه تَحِيرَ استِفْهَام

أَعَفَا الْقَطِينُ فَمَا بِهِ مُتَنَقِّسٌ
وَحَلَا الْعَرِينُ فَمَا بِهِ ضِرْغَامٌ؟
أَفُوعِدُ مُرْتَقِبِ «الْقِيَامَةِ» خُلْبٌ
وَبَرِيقُ مُنْتَظِرِ «النَّشُورِ» جَهَامٌ؟
أَوْ يَكْثُرُ الْأَبْطَالُ حِينَ سَلَا حُهُمُ
بَيْنَ الْجَمُوعِ قَصِيدَةٌ وَكَلَامٌ؟
فَإِذَا اسْتَحَرَّ الْخَطْبُ وَاحْتَدَمَ الْأَذَى
ذَابُوا، فَلَا بَطْلٌ وَلَا مِيقْدَامُ
أَفَلَا تَكُونُ مَغَارَةً؟ أَوْ مَا أَنْتَهِى
مَا قَعَقَعَ الْإِسْرَاجُ وَالْإِلْجَامُ؟
أَعَلَى ضَمِيرِ الْمَخْلُصِينَ غِشَاوَةٌ
وَعَلَى فَمِ الْمُتَحَرِّرِينَ لِحْجَامٌ؟
حَتَّى إِذَا قَذَفَ الْحِمَى بِحُمَاتِهِ
وَرَمَتْ بِأَشْبَالٍ لَهَا الْأَجَامُ
وَتَنَافَسَ «الْفَادُونَ» لَمْ يَتَمَنَّنُوا
فَضْلاً وَلَمْ يُبْطِرْهُمْ الْإِنْعَامُ
وَجَدُوا عِتَاباً لِلْبِلَادِ فَأَعْتَبُوا
وَمَلَامَةً لَشِبَابِهَا فَأَلَامُوا
وَمَشَوْا إِلَيْهَا يَدْعُمُونَ صَفُوقَهَا
بِصُدُورِهِمْ، إِذْ عَزَّهَنْ دِعَامُ
حَمَلُوا الرِّصَاصَ عَلَى الصُّدُورِ وَأَوَّغَلُوا
فَعَلَى الصُّدُورِ مِنَ الدِّمَاءِ وَسَامُ
تَابِ الْغَوِيِّ وَثَابَ كُلُّ مُشَكِّكٍ
إِنَّ الْحِمَى مِنْ فُوقِهِ قَوَامُ
نَكَرُوا النُّفُوسَ وَفَجَّرُوا أَعْرَاقَهَا
صَمْتاً، فَلَا صَخْبٌ، وَلَا إِرْزَامُ

وَأَبَوْا سِجَامَ الدَّمْعِ شَيْمَةً نَائِحٍ
فَلَهُمْ دِمَاءٌ يَغْتَلِينَ سِجَامَ
نَامُوا وَقَدْ صَانُوا الْحِمَى، وَمَعَاشِرُ
تَرَكَوا الْحِمَى لِلطَّارِئَاتِ وَنَامُوا



يَوْمَ الشَّهِيدِ: وَكُلُّ يَوْمٍ قَادِمٌ
سَتُثَرِيهِ كَيْفَ الْجُودُ وَالْإِكْرَامُ
دَالَ الزَّمَانُ وَبُدِّلَتْ نُظُمُ بِهِ
وَلِكُلِّ عَصْرِ دَوْلَةٌ وَنِظَامُ
وَمَضَى الْحُدَاةُ «بِحَاتِمٍ» وَبِرَهْطِهِ
وَتَبَدَّلَتْ لِمَكَارِمٍ أَحْكَامُ
فَهُمْ وَقَدْ حَلَبُوا «الصَّرِيحَ» أَمَاجِدُ
وَهُمْ وَقَدْ عَقَرُوا «الْجَزُورَ» كِرَامُ
وَهُمْ لِأَنَّ الضَّيْفَ يَنْزِلُ سَاحَهُمُ
لِلْفَقْرِ فِي سَاحَاتِهِمْ إِمَامُ
وَأَتَى زَمَانٌ مِنْ مَكَارِمِ أَهْلِهِ
أَلْسَجْنُ وَالتَّشْرِيدُ وَالْإِعْدَامُ
وَالسُّوْطُ يَحْتَرِشُ الظُّهُورَ وَوَقْعُهُ
فِي سَمْعٍ مُحْتَرِشٍ بِهِ أَنْغَامُ
وَكُنْهُ «لِلْمُسْتَفِثِ» إِغَاثَةُ
وَكُنْهُ «لِلْجَائِعِينَ» إِدَامُ
جَيْلٌ يَرَى أَنَّ الضِّيَافَةَ وَالْقِرَى
لِلطَّارِئَاتِ الصَّبْرُ وَالْآلَامُ

يَقْرُونَ جَائِعَةَ الْبِلَادِ نَفُوسَهُمْ
فَلَهَا لَحُومٌ مِنْهُمْ وَعِظَامٌ
وَيُرُونَ ضَيْفَهُمُ الْكَرَامَةَ تُزْدِرِي
وَالْحَقُّ يُغْصَبُ، وَالْدِيَارُ تُضَامُ
يَتَقَامِرُونَ عَلَى الْمَنَايَا بَيْنَهُمْ
حُمُورًا، فَلَا الْأَيْسَارَ وَالْأَزْلَامَ



لَاهُمُ عَفْوُكَ، لَا الشَّجُونُ قَلِيلَةٌ
عَنْدِي، وَلَا أَنَا أَخْرَسُ تَمْتَامُ
قَلْبٌ يَذُوبُ أَسَىً، وَشِعْرٌ كُلُّهُ
ضُرْمٌ، وَبَيْتٌ كُلُّهُ أَلَامُ
أَخْنَى بِوَحْشَتِهِ عَلَى جِيرَانِهِ
وَهَفَا بِهِ، رَعْبًا، فَطَارَ حَمَامُ
وَيَكَادُ يَشْهَقُ بِالْعَوِيلِ بِلَاطُهُ
وَيَصِيحُ بِالْأَلَمِ الدَّفِينِ رُخَامُ
وَدَمٌ أَرِيقَ عَلَى يَدَيَّ يَهْرَنِي
هَرُّ الذَّبِيحِ وَقَدْ عَلَاهُ حُسَامُ
وخبِيئَةٌ فِي الصَّدْرِ نَفْتُ دُخَانِهَا
حَارَجٌ، وَكَابَتْ أَوَارِهَا إِيْلَامُ
لَاهُمُ مَا قَدَّرَ الْبَيَانُ إِذَا انْزَوَى
عَنْهُ الضَّمِيرُ، وَعَقَّهِ الْإِلَهَامُ
وَإِذَا اسْتَوَى فِيهِ التَّكْوَلُ وَغَيْرُهُ
وَالسَّاهِرُونَ اللَّيْلَ وَالنُّوَامَ

أكبرت شعري أن تُهين كريمه
غُفْلُ تضيق بها الرعاة سوام
أو عائشون على الهوامش مثلما
ينفي فضول الصورة الرسام
والممتلون كأنهم كل الدنى
والفارغون كأنهم أصنام
والصادعون بما يرى مستعمر
فهم متى يأمرهم خدام
والمولعون بفاجرات مطامع
فلهم قعود عندها وقِيام
ماذا يحطم شاعر من صاغر
أخنى الهوان عليه فهو حطام
لكن بمختلطين في نيّاتهم
شُبّهًا، فلا وضّح ولا إبهام
من كل هاو بُرّجه وكأنه
قمر على كبد السماء تمام
يؤذيه أن الشمس تطلع فوقه
أو لا يُظلل وجنتيه غمام
الليل عندهم التعلّة والمنى
فإذا استطال فسكرة ومُدام
وإذا النهار بدا فكل حديثهم
عنه بكيف تُفسّر الأحلام
حتى إذا حميت وغيّ وأدارها
كأساً «إياس» مرة و«عصام»

وتلقَّفْتَهُم كَالرَّحَى أَشْدَقُّهَا
مَخْضَغاً هُمَامٌ يِقْتَضِيهِ هُمَام
زَحَمُوا الصَّفُوفَ «مُشِيَّعِينَ» كَأَنَّهُمْ
بَيْنَ الْمَوَاكِبِ قِيَادَةُ أَعْلَام
وَمَشَوْا عَلَى جِثِّ الضَّحَايَا مِثْلَمَا
يَمْشِي بِمُقْتَنَصِ النَّعَامِ نَعَام
ثُمَّ اسْتَدَارُوا يَنْفَخُونَ بِطَوْنَهُمْ
نَفْخَ الطَّبُولِ، وَأَقْعَدُوا وَأَقَامُوا!!



يَوْمَ الشَّهِيدِ: وَمَا تَزَالُ كَعَهْدِهَا
هُجُوجٌ تُدْنِسُ أُمَّةً وَلِيئَام
قَصَرُوا عَنِ الْعَلْيَا فَلَمْ يَتَنَاوَشُوا
مَا احْتَازَ مِنْهَا فَارِعُونَ جِسَام
وَتَقَطَّعَتْ بِالْمَكْرَمَاتِ حَبَالُهُمْ
وَبِمَا ابْتَنَتْ هِمَمٌ فَهَنْ رِمَام
وَعَنَاهُمْ أَخْذُ الْكِرَامِ عِنَانُهَا
مَنْ بَعْدَ مَا دَارُوا عَلَيْهِ وَحَامُوا
وَتَجَاهَلُوا أَنْ لَيْسَ تَرْبٌ مُسَامِحٍ
بِدِمَائِهِ نَهْازَةٌ غَنَّام
وَبِأَنَّ أُمَّاتِ الْمَآثِرِ بَرَزَةٌ
عِمْلَاقَةٌ، وَبِأَنَّهُمْ أَقْرَام
فَهُمْ وَقَدْ ذَكَتِ الْحَزَازَةُ عَنْدهُمْ
«كُوبٌ» مِنَ الْحَقْدِ الدَّفِينِ وَجَام

يُسْقَوْنَ جَذْوَتَهَا وفيما يجتلي
تَرَبُّ الندى لأوارها إضرار
حتى إذا ألقى الكريم بوجهه
فتَمَيَّزَ الإشراق والإظلام
وتَضَوَّرَتْ جوعاً فلم ترَ عنده
ما تَأْكُلُ الأوغارُ والأوغام
ومشى الفَعَال لهم صريحاً لم يَشُبْ
أَيَّاتِهِ عِيٌّ، ولا إغْجَام
وتخارسوا وعَمُوا فملءَ عيونهم
رَمَدٌ، وملءَ حلوقهم إفحام
لجأوا إلى «الأنساب» لو جَلَى لهم
«نَسَبٌ» ولو صدقتْ لهم أرحام
وتنابزوا بالجاهليَّة شَجَّها
من قبل نور «الفكر» و«الإسلام»
فأولاء أعراب! فكلُّ مُحَرَّمٍ
حلٌّ لهم! وأولئكم أعجام
وأولاءِ أغْمامار، فلا رأسٌ ولا
كَعْبٌ ولا خَلْفٌ ولا قُدَام
وأولاء «أشهرار» لأن شِعْعارهم
بين الشعوبِ محبَّةٌ وسلام
وكان «أرحاماً» تُرْصُ! فريضة
وكان «أفخاذاً» تُلْزِزُ لزام
وكان مَنْ لم يحوِ تلك وهذه
- وإن استقام - بهيمة وسوام

نُكْرُلو استعلی، لما استعلت يدُ
بالعروة الوثقى لها استعصام
ولما تمايزت النفوسُ بخيرها
وبشرها، ولما استتبَّ نظام
لزكا «أبولهب» وكان مُرجماً
ودنا «صُهيّب» وإنه لإمام
قَبَلِيَّةٌ يلجا إليها مُقْعَدُ
لا الحزمُ يُنجدُه ولا الإعزام
وبها تستر عن صغارة نفسه
خزيانُ يأكل زاده وينام
بل قد تَفِيَّأ ظُلُّها من حَطَّه
نسبٌ يسوم رخيصة المُستام
من كل مُعَدٍ في الصَّغار كأنه
جَرَبٌ تُخاف شَذائِه وجُذام
«سلمان» أشرف من أبيكم كعبه
و«عِصام» ما عرف الجدودَ عصام
و«محمد» رفعت رسالةً ربِّه
كَفَّاه، لا الأخوال والأعمام
ولقد يُذلُّ مُسوِّداً أعقابُه
ولقد يسود عشيرةً حَجَّام



أَخِي: لو سمع النداء رَغَامُ
ولو استجاب إلى الصرِيخِ حِمَامُ
مَنِّي عليك تحيَّةٌ وسلامُ
ولذكرك الإجلالُ والإعظام

والله لولا طائف من ساوّة
ولُمامة من مُسكة تَعْتام
ورسالة ندعو لها وأداؤها
فرض، ورعي حقوقها إلزام
وبُنيّة للسالكين طريقهم
والقادمين على الطريق تُقام
ودعاة حق يخرجون سواهم
عاراً إذا لزموا البيوت وذام
لعمكفت حولك لا أريم ولم يكن
إلا بحيث أقيمت أنت مُقام
يا نائماً والموت ملء جفونه
أعلمت من فارقت كيف ينام؟
وملائماً بيد المنون جراحه
جرح المقيم عليك لا يلتام
قد كنت تقدر أن تُظلك بهجة
ونضارة، لا ظلمة ورغام
أو أن يرفأ عليك في ريعانه
هذا الربيع - كوجهك - البسّام
لوشئت أعطتك الحياة زمامها
ولها على كف الشباب زمام
لتضمك الغدران في أحضانها
وتُقلك الهضبات والأكام
وشقيقتك القمر المدلّ بلطفه
نشوان، يصحو تارة ويغام

لو شئت، عن شرف أردت قصدته
بدلاً، لكانت صبوّة وغرام
ولجئت مُقتنصَ الشباب ولارتمتُ
من حولك الظُّبَيَّاتُ والآرام
لو شئت؟ لكن شاء مجدك غيرها
فتلقّفتك من الثرى أكوام
ردّ البكاء عليك أنك قائدٌ
- ولو استبدّ بك الثرى - وإمام
تمشي الجموع على هداك كما هدى الضّد
ضلالَ برق في الظلام يُشام
لو غيرُ ذاك أطاح رأسك لارتضى
بشراك نعلك طائحاً «همّام»^(١)
ولما استقلّ برأس «مُرّة» خنصرٌ
لك، واستفاد بوجهه إبهام



قد كان يعطفني عليك ملامٌ
أن لو ذخرتك أيها الصمصام
أن لو سلمت فلا شباي مُزئدٌ
أسفاً، ولا حدّي عليك كهام
لو لم تُجبني من رفاتك هامةٌ
صبراً جميلاً أيها اللّوام
ما كنت «نحّاماً» بنفسك للورى
أفأنت بي من أجلهم نحّام
نحن الضحايا: للشعوب فقارةٌ
ولكل ما يبني الشعوب قوام

(١) إشارة إلى «همّام بن مرّة» في حرب البسوس.

هذي القبور قنابرٌ مبنوثة
لكابرٍ وحفيرها الغمام
ما كان جيلٌ تستقيم قناتهُ
إلا وموتٌ يستقيم زؤام
فالنُّكْلُ والعيش السويُّ سويّة
ودمُ الضحايا والحياة تُؤام



يومَ الشهيد! ونِعمَتِ الأيامِ
لو تستتمّ أخوةٌ ووئام
لو يرعوي المتنابذون وكلُّهم
بهمومهم وشُعورهم، أرحام
ولو التقى من بعد طول تفرّق
الشيخ والقسيس والحاخام
ولو اتّفقنا كيف يهتف هاتف
فيننا، وكيف تُحرّر الأعلام!
وبمن يقود الزاحفين أخالد
ومحمد، أم أحمدٌ وهشام؟
هي أمةٌ خاف الطغاة شذاتّها
فسعّوا بها، فإذا بها أقسام
وإذا بها والذلُّ فوق رؤوسها
قُبِبَ له مضروبةٌ وخيام
يحتازها والجوعُ ينهش لحمها!
باسم «الرجيف» مَعْرّةٌ وصِدام

(١٩٤٨)

من: «ديوان الجواهري»



يا دجلة الخير

حَيَّيتُ سَفْحَكَ عَنْ بُعْدٍ فَحَيَّيْنِي
يا دجلة الخير، يا أمَّ البساتينِ
حَيَّيتُ سَفْحَكَ ظَمَاناً أَلُوذُ بِهِ
لَوْذُ الحَمَائِمِ بَيْنَ المَاءِ وَالطِّينِ
يا دجلة الخير يا نَبْعاً أَفَارَقَهُ
على الكَراهَةِ بَيْنَ الحَيْنِ وَالْحَيْنِ
إِنِّي وَرَدْتُ عَيُونََ المَاءِ صَافِيَةً
نَبْعاً فَنَبْعاً فَمَا كَانَتْ لِتَرْوِيَنِي
وَأَنْتَ يَا قَارِباً تَلْوِي الرِّيحَ بِهِ
لِي النِّسَائِمِ أَطْرَافَ الأَفَانِينِ
وَدَدْتُ ذَاكَ الشَّرَاعَ الرُّخْصَ لَوْ كَفَنِي
يُحَاكُ مِنْهُ غَدَاةَ البَيْنِ يَطْوِيَنِي
يا دجلة الخير: قَدْ هَانَتْ مَطَامِحُنَا
حَتَّى لِأَدْنَى طِمَاحٍ غَيْرٍ مُضْمُونِ
أَتُضْمَنِينَ مَقِيلاً لِي سَوَاسِيَةً
بَيْنَ الحِشَائِشِ أَوْ بَيْنَ الرِّيحِاحِينَ؟
خَلُوءاً مِنَ الِهَمِّ إِلَّا هُمْ خَافِقَةٌ
بَيْنَ الجَوَانِحِ أَعْنِيَهَا وَتَعْنِيَنِي
تَهَزَّنِي فَأَجَارِيهَا فَتَدْفَعَنِي
كَالرِّيحِ تُعْجَلُ فِي دَفْعِ الطَّوَاحِينِ



يا دجلة الخير يا أَطْيَافَ سَاحِرَةٍ
يا خَمَرَ خَابِيَةٍ فِي ظِلِّ عُرْجُونِ

يا سكتة الموت، يا إعصار زوبعة
يا خنجر الغدر، يا أغصان زيتون
يا أم بغداد، من ظرف، ومن غنج
مشى التبغد حتى في الدهاقين
يا أم تلك التي من «ألف ليلتها»
لأن يعبق عطر في التلاحين
يا مستجم «النواسي» الذي لبست
به الحضارة ثوباً وشي «هارون»
الغاسل لهم في ثغر وفي حبب
والملبس العقل أزياء المجانين
والساحب الزق ياباه ويكرهه
والمنفق اليوم يفدى بالثلاثين
والراهن السابري الخز في قدح
والمسلم الفن من لهو أفانين
والمسمع الدهر والدنيا وساكنها
قرع النواقيس في عيد الشعانين



يا دجلة الخير: ما يغليك من حنق
يغلي فؤادي، وما يشجيك يشجيني
ما إن تزال سياط البغي ناقعة
في مائك الطهر بين الحين والحين
ووالغات خيول البغي مصبحة
على القُرى أمنات والدهاقين
يا دجلة الخير: أدري بالذي طفحت
به مجاريك من فوق إلى دون

أدري على أيّ قيثارٍ قد انفجرتُ
 أنغامُك السُّمرِ عن أناتٍ مَحزون
 أدري بأنك من ألفٍ مضتْ هَدْرًا
 لالآن تَهْزِينَ من حكم السلاطين
 تَهْزِينَ أن لم تزل في الشرق شاردةً
 من النواويس أرواحُ الفراعين
 تَهْزِينَ من خصب جنّاتٍ منثّرةٍ
 على الضفاف، ومن بؤس الملايين
 تَهْزِينَ من عُتَقاءٍ يومَ ملحمةٍ
 أضفوا دروعَ مطاعيمٍ مطاعين
 الضارعين لأقذارٍ تجلّ بهم
 كما تلوّى ببطن الحوتِ ذو النون
 يروُن سُودَ الرزايا في حقيقتها
 ويفزعون إلى حدّسٍ وتخمين
 والخائفين اجتداعَ الفقرِ مالهم
 والمفضلين عليه جدّ عِرنين
 واللائذين بدعوى الصبرِ مَجْبَنَةً
 مُستعصمين بحبلٍ منه مَوْهون
 والصبرُ ما انفكَّ مرداةً لمُحْتَرِبٍ
 ومُسْتَمِيتٍ، ومَنجاةً لمُسْكِنٍ



يا دجلةَ الخير: والدنيا مُفارقةٌ
 وأيُّ شرٍّ بخيرٍ غيرٍ مقرون؟
 وأيُّ خيرٍ بلا شرٍّ يُلقّحه
 طهرُ الملائك من رجس الشياطين؟

يا دجلة الخير: كم من كنز موهبةٍ
لديكِ في «القُمقم» المسحور مخزون
لعلّ تلك العفاريث التي احتُجِرتْ
مُحمّلاتٍ على أكتاف «دُلفين»
لعلّ يوماً عصوفاً جارفاً عَرِماً
أتِ فتُرضيكِ عُقباه وتُرضيني



يا دجلة الخير: إن الشّعْرَ هَدَهْدَةٌ
للسمع ما بين ترخيمٍ وتنوين
عفواً يردّد في رَفْهِ وفي عَلا
لحن الحياة رخيّاً غير ملحون
يا دجلة الخير: كان الشّعْرُ مذكّراً
كفّ الطبيعة لوحاً، «سِفْرَ تكوين»
«مِرْمار داود» أقوى من نُبوته
فَحْوَى، وأبلغ منها في التضامين
يا دجلة الخير: لم نصحب لمسكنةٍ
لكنّ لنلمس أوجاع المساكين
هذي الخلائق أسفار مجسّدة
الملهمون عليها كالعناوين
إذا دجا الخطبُ شَعَّتْ في ضمائرهم
أضواء حُرفٍ بليل البؤس مرهون
دَيْنٌ لِيْزَامٌ، ومحسودٌ بنعمته
مَنْ راح منهم خليصاً غير مديون



يا دجلة الخير: ما أبقيتُ جازيةً
لم أقضِ عنديّ منها دَيْنَ مديون

ما كنتُ في مَشْهَدٍ يَعْنِيكَ مُتَّهِمًا
خَبَّاءُ، وما كنتُ في غَيْبٍ بَظَنِّينِ
وكان جِرْحُكَ إِلْهَامِي مِشَارِكَةً
وكان يأخذ من جرحي ويُعْطِينِي
وكان سَاحُكُكَ من سَاحِي إِذَا نَزَلْتُ
به الشَّدَائِدُ، أَقْرِيهِ وَيُقْرِيَنِي
حتى الضَّفَادِعُ فِي سَفْحِيكَ سَارِيَةً
عَاطِيَتُهَا فَاتَنَاتِ حُبٌّ مَفْتُونِ
غَازِلَتُهُنَّ خَلِيَعَاتٍ وَإِنْ لَبَسْتُ
من الطَّحَالِبِ مَزْهُوُ الْفَسَاتِينِ
يَا دَجَلَةَ الْخَيْرِ: هَلَّا بَعْضُ عَارِفَةٍ
تُسَدِّي إِلَيَّ عَلَى بُعْدٍ فَتَجْزِينِي
يَا دَجَلَةَ الْخَيْرِ: مَتْنِي بِعَاطِفَةٍ
وَأَلْهَمِينِي سُلُوءَانًا يُسَلِّينِي
يَا دَجَلَةَ الْخَيْرِ: مِنْ كُلِّ أَلَى خَبَرُوا
بَلَوَايَ لَمْ أُلْفَ حَتَّى مِنْ يُوَاسِينِي
يَا دَجَلَةَ الْخَيْرِ: خَلَّى الْمَوْجَ مَرْتَفَعًا
طَيِّفًا يَمُرُّوْنَ بِبَعْضِ الْأَحْيَايِنِ
وَحَمَلِيهِ بِحَيْثِ الثَّلْجِ يَغْمُرُنِي
دَفَاءً «الْكَوَانِينِ» أَوْ عَطَرَ «التَّشَارِينِ»



يَا دَجَلَةَ الْخَيْرِ: يَا مَنْ ظَلَّ طَائِفُهَا
عَنْ كُلِّ مَا جَلَّتِ الْأَحْلَامُ يُلْهِينِي
لَوْ تَعْلَمِينَ بِأَطْيَافِي وَوَحْشَتِهَا
وَدَدْتُ مِثْلِي لَوْ أَنَّ النُّوْمَ يَجْفُونِي

أَجْسُ يَقْظَانِ أَطْرَافِي أَعَالِجَهَا
مَمَّا تَحَرَّقَتْ فِي نَوْمِي بَأْتُون
وَأَسْتَرِيحُ إِلَى كُوبٍ يُطْمِئِنِّنِي
أَنْ لَيْسَ مَا فِيهِ مِنْ مَاءٍ بِغَسُّلَيْنِ
وَأَمْسُ الْجُدْرَ الدَكْنَاءَ تُخْبِرْنِي
أَنْ لَسْتُ فِي مَهْمَةٍ بِالْغِيلِ مَسْكُونِ
يَا دَجَلَةَ الْخَيْرِ: خَلِّينِي وَمَا قَسَمْتُ
لِي الْمَقَادِيرُ مِنْ لَدَغِ الثَّعَابِينَ
الطَّالِحَاتُ فَمَا يَبْعَثُنَّ صَالِحَةً
وَلَا يَبْعَثُرْنَ إِلَّا كُلَّ مَأْفُونِ
وَالرَّاهِنَاتُ بِجَسْمِي يَنْتَبِشْنَ بِهِ
نَبْشَ الْهَوَامِّ ضَرِيحاً كُلَّ مَدْفُونِ



وَاهَا لِنَفْسِي مِنْ جَمْعِ النَّقِيضِ بِهَا
نَقِيضُهُ جَمْعَ تَحْرِيكِ وَتَسْكِينِ
جَنْباً إِلَى جَنْبِ آلامٍ أَقْطَفُهَا
قُطْفَ الْجِيَاعِ جَنَى اللَّذَاتِ يَزْهَوْنِي
وَأَرْكَبُ الْهَوْلَ فِي رِيْعَانِ مَأْمَنَةٍ
حُبُّ الْحَيَاةِ بِحُبِّ الْمَوْتِ يُغْرِينِي
مَا إِنْ أَبَالِي أَصَاباً دَرَّ أَمْ عَسَلاً
مَرِيٍّ أَرَاهُ عَلَى الْعِلَاتِ يُرْضِينِي
غَوْلًا تَسَمَّنْتُ لَمْ أَسْأَلْ أَكَارِعَهُ
إِلَى الْهُوَى، أَمْ عَلَى الْوَاحَاتِ تَرْمِينِي
وَمَا الْبَطُولَاتُ إِعْجَازٌ وَإِنْ قَنَعْتُ
نَفْسُ الْجَبَانِ عَنِ الْعَلِيَاءِ بِالْهُونِ

وإنما هي صفو من ممارسةٍ
للطائرات، وإمعانٍ وتمارين
لا يُولد المرءَ لا هِراً ولا سَبُوعاً
لكن عَصَاةً تجريبٍ وتلقين



يا دجلةَ الخير: كم معنىً مزجتُ له
دمي بلحمي في أحلى المواعين
ألفيته فَرَطَ ما أَلوى اللوَاةُ به
يشكو الأمرين من عَسْفٍ ومن هُون
أجره الشوكُ أَلْفَاظَ مُرَصَّفةٍ
أجرها الشوكُ سَجَعُ شِبْهٍ موزون
سهرت ليل «أخي ذبيان» أحضنه
حَضَنَ الرواضع بين العت واللين
أعيد من خلقه نَحْتاً وَخَضْخَضَةً
والنجمُ يعجب من تلك التمارين
حتى إذا أضَ رِيَانُ الصَّبَا غَضِراً
مهوى قلوب الحسانِ الخُرْدِ العِين
أتاح لي سَمَّ حَيَّاتٍ مُرَقَّطَةٍ
تدبُّ في حمأٍ بالحقد مَسْنُون
فهل بحَسَبِ الليالي من صدَى أَلْمِي
أني مَضِيغَةٌ أُنْيَابِ السَّرَاحِينِ
الأكَلِينِ بلحمي سَمَّ أَعْرِبَةٍ
وَعُصَّةٍ في حلاقين الشواهين
والساترينَ بشتمي عُرِّي سَوَاتِهِم
كخَصْفٍ «حواء» دوح التُّوت والتَّين

والعائشين على الأهواء مُنْزَلَةً
على بيانِ بلا هدي وتبئين
والميتين، وقد هيضتُ ضمائرهم
بواخرِ معهم في القبر مدفون

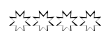


صنّاجة الأدب الغالي، وكم حَقَبِ
بها المواهبُ سِيَمَتِ سَوْمَ مَغْبُون
وَمُنْزَلِ السُّورِ البتراء لَاعِنَةً
من لم يكن قبلها يوماً بملعون
جُوزِيَتْ عنها بما أَنْتَ الصليُّ بهِ
هذا لَعَمْرِي عطاءٌ غيرُ ممنون!!
ماذا سوى مثل ما لاقيتَ تأملهُ
شُمُّ العرانيين من جدع العرانيين
حامي الظعائن لا حمدٌ ولا مِقَّةُ
وقد يكون عزاءٌ حمدٌ مظلعون
لمن؟ وفيم؟ وعمَّنْ أَنْتَ مُحْتَمِلٌ
ثِقُلَ الدِّيَاتِ من الأبيكار والعُون؟



ويا زعيماً بأنْ لم يأتِهِ خبرُ
عمّا يُنْشُرُ من تلك الدواوين
لكَ العمى ، ومتى احتجَّتْ بأنْ قعدتُ
عن الموازين أربابُ الموازين
بل قد مشتَ لكَ كالأصباح عابقةُ
وأنتَ تحذرُها حذرَ الطواعين
كفرتُ بالعلم صِفَرُ القلبِ تحمله
للبيع في السوق أشباه البراذين

كانت عباقرۃ الدنيا وقادتها
تأتي المورق في أقصى الدكاكين
تلم ما قد عسى أن فات شارد
عنها، ولو كان في غيابة الصين
لهفي على أمة غاض الضمير بها
من مدعي العلم، والآداب والدين
موتى الضمائر تعطي الميت دمعها
وتستعين على حي بسكين
لا بُدَّ مُعْجِلَةً كَفُّ الخراب به
بيت يقوم على هذي الأساطين



جُبُّ أَرْبَعِ النِّقَدِ، واسأل عن ملاحمها
فهل ترى من نبيغ غير مطعون
وقف بحيث ذوو النزع الأخير بها
وزر قبور الضحايا والقرايين
ثر الفطاحل في قتل على عميد
هم الفطاحل في صوغ التابيين
من ناكِرٍ عَلِمَا تُهْدَى الغُوَاةُ به
حتى كأن لم يكن في الكاف والنون
أو قارن باسمه خُبْنًا ومأمة
من ليس يوماً بضِبْعِيهِ بمقرون
تَشْقِيًّا: إن لمح الفكر منطلقاً
قذى بعين دعي الفكر مافون
عادي المعاجم وغد يستهين بها
يُحصي بها «أبجديات» ويعدونني

شُلْتُ يَدَاكَ وَخَاسَتْ رِيشَةُ غَفَلَتُ
عَنِ الْبَلَابِلِ فِي رِسْمِ السَّعَادِينَ



يَا دَجَلَةَ الْخَيْرِ: رَدَّتْنِي صَنِيعَتُهَا
خَوَالِجُ هُنَّ مِنْ صُنْعِي وَتَكْوِينِي
إِنَّ الْمَصَائِبَ طَوْعاً أَوْ كَرَاهِيَةً
أَعْدُنْ نَحْتِي، كَمَا أَبْدَعُنْ تَلْوِينِي
أَرَيْتَنِي أَنَّ عِنْدِي مِنْ شَوَافِعِهَا
إِذَا تَبَاهَى زَكِيٌّ مَا يُزَكِّيَنِي
وَجَبَّ شَتَّى مَقَايِيسٍ أَخَذْتُ بِهَا
مَقْيَاسُ صَبْرٍ عَلَى ضُرٍّ وَتَوَطُّيْنٍ
وَرَاحُ فَضْلٍ الَّذِي يَبْغِي مُبَاهِلَتِي
نُعْمَى تُعْنِيهِ، مِنْ بؤْسِي تُعْنِيَنِي
يَا دَجَلَةَ الْخَيْرِ: شَكْوَى أَمْرُهَا عَجَبُ
أَنَّ الَّذِي جِئْتُ أَشْكُو مِنْهُ يَشْكُونِي
مَاذَا صَنَعْتُ بِنَفْسِي قَدْ أَحَقَّتْ بِهَا
مَا لَمْ يُحَقِّقْهُ بـ«رُومَا» عَسْفُ «نِيرُون»
أَلْزَمْتُهَا الْجَدَّ حَيْثُ النَّاسُ هَازِلَةٌ
وَالْهَزْلُ فِي مَوْقِفٍ بِالْجَدِّ مَقْرُونُ
وَسِمْتُهَا الْخُسْفَ أَعْدَى مَا تَكُونُ لَهُ
وَأَمْنَعُ الْخُسْفَ حَتَّى مِنْ يَعَادِينِي
وَرَحْتُ أَظْمِي وَأَسْقِي مِنْ دَمِي زُمَرًا
رَاحَتْ تُسَقِّي أَخَا لَوْمٍ وَتُظْمِيَنِي
وَقُلْتُ بِالزَّهْدِ أَدْرِي أَنَّهُ عَنَّتْ
لَا الزَّهْدُ دَأْبِي، وَلَا الْإِمْسَاكُ مِنْ دِينِي

خَرُطَ الْقَتَادُ أُمْنِيَهَا وَقَدْ خُلِقَتْ
كَيْمَا تَنَامَ عَلَى وَرْدٍ وَنِسْرَيْنِ
حَرَاةً لَوْ يُرَى حَمْدُ يُرَافِقُهَا
هَانَتْ وَقَدْ يُدْرَى خَطْبُ بَتْهَوَيْنِ
لَكِنْ رَأَيْتُ سِمَاتِ الْخَيْرِ ضَائِعَةً
فِي الشَّرِّ كَاللَّثَغِ بَيْنَ السَّيْنِ وَالشَّيْنِ
مَا أَضْيَعَ الْمَاسَ مَصْنُوعاً وَمُنْطَبِعاً
حَتَّى لَدَى أَهْلِ تَمْيِيزٍ وَتَثْمِينِ



يَا دَجَلَةَ الْخَيْرِ: هَلْ أَبْصَرْتُ بَارِقَةً
أَلْقَتْ بَلْمَحٍ عَلَى شَطَائِكِ مَظْنُونٍ؟
تَلَكُمُ هِيَ الْعَمْرُ وَمَضُ مِنْ سَنَا عَدَمٍ
يَنْصَبُ فِي عَدَمٍ فِي الْغَيْبِ مَكْنُونٍ
يَا دَجَلَةَ الْخَيْرِ: هَلْ فِي الشَّكِّ مُنْجَلِيّاً
حَقِيقَةً دُونَ تَلْمِيحٍ وَتَخْمِينٍ؟
أَمْ خُولِطَتْ فِيهِ أَوْهَامٌ وَأَخِيلَةٌ
كَمَا تَخَالِطُ الْأَلْوَانُ فِي الْجُونِ
أَكَادُ أَخْرَجَ مِنْ جِلْدِي إِذَا اضْطَرَبْتُ
هُوَاجِسُ بَيْنِ إِيقَانٍ وَتَظَنِّينِ
أَقُولُ لَوْ كُنْزُ قَارُونَ وَقَدْ عَلِمْتُ
كَفَّايَ أَنْ لَيْسَ يُجْدِي كُنْزُ قَارُونَ
أَقُولُ: مَا كُنْزُ قَارُونَ، فَيَدْمَغُنِي
أَنْ الْخِصَاصَةَ مِنْ بَعْضِ السَّرَاطِينِ
أَقُولُ: لَيْتَ كِفَافاً وَكَفَافُ بِهِ
رَحْبُ الْحَيَاةِ، وَأَقْوَاتُ الْمَسَاجِينِ

أقولهنّ وعندي علمٌ ذي ثِقَةٍ
أَنْ لَيْسَ يُؤْخَذُ عِلْمٌ بِالْأَظْهَانِ
وإنما هي نفسٌ همُّ صاحبها
أَنْ لَا تُصَدَّقَ مدحوضُ البراهين
لم يُوهبِ الفكرُ قانوناً يُحصّنه
من الظنون، ومن سُخفِ القوانين



يا نازحَ الدارِ ناغِ العودَ ثانيةً
وجسَّ أوتارَه بالرفق واللين
لعلَّ نجوى تُداوي حَرًّا أفئدةً
فيها الحزازاتُ تغلي كالبراكين
وعَلَّ عُقْبَى مَنَاقِبَةٍ مُخَفِّفَةً
حُمَى عَنَاتِرِ «صِقَيْنِ» و«حِطَيْنِ»
ويا صدى ذكرياتٍ يستثرنَ دمي
بهزّةٍ جمّةٍ الألوانِ تعروني
أشكو المرارةَ من إعناتِ جامحةٍ
منها إلى سَمْحَةٍ بَرٍّ فتُشْكِينِي
مثلَ الضرائرِ هذي لا تطاوعني
فأستريحُ إلى هذي فتُؤْوِينِي



ويا مَقِيلًا على غربيّها أبداً
ذكراه تعطف من عُودي وتلويني
عُشُّ الأهازيجِ من سَجْعي يُردِّدها
سجَّ الحَمَامِ وترجييعِ الطواحين
وسِدْرَةٌ نَبْعُهَا خَضَدٌ، وساقيةٌ
وباسقُ النخلِ معقوفِ العراجين

وَمُسْتَدَقٌ صَخُورٍ مِنْ مَابَرِهَا
رُؤْيٌ تَظَلُّ عَلَى الْحَالِينَ تُشْجِيْنِي
مِنْ أُنْمَلِ الْغَيْدِ فِي حُسْنٍ تُتَمِّمُهُ
فَإِنْ تَعَرَّتْ فَمِنْ أُنْيَابِ تِنِّينِ
يَا مَجْمَعَ الشَّمْلِ مِنْ صَحْبٍ فُجِعَتْ بِهِ
وَأَخْرَجَتْ أَبْلُوهُ وَيَبْلُوْنِي
وَيَا نِسَائِمَ إِصْبَاحٍ تُصَفِّقُ لِي
نَدَى الْغُصُونِ بَلِيلَاتٍ وَتَسْقِيْنِي
وَيَا رُؤْيَ أَصْلٍ نَشْوَى تُرَاوِحُنِي
وَيَا سَنَى شَفَقٍ حَلَوِيٍّ غَادِيْنِي
وَيَا مَدَاحَةَ رَمَلٍ فِي مَخَاضَتِهَا
رَاحَتٍ أُصَيَّبِيَّةٌ تَلْهُو فَتُلْهِيْنِي
وَضَجَّةٌ مِنْ عَصَافِيرٍ بِهَا فَرْعٌ
عَلَى أَكْنَتِهَا بَيْنَ الْأَفَانِيْنِ
وَمَنْطَقٌ لَيْسَ بِالْفَصْحَى فَتَفْهَمُهُ
يَوْمًا وَمَا هُوَ مِنْ حَسٍّ بِمَلْحُونِ
وَأَنْتِ يَا دَجْلَةَ الْخَيْرَاتِ سِعْلِيَّةٌ
قِرْعَاءُ نَافِجَةِ الْحِضْنَيْنِ تَعْلُوْنِي
لَا ضَيْرَ كُلِّ أَخِي عُشٌّ مَفَارِقُهُ
وَأَيُّ عَشٍّ مِنَ الْبَازِي بِمَأْمُونِ!



وَيَا ضَجِيْعِي كَرِيٍّ أَعْمَى يَلْقَاهُمَا
لَفَّ الْحَبِيبَيْنِ فِي مَطْمُورَةٍ دُونِ
حَسْبِي وَحَسْبُكُمَا مِنْ فُرْقَةٍ وَجَوَى
بَلَاعِجٍ ضَرَمَ كَالْجَمْرِ يَكُوِيْنِي

لم أَعُدْ أَبْوَابَ سِتِّينَ، وَأَحْسَبُنِي
هَمًّا وَقَفْتُ عَلَى أَبْوَابِ تَسْعِينَ
يَا صَاحِبِي إِذَا أَبْصَرْتُ طَيْفَكُمَا
يَمْشِي إِلَيَّ عَلَى مَهْلٍ يُحْيِيَنِي
أَطَبَقْتُ جَفْنًا عَلَى جَفْنٍ لِأَبْصَرَهُ
حَتَّى كَانَ بَرِيقَ الْمَوْتِ يُعَشِّينِي
إِنِّي شَمَمْتُ ثَرَى عَقْنًا يَضُمُّكُمْ
وَفِي لُهَاثِي مِنْهُ عَطَرُ «دَارِين»
بُنُوءَةً وَإِخَاءً حَلَفُ ذِي وَلَعٍ
بِتَرْبَةِ فِي الْغَدِ الدَّانِي تَغْطِيَنِي
لَقَدْ وَدَدْتُ - وَأَسْرَابُ الْمَنَى خُدَعٌ -
لَوْ تَسْلَمَانِ وَأَنْ الْمَوْتَ يَطْوِيَنِي
قَدْ مِتُّ سَبْعِينَ مَوْتًا بَعْدَ يَوْمِكُمَا
يَا ذُلًّا مَنْ يَشْتَرِي مَوْتًا بِسَبْعِينَ
لَمْ أَقْوِ صَبْرًا عَلَى شَجْوٍ يُرْمِضُنِي
حَرَّانَ فِي قَفْصِ الْأَضْلَاعِ مَسْجُونِ
تَصَعَّدْتُ أَمِنْ تَلْقَاءِ فَطَرْتَهَا
وَأَرْدَفْتُ أَهْلَةً أُخْرَى بِأَمِينِ
وَدَبُّ فِي الْقَلْبِ مِنْ تَامُورِهِ ضَرْمٌ
مَا انْفَكَّ يُثْلِجُ صَدْرِي حِينَ يُصَلِّيَنِي

براغ (١٩٦٢)

من: «ديوان الجواهري»

حافظ جميل

شاعرو عقار

أَيُّ عِبءٍ عَلَيْكَ هَذَا النَّهَارُ
لَا نَسْـدَامِي بِهِ وَلَا سُسْـمَارُ
أَجْمَالُ الْحَيَاةِ غَيْرُ نَدِيمٍ
تَصْطَفِيهِ وَغَيْرُ كَأْسٍ تُدَارُ؟
وَحَبِيبٍ إِذَا تَنَفَّسَ هَبَّتْ
مِنْ نَوَاحِيهِ نَسْمَةٌ مِعْطَارُ؟
وَلِبِئْسَ النَّهَارُ إِنْ هَامَتْ النَّفْثُ
سُ، فَلَا حَانَنَةً وَلَا خَمَّارُ
رُبَّ لَيْلٍ تُحْيِيهِ أَسْوَدَ دَاجٍ
لَا يَضَاهِيهِ فِي الْجَمَالِ افْتِرَارُ
وَنَهَارٍ مَا ذُرْفِي الْأَفْقِ إِلَّا
لَتَذُرَّ الْهَمُّومُ وَالْأَكْدَارُ
أَفْحَتُمْ عَلَيَّ أَنْ أَهْجَعَ اللَّيْلُ
لَ، وَتَأْبَى أَنْ تَهْجَعَ الْأَوْطَارُ؟

- حافظ بن عبد الجليل بن خليل بن عبد الجليل بن جميل .

- ولد في «بغداد» عام ١٩٠٨، وتوفي عام ١٩٨٤ .

- نال درجة البكالوريوس في العلوم سنة ١٩٢٩ من الجامعة الأمريكية في بيروت .

- عمل في التدريس، فموظفًا في وزارة المالية ووزارة المواصلات.

ولمَ النومُ ما وجدتُ حبيباً
همُّه الليلُ شاعراً وعقار؟
ولمَ الصبحُ والحياةُ شراباً
ونديمٌ وقبلةٌ وحِوار؟
ولمَ الصبحُ إن تجهمَ يومي
واكفهرتَ بوجهي الأنوار؟
حبّذا الليلُ موعداً لحبيبٍ
أقسمَ الدهرَ صُبْحَه لا يُزار
يا حبيبي ويا نجيَّ فؤادي
أمنَ الكأسِ إن حضرتَ فرار؟
رشفةٌ منك تغمر الصدرَ طيباً
وبآخرى يزول عنه الأوار
يا حبيبي وما عرفتُ حبيباً
من نسيمِ الصَّبَا عليه أغار
أتمنّاك جنةً في عيوني
وجحيماً إن حدّق النُّظَار
أكبح الشوقَ جامحاً في فؤادي
فيرى الدمعَ طافحاً فيُّثار
يا حبيبي وأيُّ قلبٍ كقلبي
ناصع الحبِّ ما عليه غبار
أنتَ إلهامٌ خاطري في منامي
وكتابي إذا أطلَّ النهار
أتمنّاك لو قرأت شعوري
وتغنّيتُ بغيرك الأشعار
أنتَ أسمى من أن أبثّك شعراً
يزدريه جمالك القهار

أَيُّ حُسْنٍ كَحَسَنٍ وَجْهَكَ مَعْنَى
كُلُّ مَا فِيهِ جِدَّةٌ وَابْتِكَارٌ؟
يَا حَبِيبِي وَأَيُّ حُبٍّ كَحَبِّي
لَهَبٌ مِنْ عَوَاطِفٍ وَشَرَارٍ؟
أَرْقُبِ الْوَصَلَ جَازِعاً وَنَصِيحِي
أَبَدَ الدَّهْرِ مَوْعِدٌ وَانْتَظَارُ
أَيُّ حَظٍّ فِي الْعَاثِرِينَ كَحَظِّي
تَتَبَارَى فِي نَحْسِهِ الْأَقْدَارُ؟
كَلَّمَا قُلْتُ فِي غَدٍ لِي لِقَاءُ
خَابَ ظَنِّي وَجَاءَتْ الْأَعْدَارُ
يَا حَبِيبِي غَمَرْتُ (بِירוَت) لَطْفاً
(وَبِغَدَاد) مِنْ فِرَاقِكَ نَارُ
وَلِنَعْمَ الْعِزَاءُ لَوْ كَانَ يُغْنِي
عَنْ لِقَاكَ الْحَدِيثُ وَالْأَخْبَارُ
وَمَتَى نَابَ عَنْ مُرَادٍ خِيَالُ
وَأَعَادَ الْعَهْدَ السَّعِيدَ أَدْكَارُ؟
لَيْتَ نَفْسِي قَضَتْ (بِبِירוَت) نَحْباً
وَاسْتَقَرَّتْ بِهَا وَنِعْمَ الْقَرَارُ

من ديوان: «اللهب المفقى»

لبنان

نَرِ الدَّمْعَ المَلْحَ يَزِيدُ وَكُفَا
فَمَا لَكَ غَيْرُ لَبْنَانٍ وَتُشْفَى
صَبْرَتَ وَلَاتٍ مُصْطَبِرٍ لِنِخْوَ
أُطْلُ عَلَى مَنِيَّتِهِ وَأَشْفَى
بِلَوْتِ الحَادِبِينَ عَلَيْكَ طُرّاً
فَلَمْ تَظْفِرْ بِأَنْدَى مِنْهُ عَطْفَا
أُظْلِكَ فِي الشَّجَابِ فَكَانَ وَكُنَا
وَحَاطَكَ فِي المَشْيِبِ فَكَانَ كَهْفَا
وَمَنْ لَكَ فِي النِّوَازِلِ إِنَّ أَلَمَّتْ
بِأَرْعَى ذِمَّةً مِنْهُ وَأَوْفَى
كَفَاكَ بِهِ لَدَى الْأَزْمَاتِ دُرْعَاً
وَإِنْ نَابَتْكَ نَائِبَةٌ فَسَيِّفَا



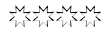
أَعْتُنِي وَارِعَ يَا (لَبْنَانُ) قَلْبَاً
إِذَا خَطَرْتُ لَهُ ذَكَرَكَ رَقَاً
وَبُثَّ جِوَانِحِي نَفَثَاتِ شَعْرِ
يُحِيلُ عِوَاطِفِي لَهَباً مُقَفَّى
وَأَيْنَ مِنَ الشُّعُورِ المَحْضِ شِعْرُ
يُحِبُّرُهُ لَكَ الشُّعْرَاءُ زُلْفَى

صدقْتُكَ فيه عاطفتي فأفضى
بأصدق ما يخالجني وأصفى
وصغتُ لنظمه حَبَّاتِ قلبي
فلم أترك به غشاً وزيفاً
ولو فصلتُ فيه سوادَ عيني
لما وقى جميلَكَ إذ يُوقى
حديثُ الحبِّ يا (البَنَّانُ) مُرُّ
لمن نضبتُ صبابته فجفاً
وهل يُحيي الحديثُ سوى أدكارِ
لأيامٍ تزيد الجرحَ نزفاً؟
خلوتُ أعدَّ من صَفحاتِ عمري
سِني لذاتها حَرْفاً فحرفاً
فلم أذكر من الخمسين منها
سوى خمسٍ تقضتُ فيكَ طيفاً
ولو كُتبتُ بأرضِكَ لي حياةٌ
رضيتُ بنصفها وتركْتُ نصفاً
فما دنيائي بعدكَ لي بعُمرِ
ولو عُمِّرتُ بعد ألف ألف
تَنسَكُ في حنيف هوَاكَ قلبي
فعاف لذائذ الدنيا وعَقاً
أراني حيثُ سرتُ أرى ضباباً
سدلتُ به على عيني سِجْفاً
وأحيا منك في وطني غريباً
كأنني قد نزلتُ عليه ضيفاً
وهل أبقيتُ لي في الأرض داراً
أحنُّ لها وفي الخِلاَنِ إلَفاً؟

كفى بي أن يعود الودُّ كرهاً
وتصبح ندوة الأحاب منفي
ذكرتك والشدائد فوق طوقي
فما استخذيت للأيام ضعفا
ولا نددت بالأسقام تنرى
وقد أبقيت لي لأراك طرفا
ولو قدرن لي إطفاء عيني
لظل هواك ثورا ليس يطفأ
حمانني عنك في الأدواء داء
أحاول حسمه فيزيد ضعفا
ونازعني هواك فكان أقسى
علي من الضنى وأشدَّ عنفا
خبرت الدهر إيعاداً ووعداً
وطبع الدهر إنجازاً وخلفاً
فلم أر كاحتمال الوعد رزءاً
لمعود ولا كالمطل حنفا
تطاول في نواك فهاج وجداً
وماطل في لقاك فزاد خسفا
وطال توجُّعي لك واحتوتني
مصائب لا أطيق لهنَّ وصفا
كأنني والمنية نُصِبَ عيني
أجاري الدهر أخلاقاً وعرفاً
فأخلع من ضروب الحزن لوناً
لألبس من شتات الداء صيفا
وأذعن للخطوب وقد توالى
لعل وراءها فرجاً ولطفاً



أَرْحُ مُضْنَاكَ يَا (الْبَنَّانُ) وَارْحَمْ
حَلِيفَ صَبَابَةٍ بِهَوَاكَ شَقًّا
ثَوَى فِي سَجْنِ عَزَلَتِهِ غَرِيباً
فَمَا يَسْطِيعُ غَيْرَ الشَّجْوِ عَرْفَا
وَلَوْ عَادَ الزَّمَانُ بِهِ طَلِيقاً
لِحَوْمْ فِي رِيَاضِكَ وَاسْتَدْقَا
وَعَانِقَ أَرْزَهِهَا قُبْلَاً وَشَمًّا
وَنَاطِفَ كَرَمِهَا ضَمًّا وَرَشْفَا
وَشَادَ لَهُ مِنَ الزَّيْتُونِ بَيْتاً
وَمِنْ أَهْدَابِهِ عَمَداً وَسَقْفَا



سَقَاهَا اللَّهُ جَنَّاتٍ ظِلَالاً
تَرْفُ بِشَاشَةٍ وَتَنْثُ عَرْفَا
تُنَاهِضُهَا الرَّبُّي فِتْتِيهِ زُهَواً
وَيُرْهِقُهَا الْجَنَى فِتْمِيلَ عِطْفَا
وَيَغْمُرُهَا النَّدَى فَتَشْقُ عَنْهَا
كَثِيفَ ضَبَابِهِ وَتَعُودُ تَخْفَى
تَجِرُّ عَلَى طَوِيلِ السَّفْحِ رِدْنَاً
وَتَلْبَسُ مِنْ نِقَابِ الْغَيْمِ شِقَاً
إِذَا اسْتَذَرَى بِهَا رِضْوَانُ أَيْكَ
تَهْزَأُ بِالْجَنَائِنِ وَاسْتَخْفَا
وَدَاعِبَ مِنْ نِسَائِمِهَا أَرِيجاً
تَوَسَّدَ طَيِّبَ نَفْحَتِهِ وَأَغْفَى
خَمَائِلُ مَا نَعَيْنَ عَلَى شَتَاءٍ
تَقَشُّفُهُ، وَلَا عَاتِبِينَ صَيْفَا

ولا هتك الخريفُ لهنَّ سِنَّراً
ولا مرَّ الربيعُ بهنَّ خَطْفا
مُنْشُرةً على الأكامِ شَتَّى
وتلقاها على الحافات صفا
مرفرفةً على شلالِ ماءٍ
تَناوله الصِّفا ذرّاً ونُدْفا
كأنَّ اللهَ أطلقها خيالاً
ليجعلها على الشعراء وقفا
نزلتُ على مشارفها أناجي
أويقاتِ الشبابِ وقد تَعَفَّى
وأحباباً أنستُ بهم عُكوفاً
على كاساتهم يحسون صِرْفا
فمن صادين يحتضنون زقفاً
ومن صابين يعتنقون خِشْفا
ومنتجعين رُمّاناً وكَرْماً
أَبَوْا إلا تُدَيَّ التينِ قطفا
ومُغتربين من سلسالِ نبعٍ
مضَوّاً عنه وقد جمدوا أَكْفا
ومُستوحين من (البنان) شعراً
ومن أهليه أَداباً وظَرْفا
رعاها الله أحلاماً تولّتْ
ولم تترك سوى الآهاتِ خَلْفا

أَلَمْتُ كَالْخِيَالِ بِنَا وَجَازَتْ
وَجُزْنَا بَعْدَهَا لَمْ نَدْرِ كَيْفَا
وَمَنْ عِنْدَ الشَّدَائِدِ مِنْ مَلَاذٍ
سَوَى (لِبْنَانٍ) إِنْ أَمَعْنَ عَسْفَا؟
سَلِمَتِ الدَّهْرِيَا (لِبْنَانُ) طَوْدَا
عَلَى الْأَطْوَادِ أَشْمَخَهُنَّ أَنْفَا
من ديوان: «الذهب المقفَى»

تحية الشعر^(١)

أضيافَ (بغداد) هذا وجهُ بغدادِ
صحائفُ من بطولات وأمجادِ
ما حَبَرَ الدهرُ تاريخاً كَأسْطُرها
في لوحِ خُلْدٍ ولا في سِفْرِ آبادِ
في كل صدرِ كتابٍ من روائعها
يُتلى وفي كل ثغرٍ حلوٍ إنشادِ
هاتوا الصحائفَ من عِرٍّ ومن حَسَبِ
إن كنَّ أندادُها أو شبه أندادِ
إرثُ العباقرةِ الأفاضلِ إن وقفوا
بين الجبابرةِ كانوا شَمَّ أطوادِ
مآثرُ الخلفاءِ العُرِّ ما تركوا
لسادة الأرضِ رأساً غير مُنادِ
السالكين طريقَ النصرِ ما وهنوا
من طولِ مرحلةٍ أو بُعْدِ أَمادِ
الرافعين لواءَ الحقِّ ما فترتْ
سيوفُهم بين إشهارٍ وإغمادِ
ما شأنهم ويمينُ اللهِ تسندهم
أن يُشركوا السيفَ في دعمٍ وإسنادِ
تبارتِ البيضُ والأقلامُ فانطلقتْ
لم يثننها طولُ أفاقٍ وأبعادِ

(١) ألقيت في مهرجان الشعر في بغداد عام ١٩٦٥م.

إذا نبا السيفُ في زِيغٍ يُقوِّمه
سَلَّ اليراعَ عليه سيفُ جَلادٍ
وحكمةُ السيفِ في زَجَرٍ وفي رَهَبٍ
كحكمةِ الله في وعدٍ وإيعادٍ
تبقى العقائدُ تستوحي شجاعتها
من غِيلِ أَفئدةٍ لا غِيلِ أسادٍ
والحربُ ساحلُ آراءٍ وفلسفةٍ
طلائعُ الحقِّ فيها خيرُ أجنادٍ
وما الحضارةُ إلا كدُّ أدمغةٍ
وقدرةُ العقلِ في خَلْقٍ وإيجادٍ
وثروةُ الفكرِ طاقاتٌ تُفجِّرُها
في غيرِ مَصنَعِ بارودٍ وقُولا
لم تحتضنْ غيرَ أقلامٍ وألسنةٍ
مُشهَّراتٍ لتَهْذِيبٍ وإرشادٍ
ما أعجزَ السيفَ حسنُ الرأيِ يُعوِّزه
وما أضلَّ السُّرى من غيرِ ما هادٍ
رَبُّ البطولةِ خلفَ الطُّرسِ مَقْعَدُهُ
لا فوقَ بارجةٍ أو فوقَ طَرادٍ
لولا المخلَّدُ من شعيرٍ ومن أدبٍ
أخنى الزمانُ على ذكرِ (ابن شَدَّادٍ)
حسبُ اليراعةِ أن تُسقى إذا ظمئتُ
من جوفِ مِحْبَرَةٍ لا جوفِ أكبادٍ
وما الحسامُ بلا دينٍ ولا خُلُقٍ
إلا النهايةُ في كُفْرِ وإلحادٍ

مَنْ زَيْفَ الْحَقِّ إِلَّا غَشُّ أَنْظُمَةٍ
 واستعبد الناسَ إِلَّا ظَلَمُ أَفْرَادٍ؟
 ومن قَضَى أَنْ يَكُونَ الْبَعْضُ آلِهَةً
 وَأَنْ يَظَلَّ سِوَاهُمْ مُحَضُّ عُبَّادٍ؟
 لَا بُورَكَتْ دَوْلَةٌ قَامَتْ شَرَائِعُهَا
 عَلَى مَبَادِئِ خُدَامٍ وَأَسْيَادِ
 هَاتُوا الْعَبِيدَ أَقْطَعْ كَفَّهُمْ قُبْلًا
 وَلَا أَصَافِحْ كَفَّ الظَّالِمِ الْعَادِ
 أَهْيَ الْكَرَامَةِ فِي جَاهٍ وَفِي نَسَبٍ
 وَلَيْسَ فِي عَمَلٍ مُضْنٍ وَإِجْهَادٍ؟
 وَلَى الَّذِي كَانَ إِنْ غَنَى بِمَخْتِدِهِ
 خَلَّى الْوَرَى بَيْنَ عُشَّاقٍ وَحُسَّادِ
 فَمَا رَفِيقُكَ فِي جَهْدٍ وَفِي عَمَلٍ
 إِلَّا شَرِيكَكَ فِي بؤْسٍ وَإِسْعَادِ
 أَيَحْسَبُ الْجَشِيعُ الْمُنْهَوْمُ أَنَّ لَهُ
 دَيْنًا بِذِمَّةِ هَذَا الْجَائِعِ الصَّادِ؟
 وَأَنْ يَعْيشَ أَخُو اللَّذَاتِ فِي رَعْدٍ
 وَالْكَادِحُونَ بِلَا مَأْوَى وَلَا زَادِ
 بِئْسَ الشَّعَارُ شَعَارُ الْعَدْلِ يَرْفَعُهُ
 بَاغٍ يَعْيشُ عَلَى مَجْهُودِ أَنْكَادِ
 ❖❖❖❖❖❖❖❖
 أَضْيَافَ بَغْدَادٍ أَوْجَزْتُمْ زِيَارَتَكُمْ
 عَدُوا بِطُولِ زِيَارَاتٍ وَتَرْدَادِ

طوفوا ببغداد لا يُلَهَبُ مشاعركم
ما شاقكم من حديث الراح الغادي
واستعرضوا وجه ماضيها وحاضرها
بما شهدتم وكونوا خيرَ أشهاد
بغداد هذي أم الدنيا وما شهدت
مواكب الفتح من عرس وأعياد؟
بغداد هذي أم الفردوس ناشرة
أعلامها بين مُفْتَرٍّ ومَيَّاد؟
بغداد هذي ومن أولى بتكرمة
منها طوال المدى أو عيد ميلاد؟
وتلك (دجلة) أم عذراء حاملة
تُضاحك النجم عن فضي أبراد؟
جرت على صفحة الوادي مطارفها
فسحسح الخير يسقي ساكن الوادي
كأنها وجناح النخل يحضنها
فجبر تلالاً في أكناف أوراد
ساحت على القفر فاخضرت جوانبه
فالناس ما بين روادٍ ووراد
من قيض السحر (للمنصور) فانتفضت
كقاه عن كوكب في الأرض وقاد؟
ومن أحوال كتيب الرمل زنبقة
تُناظر الشمس في حُسْنٍ وآراد؟
تلك الأميرة لولاها لما هتفت
في البيد قافلة أو ردّد الحادي

تَسْنَمْتُ مَفْرَقَ الشَّطَيْنِ وَانْتَصَبْتُ
بُرْجاً لِسَارِينَ أَوْ رَكْناً لِقُصَادِ
وَعَصَّ بِالنُّزْلِ وَادِيهَا فَمَا بَرِمْتُ
بِمُسْتَظْلٍ وَلَا ضَاقَتْ بِمُرتَادِ
سَلِيلَةُ الْمَجْدِ لَمْ يَثْلُمِ كِرَامَتُهَا
مَا ضَامَهَا مِنْ سَلَاطِينَ وَقُودِ
طَالُوا عَلَيْهَا سَنَا عِزٌّ فَكَانَ لَهُمْ
عَيْنُ الْقَضَاءِ وَكَفَّاهُ بِمِرْصَادِ
وَرُبُّ عَشَّاقٍ أَمْجَادٍ مَزُورَةٍ
حَلَّ الْفَنَاءُ بِهِمْ مِنْ غَيْرِ مِيعَادِ
تَقَلَّدُوا شَارَةَ الْأَحْرَارِ وَاحْتَجَزُوا
لِسَيْفِهِمْ كُلَّ حُرٍّ غَيْرِ مُنْقَادِ
وَأَيُّ حُرِّيَّةٍ تِلْكَ الَّتِي نَشَأَتْ
فِي قَعْرِ سَجْنٍ وَعَاشَتْ بَيْنَ أَصْفَادِ؟
حُرِّيَّةُ الْمُسْتَبَدِّ الْفُظِّ أَيْسَرُهَا
إِعْدَادُ مُعْتَقِلٍ أَوْ نَصَبُ أَعْوَادِ
لَا نَامَ حَارِسُ بَغْدَادٍ وَلَا عَدِمْتُ
أَغْيَارَ أَسَدٍ عَنِ الْأَوْطَانِ ذُؤَادِ
تَدَاوَلَتْهَا يَدُ الْأَشْرَارِ فَاعْتَصَمْتُ
بِفَتْيَّةٍ سُبْقٍ فِي الْغَوَاثِ أَنْجَادِ
مِنْ حَامِلِينَ ذِمَامَ الْعَهْدِ فِي يَدِهِمْ
وَمِنْ مُضَحِّينَ بِالْأَرْوَاحِ أَجْوَادِ
وَلِلْكَرَامِ حَمِيَّاتٌ إِذَا احْتَدَمْتُ
فَلَيْسَ تَسْكُنُ فِي كِبْتٍ وَإِخْمَادِ



نَشْرُءَ الْعِرَاقَ وَحَيَّا اللَّهَ نَاشِئَةً
تَوَارَثُوا الْعِزَّ عَنْ أَحْرَارِ أَجْدَادِ
جَالِ الْمَفْرَقِ فَيَكُم يَبْتَغِي قَنَصاً
فَحَازِرُوا أَنْ تَكُونُوا طُعْمَ صَيَّادِ
لَمْ يَخْلُ تَارِيخُكُمْ مِنْ بَثِّ تَفْرِقَةٍ
قَامَ الْخُصُومُ بِهَا أَوْ زَرَعَ إِفْسَادِ
فَمَحَّصُوا وَجَهَ أَعْدَاكُمْ فَقَدْ نَسَخُوا
رُوحَ الْأَبَالِسِ فِي سَيِّمَاءِ زُهَّادِ
حَسَبُ الْأَنَانِيَةِ النُّكْرَاءِ مَا جَلَبَتْ
عَلَى الْعِرَاقِ وَمَا جَرَّتْ عَلَى الضَّادِ
فَبَادِرُوا وَاجْمَعُوا أَشْتَاتَ صَفِّكُمْ
فَمَا خُلِقْتُمْ لِأَضْغَانٍ وَأَحْقَادِ
أَنْتُمْ بَنُونَا وَنَبْعُ مِنْ حُشَاشَتِنَا
وَمَا نُبَدِّلُ أَوْلَاداً بِأَوْلَادِ
مَا عَاقَ أَعْدَاءَكُمْ وَالْخُلْفُ دَيْدَنُكُمْ
أَنْ يَضْرِبُوا الْكُلَّ أَحَاداً بِأَحَادِ
وَكَيْفَ يُسْفِرَ عَنْ نَصْرِ جِهَادِكُمْ
إِنْ فَاتَكُمْ حَسَنُ تَنْظِيمٍ وَإِعْدَادِ
صَرَخُ الْحِضَارَةِ مَا شِيدَتْ دَعَائِمُهُ
إِلَّا عَلَى فَتْيَةٍ كَالجِنِّ مُرَادِ
وَالشَّعْبُ بِالْعَمَلِ الْجَبَّارِ قَدْرَتُهُ
لَا فِي مَدَى رَفْعَةٍ أَوْ كُنْثَرِ تَعْدَادِ
أَلَمْ تَعْظَمُوا (فِلَسْطِينَ) وَنَكَبْتُمُهَا
بِسَائِرِينَ إِلَى الْأَعْدَاءِ أَضْدَادِ؟

ألم تُثَرِّكُم ضحايَاكم وما نثرتُ
في ساحة المجد من هامٍ وأجِياد؟
ملءُ القفارِ جراحاتٍ مجلجلةً
أصدأوها بين أغوارٍ وأنجاد
تلك الجراحُ وما من بِرْكةٍ نشفتُ
ولم تجد من دِماها خيرَ إمداد
تلك الجراح ومن يُطفي حفيظتها
من بعد ما أحتدمت من طول إيقاد؟



نشء العراق ألا فانضوا عزائمكم
فالعصرُ عصرٌ وغى لا عصرٌ إخلاد
هيهات يُنصفكم في ضعفكم أحدُ
من حاضِرٍ في فجاج الأرضِ أو باد
فعَبَّئوا من قُواكم كلَّ طاقتها
فحسبُنا طولُ إرعادٍ وإزباد
وحقَّقوا الوحدةَ الكبرى لأمتكم
فما الحدودُ بأسوارٍ وأسداد
حسبُ التعاطفِ بالأفكارِ رابطةً
فكيف لو كان في رُوحٍ وأجساد
أيُّ القبابِ سمتُ من غيرِ أعمدةٍ
وأيُّهنَّ استوتُ من غيرِ أوتاد؟
تعيَا الأكفُ بأدنى ما تُحمِّلها
لولا تضافرُ أكتافٍ وأعضاد

نشء العراق ألا لا فاتكم أبداً
حرص الغيور وبذل المخلص الفادي
ولا هدأتم ولا نامت عيونكم
عن الطغاة ولا ضاقت بتسهاد
عين العروبة ما زالت تلاحظكم
هياً أعيدها لها أمجاد بغداد
من ديوان: «الذهب المقفى»



نازك الملائكة

خمس أغانٍ للألم

(١)

مُهدّي ليالينا الأسي والحرَقْ
ساقى مآقينا كؤوس الأرقْ

نحن وجدناه على دربنا
ذاتَ صباحٍ مطيرٍ
ونحن أعطينا من حبِّنا
رَبَّةَ إشفاقٍ وركناً صغيرٍ
ينبض في قلبنا

فلم يعد يتركنا أو يغيبُ
عن دربنا مرَّه
يتبعنا ملءُ الوجود الرحيبُ
يا ليتنا لم نُسقه قطره

- نازك صادق الملائكة.

- ولدت في «بغداد» عام ١٩٢٣.

- بعد تخرجها في كلية دار المعلمين ببغداد أكملت دراسة الماجستير في جامعة وسكانسن في أميركا.

- عملت في التعليم الجامعي.

- دواوينها الشعرية: «عاشقة الليل» ١٩٤٧، «شظايا ورماد» ١٩٤٩، «قرارة الموجة» ١٩٥٧، «شجرة القمر» ١٩٦٥، «مأساة الحياة وأغنية للإنسان» ١٩٧٧، «للصلاة والثورة» ١٩٧٨، «يغير ألوانه البحر» ١٩٧٩، «الأعمال الكاملة -

ذاك الصباح الكئيبُ

مُهْدِي لِيَالِينَا الْأَسَى وَالْحَرْقُ
سَاقِي مَاقِينَا كُؤُوسَ الْأَرْقُ.

(٢)

من أين يأتينا الألمُ
من أين يأتينا؟
أخى رؤانا من قَدَمٍ
ورعى قوافينا

أَمْسِ اصْطَحْبِنَاهُ إِلَى لُجَجِ الْمِيَاهِ
وَهَنَّاكَ كَسْرَنَاهُ بَدَدْنَاهُ فِي مَوْجِ الْبَحِيرِ
لَمْ نُبْقِ مِنْهُ أَهَةً لَمْ نَبْقِ عَبْرَهُ
وَلَقَدْ حَسَبْنَا أَنَّنَا عَدْنَا بِمَنْجَى مَنْ أَذَاهُ
مَا عَادَ يُلْقِي الْحَزْنَ فِي بَسَمَاتِنَا
أَوْ يُخْبِي الْغَصَصَ الْمَرِيرَةَ خَلْفَ أُغْنِيَاتِنَا

ثُمَّ اسْتَلَمْنَا وَرْدَةً حَمْرَاءَ دَافِئَةِ الْعَبِيرِ
أَحْبَابُنَا بَعَثُوا بِهَا عَبْرَ الْبَحَارِ
مَاذَا تَوَقَّعْنَاهُ فِيهَا؟ غَبْطَةٌ وَرَضَى قَرِيرُ
لَكِنَّهَا انْتَفَضَتْ وَسَالَتْ أَدْمَعًا عَطَشَى حِرَارِ
وَسَقَتْ أَصَابِعُنَا الْحَزِينَاتِ النِّعَمِ
إِنَّا نَحْبُكُ يَا أَلَمُ

من أين يأتينا الألمُ؟

من أين يأتينا؟
أخى رؤانا من قدمٍ
ورعى قوافينا
إنا له عطشٌ وقمٍ
يحيا ويسقينا.

(٣)

أليس في إمكاننا أن نغلبَ الألم؟
نُرجئه إلى صباحٍ قادمٍ؟ أو أمسيةٍ
نُشغله؟ نُقنعه بلعبةٍ؟ بأغنيةٍ؟
بقصةٍ قديمةٍ منسيةٍ النغم؟

ومن عساه أن يكونَ ذلكَ الألم؟
طفلٌ صغيرٌ ناعمٌ مُستفهمُ العيونِ
تُسكته تهويدهُ وربتهُ حنونُ
وإن تبسّمنا وغنّينا له ينمُ

يا إصبعاً أهدى لنا الدموعَ والندمَ
منَ غيره أغلقَ في وجهه أسانا قلبه
ثم أتانا باكياً يسألُ أن نُحبّه
ومن سواه ورعَ الجراحِ وابتسم؟

هذا الصغيرُ.. إنه أبرأ من ظلمٍ
عدوُّنا المحبُّ أو صديقنا اللدودُ
يا طعنةً تريد أن نمنحها خدودُ
دون اختلاجٍ عاتبٍ ودونما ألمٍ

يا طفلنا الصغيرَ سامحنا يداً وقم
تحفر في عيوننا معابراً للأدمع
وتستثير جرحنا في موضع وموضع
إننا غفرنا الذنب والإيذاء من قدم.
(٤)

كيف ننسى الألم
كيف ننساها؟
من يضيء لنا
ليل ذكراه؟

سوف نشربه سوف نأكله
وسنقفو شرود خطاه
وإذا نمنا كان هيكلة
هو آخر شيء نراه

وملامحه هي أول ما
سوف نبصره في الصباح
وسنحمله معنا حيثما
حملتنا المنى والجراح

سنبيح له أن يقيم السدود
بين أشواقنا والقمر
بين حرقتنا وغدير برود
بين أعيننا والنظر

وسنسمح أن ينشرَ البلوى
والأسى في مآقينا
وسئوويه في ثنيةِ نشوى
من ضلوع أغانينا

وأخيراً ستجرفه الوديانُ
ويوسده الصَّبِيرُ
وسيهبط واديننا النسيانُ
يا أسانا، مساءً الخير!

سوف ننسى الألمُ
سوف ننساهُ
إننا بالرضى
قد سقيناهُ.

(٥)

نحن تَوَجَّنَاكَ في تهويمة الفجرِ إلها
وعلى مذبحك الفضِّيَّ مرَّغنا الجباها
يا هوانا يا أَلَمُ
ومن الكَتَّان والسِمْسَم أحرقنا بخورا
ثم قَدَّمنا القرايينَ ورتلنا سطورا
بابليَّاتِ النغمِ

نحن شَيِّدْنَا لَكَ المعبَدَ جدراناً شذِيه
ورششنا أرضه بالزيت والخمر النقيّه

والدموع المحرقة
نحن أشعلنا لك النيرانَ من سَعَفِ النخيلِ
وأسانا وهشيم القمح في ليلٍ طويلِ
بشفاهٍ مُطبَّقةٍ

نحن رتلنا وناديننا وقَدَمنا النذورُ:
بَلَحْ من بابلَ السكرى وخبزٌ وخُمورُ
وورودُ فَرَحِهِ
ثم صليَنا لعينيكَ وقَرَبنا ضحيَّه
وجمعنا قطراتِ الأدمعِ الحرَّى السخيَّه
وصنعنا مسبحَه

أَنْتَ يَا مَنْ كَفُّهُ أَعْطَتْ لِحُوناً وَأَغَانِي
يَا دُمُوعاً تَمْنَحُ الْحِكْمَةَ، يَا نَبْعَ مَعَانِ
يَا ثَرَاءً وَخُصُوبَهُ
يَا حَنَاناً قَاسِياً يَا نَقْمَةً تَقْطُرُ رَحْمَهُ
نحن خبَّانَاكَ فِي أَحْلَامِنَا فِي كُلِّ نَغْمِهِ
من أَغَانِينَا الْكُثْيِيَّةِ.

(١٩٥٧)

من: «الأعمال الشعرية الكاملة»

سوسنة اسمها القدس

إذا ما عويلُ رياح المنايا
غداً مرَّ يمحو صدى عُمرنا
وصيرنا الموتُ مائدةً الدود،
واستنبت العوسجَ المتشعبَ في شفتينا وفي شَعْرنا
وسافر طوفانه في شواطئنا الخُضرِ
غلغلَ مسراه في جُرُونا
إذا نحن مُتنا وحاسبنا الله:
قال: ألم أُعْطِكم موطناً؟
أما كنتُ رقرقتُ فيه المياهَ مرايا؟
وحلّيتُهُ بالكواكب؟ زينته بالصبايا؟
وعرّشتُ فيه العناقيدَ، بعثرتُ فيه الثمر؟
ولوّنتُ حتى الحجر؟
أما كنتُ أنهضتُ فيه الدُّرى والجبال؟
فرشتُ الظلال؟
وغلّفتُ وديانه بالشجر؟
أما كنتُ فجّرتُ فيه الينابيعَ، كلّلتُهُ سوسنا؟
سكبتُ التآلقَ والإخضرارَ على المنحنى؟
جعلتُ الثرى عابقاً ليّناً؟
أما كنتُ ضوّأتُ بالأنجم المنحدر؟
وفي ظُلُمات لياليكمو، أما قد زرعتُ القمر؟

فماذا صنعتُم به؟ بالروابي؟ بذاك الجنى؟
بما فيه من سُكْرِ وسَنَا؟

سيسألنا الله يوماً، فماذا نقول؟
نَعَمْ! قد مُنحنا الذرى والسواقي ومجدَ التلولِ
وَهْدَبَ النجوم، وشعرَ الحقولِ
ولكننا لم نصنّها
ولم ندفعَ الريحَ والموتَ عنها
فباتت كزنبقةٍ في هدير السيولِ
نعم! ودفعنا بأقمارها للأفولِ
وقامرَ جَهَّالنا بالضُّحى،

بالربى،

بالسهولِ

بسوسنةٍ اسمُها القدسُ، نامتْ على ساقيه
إلى جانبِ الرابيةِ
وفوقَ تراها انحنتْ داليه
وتمطرَ فيها السماءُ خشوعاً، تُصَلِّي الفصولِ
ويركعُ سُنْبُلُها، تتهجّدُ فيها الحقولُ
وعبرَ مساجدها العنبريّةُ أسرى الرسولِ
فماذا صنعنا بوردتنا الناصعه؟

إلهيَ تعلم أنت، ماذا صنعنا
بوردتنا، قد نزعنا، نزعنا
ورِيقاتها ودلقنا شذاها الخجولِ
وهبنا صباها لأذرعِ غُولِ

لأشداقٍ عِقريةٍ جائعه
فكيف إليها الوصول؟
ونخشى غداً أن يجيء الضبابُ،
وليلُ الضباب يطولُ
وفصل ما بين أقدامنا والوصولُ
وقد تتمطى عصورُ الضباب بنا، وتزولُ
كواكبنا ثم تأتي السيولُ
وتجرف شتلاتنا، وتطولُ
ظلالُ الكآبة نغرق في غمرات الدهولُ
وتأتي الرياحُ وتمسح جنتنا الضائعة
وتخبو أمانينا، وامتداداتها الشاسعة
ويطوي الذبولُ
سنابلنا، ربَّ عفوك، ماذا نقولُ
وفي عتباتك كيف تُرى سيكون المثلُ؟
فأنت منحتَ الجناحَ الطليق، ونحن اخترعنا القيودُ
وهبتَ لنا القدس أنت، ونحنُ
دفعنا بها لليهودُ
دفعنا بها يا إلهي، نَعَمْ،
دفعنا بها لليهودُ.

(١٩٧٣)

من: «الأعمال الشعرية الكاملة»

الهجرة إلى الله

عرفتك في ذهول تهجدي، وقرنقلي أكداسُ
عرفتك في اخضرار الآس
عرفتك في يقين الموت والأرماس
عرفتك عند فلاح يبعثر في الثرى الأغراس
ونزهر في يديه الفاس
عرفتك عند طفل أسود العينين
وشيوخ ذابل الخدين
عرفتك عند صوفي ثري القلب والإحساس
عرفتك في تعبد راهب في خشعة القداس
عرفتك ملء موج البحر يركض حافي
القدمين
وأهداب العيون الزرق واستغراقة الشفتين
عرفتك في صدى الأجراس
عرفتك ملء ليل يمطر الدنيا
خيوط رؤى، وعطر نعاس
وتلقي في طريقي الورد أكداساً على أكداس
وتسقينني بأعلى كاس
وجدتك ماثلاً في ضلع أغنيته
وفي حزن الدياجير الخريفية

وجدتك تحت جرح الوردِ العطشى
وجدتك في التراتيل المسائيَّة
وتبني تحت أستار الدجى عُشًّا
لقبرةٍ مروعةٍ وقمريَّة
للاجئةِ مُشرَّدةٍ وأضلَّعها على الأحزانِ
مطويَّة
لقافلةٍ مهاجرةٍ عن الأوطانِ منفيَّة
وجدتك ترسل المطرا
ترشَّ يبابَ أرضٍ غيرِ مسقيَّة
وترويها بأكوابِ سماويَّة
تُعلِّق في سماء وجودنا قمرا
وتهديه إلى ليلة أحزانٍ ضبابيَّة
وتمنحه إلى بيَّارةٍ ظمأى
حشائشها من الأمطارِ منسيَّة
وجدتك تبذر الإصرار ملء سواعد العمالِ
رأيتك تردع الزلزالِ
عن القريةِ والصبيانِ والمسجدِ
رأيتك سُكَّراً في لثغة الأطفالِ
وتُعطي اللحنَ سِحْرياً وإن لم يسألِ المنشدُ
وتأتينا بلا موعدٍ
وتفتح مُغلَقَ الأقفالِ
مليكي، أنتَ طعمُ الصيفِ في عمري
وأنتَ نالِقُ الأقمارِ

هواك كواكبٌ وبحارٌ
طموحُ المدِّ أنتَ، وأنتَ سرُّ تحرقِ الجُرُ
وأنتَ خصوبةُ الأشعارِ
وأنتَ عذوبةُ الواحاتِ في قفري
وأنتَ تَبْلُجُ الأسرارِ
وأنتَ تدفقي أنتَ انبثاقُ الضوء والعطرِ،
نثرتَ الخصبَ واللؤلؤ فوق شواطئِ الخُضرِ
وفي روعي سكبتِ النارُ
لكَ الأورادُ والصلوات أنثرها
فدا عينيك يا ملكي، يواقيتي أكسرها
وبين يديك أوراقِي وأعوامي أبعتها
أجيء وعودي المبهور منخطفٌ من العطرِ
يُصلي الوترُ المشدودُ ولهانا
ويهمس باسمك الشعري
لعلَّك مُمطري وِرداً، لعلَّ رؤاي تغمرها
شذى فتفيض بالأصداف والمرجان أبجرها
ويركع نشوةً ياقوتها القاني وممرها
زوارقُ حاضري في جدول الذكرى تُسيرها
وأيامي بعطر ضيائك الشفاف تُمطرها
ينابيعي تُفجرها
وأعماقي تُطهرها
وأشعاري السماوياتُ ينبع منك سُكرها
وحسبُ لحوني الولهات أن حبيبي الملكي يذكرها

وَلَمَسُ اللّٰهَ، لَمَسَ اللّٰهَ
يُلَوِّنَهَا، يَعْطُرُهَا
يَرْقِرُقُ سِرَّهُ فِيهَا وَيَنْثُرُهَا
على القَارَاتِ، فوق عرائس الغابات والأمواه
أريجَ هُدًى، ولمسَ صلاه
مليكي طالت الرحلة، طالت، وانقضت أحقابُ
وبين عوالمٍ مقفلةٍ أبحرتُ، أسأل، أسأل الأبوابُ
حملتُ معي جراحاتِ الفدائيينُ
وطعمَ الموتِ في أيلولَ، طعمَ الطينِ
حملتُ معي همومَ (القدسِ) يا ملكي وجرحَ (جنينِ)
وليلاً شاهقَ الأسوارِ لا ينجابُ
فأين البابُ؟ أين البابُ؟
قراييني مُكْدَسَةً على المحرابِ
وقرآني طواه ضبابُ
وذلةً مسجدي الأقصى تُقَلِّبُنِي على سِكِّينِ
ولا معتمِصٌ أدعوه، لا فينا صلاحُ الدينِ
ننام الليلَ، نصحو الفجرَ مجروحينُ
ومطعونينَ، مقتولينَ
وأنتَ غضبتَ يا ملكي، تَبَارَكَ وَجْهُكَ الغضبانُ
فكيف نهادن الطغيانُ؟
وكيف نصافح الشيطانُ؟
ألم تُخصِبْ مدائنُنَا بعطر الورد والقرآنُ؟
فكيف نبيت مَسْبِيَّينَ؟

وكيف ننام منفيين
عن الأوطان؟
أكاليلُ الزهورِ ذوتُ سوى زنبقةِ الأحزانِ
مساكنُنا على فوهةِ البركانِ
وأنتَ تظلي يا ملكي، مع القتلى، مع الجرحى
تظلي مُرابطاً سهرانِ
ونحن هنا أضعنا الدينَ
وقاتلنا أحبَّتنا الفدائيينَ
سكبنا الدمَّ في بيروتَ، أهرقناه في عمَّانِ
بأيدينا جعلنا أرضنا مقصلةَ الإنسانِ.

(١٩٧٣)

من: «الأعمال الشعرية الكاملة»

خالد الشواف

الانتفاضة^(١)

قام بها الشعب لتأييد مطالب الأحزاب الوطنية
في الإصلاح... تشرين الثاني ١٩٥٢

لم تنل من روحك الجبّار نارُ
يومك الرائعُ ، كالأمس، فخارُ
كلما نُوديتَ للبذل جرتُ
غالياتُ من وريدك غِزار
أيها الشعبُ ، كما عودتنا،
بك ما طال على الضيم قرار
الإيّا بُردك، لم يلحق بهِ
وضرّ قطُّ.. ولم يعلق غُبار
خاب من ظنّوا بك الذلّ الذي
عصروه لك وهنّا وأداروا
حسبوا الأغلال تُوهي عزمةً
كلما صلصل قيدُ تُستثار
يا له وهماً كبيراً.. عصفُ
ببقايا البطولات الكبار

- خالد عبدالعزيز الشواف.

- ولد في «بغداد» عام ١٩٢٤.

- تخرج في كلية الحقوق العراقية عام ١٩٤٩.

- عمل في المحاماة ثم موظفاً في وزارات متعددة.

- من دواوينه الشعرية : «من لهيب الكفاح» ١٩٥٨ ، «حداً وغناء» ١٩٦٣ ، وعدد من المسرحيات الشعرية : «شمسو»

تَعَجَّزُ الْأَغْلَالُ أَنْ تُوْهِيَ يَدًا
لَمْ يَنْمَ فِي جَرْحِهَا النَّازِفُ ثَارُ
إِنْ فِي جَنْبَيْكَ، مِنْهُمْ جَمْرَةٌ
كَلِمَا قَالُوا خَبْتُ طَارَ شَرَارُ
تِرَّةِ الْمَوْتُورِ لَا تَخْبُو وَإِنْ
دَرَجَ اللَّيْلُ عَلَيْهَا وَالنَّهَارُ
كَيْفَ تَخْبُو جَذْوَةٌ كَانَ لَهَا
حَطَبًا فَتَيْتُكَ الزُّهْرُ الْخِيَارُ؟
ذَنْبُهُمْ عِنْدَ الَّذِي أَرْتَهَا
أَنْهُمْ صَيَّغَ لَهُمْ (قَيْدُ) فَتَارُوا
كَيْفَ تَخْبُو جَذْوَةُ الْأَمْسِ وَمِنْ
نَشَأِ الْوَادِي لَهَا الْيَوْمَ امْتِيَارُ؟
أَيُّ ذَنْبٍ أَخَذُوا الْيَوْمَ بِهِ
غَيْرَ أَنْ نُودُوا (لِإِصْلَاحٍ) فَطَارُوا؟
هُوَ ذَنْبٌ أَنْهُمْ خَفُّوا وَقَدْ
جَارَتْ مِمَّا بِهَا تَشْكُو الدِّيارُ؟
صَرَخْتُ، وَهِيَ الَّتِي تَنْتَاشُهَا
أَسْهَمٌ مِنْ حَاكَمِيَّهَا وَشِفَارُ
صَرَخْتُ مِنْ جَزَعٍ حَاسِبَةٍ
أَنْ فِيهِمْ مَنْ يَلْبِي أَوْ يَغَارُ
صَرَخْتُ مِنْ جَوْعِهَا.. مِنْ دَائِهَا
مِنْ حَدِيدٍ حَوْلَ رُسْغَيْيْهَا يُدَارُ
مِنْ ظَنُونٍ غَيَّبَتْ أَحْرَارَهَا
فِي سَجُونٍ غَثَّيْتُ مِنْهَا الْقِفَارُ

من عمى الجهل الذي أقعدها
أن ترى أين بها الليل يُسار
من مصير فاجع إن سكنت
فإليه بغواليتها يُصار
من عتو ركب القوم الألى
حكموا فاستعبدوا الشعب وجاروا
واستباحوا دمه الغالي فما
سال منه وجرى فهو جبار
لم لا يَهراق في أيامهم
مثلما تَهراق في الليل العُقار؟
من فسادٍ شاع فيهم وفشا
مثلما تنبث في اليابس نار
فانتهاز ورشى أيامهم
ولياليهم شراب وقمار
من طماع بلغ الحد.. فما
قيمة الشعب إذا رن النُّضار؟
كلُّ ما للشعب في حوزتهم
فلهم فيه هبات واتجار
وهبوا (حاميتهم) كنز الثرى
فجزاهم.. وعلى الشعب الخَسار
ويحهم، إذ وهبوا ما وهبوا،
لم يعظهم في الندى والبذل (جار)
من تعاليتهم على الناس.. وما
ميّز العرق.. ولا صفى النُّجار
واحتقار للبرايا.. وهمو
لا سواهم دون أن يدنو احتقار

الطواويسُ علينا.. ولدى
(سيّد الكرخ) نَعَامُ مُسْتَطَار
هم خنوعٌ حين يُومي لهمو
وخضوعٌ حين يُوصي (المستشار)
أيها الشعبُ... ترقّب كيدهم
فلقد بُيِّتَ كيدٌ وائتِمار
سيقولون (يسارُ مارق)
فأجبهم؛ لا يمينٌ... لا يسار
إنه الشعبُ الذي يصفع من
يتحدّاه.. وإن طال انتظار
أيها الشعبُ احتسب من رفعوا
شعلة التضحية الكبرى وساروا
رأسك المعصوب بالمجد .. له
كلّ يومٍ من ضحايا البطشِ غار
أبداً تستاف منه أرجاء
تعبق العرّة منه والفضار
لا تقل ماتوا.. فما مات الذي
هو للأحياء في الليل منار

(١٩٥٢)

من ديوان: «من لهيب الكفاح»

القلم^(١)

لبنان.. لا غرو أن خفوا وأن وفدوا
فإنهم أهله من حوله احتشدوا
أمنت بالقلم الجبار يجمعهم
جمع الحجيج لدى البيت الذي قصدوا
أمنت... كل العرى لولاه واهية
وكل جامعة من غيره بدد
إن البلاد التي أزجت مواكبها
إليه ساعية في عرفه بلد
لا تحسبوه يراعاً قد من قصب
هذا فم، وفؤاد خافق، ويد
ومشعل لسواد الشعب مشعل
لا كوكب في سماء الفرد يتقد
وقائم عند ماء الحوض يخفره
كما ينافح دون المورد الأسد
ونافخ في حديد الصور يبعث من
أجداثهم قبل يوم البعث من رقدوا
وناصح بمراقى الخير مؤتمن
وفاضح لهاوي الشر منتقد
ما صر بالحق إلا خر منحنماً
للظلم ركن من الأركان أو عمَد

(١) أُلقيت في المؤتمر الأول للأدباء العرب الذي انعقد في «بيت مري» بلبنان عام ١٩٥٤

سلِ الطواغيتَ .. هل غيرُ الصريرِ نفى
عنهم رُقاداً، وهل قاموا.. وهل قعدوا
وهل تائبٌ إلا منهمو نفرٌ
عليه يرهبه حيناً ويضطهد؟
لعلهم يحسبون الحرفَ منطمساً
إذا دمُ سال يوماً أو هوى جسد!
هيهات.. ما الحرفُ إلا الفكرُ منطلقاً
فلا يخور لما يلقي وما يجد
يا عصابةَ الفكرِ... لا جُبناً ولا خوراً
عليكمو أملُ الإنسانِ مُنعقد
اليومَ أشرفُ ما يُسمى الأديبُ بهِ
مناضلٌ صامدٌ لا بلبلٌ غرد
وإن للفكرِ محراباً يُلم بهِ
في كلِّ جيلٍ من الفنانين مَنْ خلدوا
مشى يراعُ الليالي فوق رفرقه
فخطَّ سَطرين لا يمحوهما الأبد
لا يحفظ الدهرُ إلا ما تخطَّ يدُ
بنَاءةٍ فُجِرتْ من خلفها كَبِد
ولا يُورثُ ضخمَ المجدِ أمَّته
إلا طريدٌ ومُحرومٌ ومُضطهد

من ديوان: «حذاء وغناء»

الجمهورية الجزائرية

لا تقل أين.. ولا أيان تُرسي..
خفق الطير على مطلع خمس
جازت القلّك على اليمّ مدى
كلّ ظنّ.. وتعدت كلّ حدّس
يلهث الموج على حيزومها
وتخور الريح غيظاً حول قلّس
وهي تفري الدم والماء معاً
أربعاً غير مشوبات بنخس
بشراع عربيّ خافق
ببطولات وأمجاد وبأس
رفعته عصبه صابرة
ليس في قاموسها معنى ليأس
وقفت في ظله صامدة
وقفة الذائد في ظل الدّرقس
تصبح الصبح بنصر رائع
وبنصر غيره أروع ثمسي
لا تقل أين.. على الثغر الذي
حضن الأحرار منّا يوم أمس
لا تقل أيان.. في فجر غدٍ
وغد حبل وريد.. حين تُرسي

يُوقِظُ التَّارِيخُ مِنْهَا ظَفَرُ
عَرَبِيٍّ فَوْقَ خِذْلَانِ فَرَنْسِي
يَعْجِزُ (الدِّسْتُورُ) أَنْ يَطْوِيَ حِمَى
عَرَبِيًّا بِسَطُورٍ فَوْقَ طِرْسِ
كُلِّ شَيْءٍ يَا فَرَنْسَا غَيْرَ أَنْ
يَنْطَوِيَ جَنْسٌ - كَمَا شِئْتَ - بِجَنْسِ
الْمَسَاوَاةِ الَّتِي أَطْلَعَتْهَا
لِشُعُوبٍ مُنِيَتْ مِنْكَ بِبُؤْسِ
لَيْسَ فِيهَا يَا فَرَنْسَا غَيْرَ أَنْ
تَشْرَبِي الْكَأْسَ وَتَحْسُو فَضْلَ كَأْسِ
وَالثَّقَافَاتِ الَّتِي عَلَّمَتْهَا
لِشُعُوبٍ غَثِيَتْ مِنْكَ بِدَرْسِ
لَيْسَ فِيهَا يَا فَرَنْسَا غَيْرَ أَنْ
تَهْجُرَ التَّالِدَ مِنْ دِينٍ وَحِسِّ
وَالْقَوَانِينِ الَّتِي شَرَعَتْهَا
لِشُعُوبٍ شَقِيَتْ مِنْكَ بِتَعْصِ
لَيْسَ فِيهَا يَا فَرَنْسَا غَيْرَ أَنْ
تَتَلَوَّى بَيْنَ شِدْقَيْكَ لِقَرْسِ
قَدْ بَلَّوْنَا شَرَعَ جَلَادِكَ فِي
فِتْنِيَّةٍ ذَادَتْ عَنِ (الْأَهْرَاسِ) حُمْسِ
شِرْعَةٍ.. الْغَابِ وَبُئِستَ شِرْعَةً
تَكِلُ الْحُكْمَ لِنَابٍ وَلِضِرْسِ
حَرَّقِي مِنْ شِئْتَ مِنْهُمْ.. وَاصْلَبِي..
وَاقْذِفِي مِنْ شِئْتَ فِي غِيَهَبِ حَبْسِ

واخطفي من ظفِر الكيد به
حين لم تُمدد يد الحرب للمس
لن تردّي عنك من أيديهمو
قدراً مُنتظراً يجري بنحس



يا فرنسا، والضحي في رأده،
لن يقوم الليل من أطباق رَمَس
نسخت كُف الضحي مهزلة
حاكها الليل بتلفيق ودس
تلك دعواك .. وهذي راحة
نضحت أنملها الخمس برّجس
كلّما ذكّرت الأولى مشّت
خلفها الأخرى لتمحوها وتُنسي
قد أصحنا فسمعنا حسناً
ونظرنا فرأينا فم طلس
فوعينا ما رأت أعيننا
وصممنا السمع عن لين جرس
لم يعد في الأرض من يخذعه
أطلس يخطب في بُردة قسّ



التحيّات لجمهورية
طلعت كالشمس من مغرب شمس
يا عروساً هزج الشرق لها
وتغنّي باسمها في يوم عرس

تُرفع الأبطالُ في موكبها
هودجاً يزهو بأبراد الدمّقس
هي من عينٍ لعينٍ فوقه
وهو فوق الهام من رأسٍ لرأسٍ
شُرفُ الفردوس هل شارفها
وضّح منك وقد جُليتِ أمس؟
الضحايا الكُثُرُ فيها ازدحمتْ
تُرمق الركبَ بإجلالٍ وقُدُس
أبصرتُ فيك وقد طالعتِها
بدلاً عن نَفْسٍ غَالٍ ونَفْسٍ
لم يَضِغْ ما سال من أعراقها
فالجراحاتُ سقتْ أطيّبَ غرس
(١٩٥٨)

من ديوان: «حذاء وغناء»

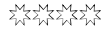
عاتكة الخزرجي

وداع الدار^(١)

تَذَوَّقْتُ كَأْسَ الشَّعْرِ مِنْ ثَغْرِهَا عَذْبًا
فَأُطِفْتُ لَهَيْبًا فِي فُؤَادِي قَدْ شَبَّأَ
فَمَا أَجْمَلَ الدُّنْيَا بِجَنْبِكَ وَالْهَوَى
وَمَا أَعَذَبَ اللَّقْيَا وَمَا أَسْعَدَ الْقُلُوبَا
تَحَمَّلْتُ «دَارَ الْعِلْمِ» فَيْكَ مَلَامَةً
مَنْ الْأَهْلُ بِلْ جَوْرًا وَإِنْ شِئْتُ بِلْ حَرْبًا
وَأُوْعِدُنِي أَهْلِي عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ
بِأَلَّا أَذُوقَ الْوَصْلَ مِنْكَ وَلَا الْقُرْبَا
فَمَا أَزِدْتُ إِلَّا بِالْمَلَامِ صَبَابَةً
وَمَنْ لَمْ مَشْغُوفًا فَقَدْ زَادَهُ حُبًّا
يَزِيدُونَنِي حُبًّا وَهُمْ يَحْسَبُونَنِي
سَلَوْتُ! وَأَتَى وَالْفُؤَادُ لَذَا يَأْبَى
هُوَكَ عَصَى أَهْلِي وَلَمْ يَرْعَ حَقَّهُمْ
وَحَفَّتْ بِهِ الْأَشْوَاقُ وَاثْبَةً وَثْبَا

- الدكتورة عاتكة وهبي الخزرجي.
- ولدت في «بغداد» عام ١٩٢٤ وتوفيت عام ١٩٩٦ .
- تخرجت في دار المعلمين العالية ببغداد ١٩٤٥، ثم سافرت إلى باريس عام ١٩٥٠ حيث حصلت على الدكتوراه في الأدب العربي.
- عملت في التعليم الجامعي.
- دواوينها الشعرية: «أنفاس السحر» ١٩٦٣، «لألاء القمر» ١٩٦٤، «أفواف الزهر» ١٩٧٥، «شعر عاتكة الخزرجي» ١٩٨٦.
(١) قصيدة ودعت بها الشاعرة دار المعلمين العالية يوم تخرجها فيها.

فكان لقاءً عزٌّ في الدهر مثله
وكان فراقاً ما شهدت له تريبا



لقد عشتُ عهداً فيك كان مروره
مرور ثوانٍ ما عدمتُ لها حسبا
ولقنتُ فيك العلم ريان ناديا
وألهمتُ فيك الشعر منسكبا سكما
فكنتُ بدنيا الشعر أترع أكوسي
وكنتُ بدنيا العلم أتهم الكُتبا
وكنتُ من الأيام أحظى بغفوة
قصيرة عهدٍ كنتُ أنهبها نهباً



لئن مرَّ «دار العلم» عهدك مُسرعا
لذكراك قد شقتُ بقلبي لها شِعبا
ومثلي مَنْ تبقى على البُعد والنوى
وليسَتْ تخون الدهر ودّاً ولا قُربى
ومثلكِ أولى بالوفاء وبالهوى
فقد كنتِ لي أهلاً وقد كنتِ لي صَحبا
ومنك تَذوقتُ الحنان ولم أكنْ
أزود قبل اليوم عطفاً ولا حُباً



حنانك دار العلم رقي لخافق
يعزُّ عليه البعد إذ ألف القُربا
وأنتى لمثلي أن تُودع إخوة
كراماً وأهلاً ما وجدتُ لهم عيبا

وإني لأرجو أن أرى الدارَ رحبَةً
وجامعةً كبرى تُباهي بها الغربا
بحكمة أهليها وسعي «عميدها»
وهمّة أبنائها لها أخلصوا الحُبَّ

من: «شعر الدكتورة عاتكة الخزرجي»

بغداد

«قَسَمًا بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
إِنْ قَلْبِي عَنْ حُبِّهَا مَا تَسْلَى
هِيَ مَنِّي رُوحِي وَمَا أَنْصَفَ التَّعْذُ
بَبِيرُ، لَا بَلْ أَعَزُّ مِنْهَا وَأَعْلَى
هِيَ عِنْدِي دُنْيَا مِنَ الْحَسَنِ طَابَتْ
وَزَكَتْ نَبَاتَةٌ وَقَرْعًا وَأَصْلًا
حَاشَ لِلَّهِ لَيْسَ حُبُّكَ يَلْقَى
غَيْرَ قَلْبِي لَهُ مَكَانًا وَأَهْلًا
قَسَمًا بِالَّذِي بَرَّكَ مِنَ السَّحَابِ
رِ، وَمَنْ صَوَّرَ الْجَمَالَ فَأَعْلَى
وَالَّذِي نَوَّرَ الْجَبِينَ فَكَانَتْ
طُلْعَةٌ كَالصَّبَاحِ يُمْنًا وَنُبْلًا
أَنَا أَهْوَاكَ فَوْقَ مَا عَرَفَ الْحُبُّ
بُ، كَأَنَّا فِي الْحَبِّ قَيْسٌ وَلَيْلَى
لَيْتَنِي مَتًى فِي هَوَاكَ فَمَا أَكْ
رَمَ فِي حُبِّكَ الْمَمَاتَ وَأَحْلَى



إِيهِ بِغْدَادُ يَا عُرُوسَ اللَّيَالِي
فُكِّتِ فِي الْعَزِّ بِدَرَهَا إِذْ تَجَلَّى
وَبَدَنِيَا الْأَمْجَادِ كَانَ لَكَ السُّبُّ
قُ تَبَاعًا وَالْقِدْحُ فِيهَا الْمَعْلَى

قَبْلَهُ كُنْتَ لِلْوَرَى وَمَحْجَاً
وَمَطَافاً وَكَعْبَةً وَمُصَلًّى
وَمَتًى ضَلَّ سَائِرُ فِي خُطَاهُ
كُنْتَ هَدِيّاً لَهُ وَبَيْتاً وَأَهلاً



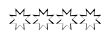
إِيهِ بَغْدَادُ يَا سَمَاءَ الْمَعَالِي
وَرَفِيفَ الْبُنْدَى رَذَاذاً وَوَبْلاً
حَاشَ لِلَّهِ أَنْ أَرَى لَكَ يَا بَغْدَادُ
مَا عَشْتُ فِي الْحَوَاضِرِ مِثْلًا
أَنْتِ لِلْعُرْبِ أَوْلَى وَأَخْيَرُ
تَتَفَيَّأُ مِنْ ظِلِّ نَخْلِكَ ظِلًّا
وَعَلَى شَاطِئِكَ خُطْتُ سَطُورُ
هِيَ عِزٌّ عَلَى الْمَدَى لَيْسَ يَبْلَى
مُرْهَفٌ أَنْتِ فِي يَمِينِ الْمَعَالِي
يَبْهَرُ الْعَالَمِينَ حَدًّا وَصَقْلًا
وَوَسَامٌ بِهِ الْعُرُوبَةُ بَاهَتْ
وَأَدَلَّتْ بِحُسْنِهِ وَأَدْلًا
غُرَّةٌ أَنْتِ فِي جَبِينِ الْإِيَالِي
تَمَلَأُ الْمَشْرِقِينَ نُورًا وَنُبْلًا
وَكِتَابٌ بِهِ الْمَحَامِدُ تُتْلَى
سُورًا مِنْ سَنَى الْمَكَارِمِ تُمْلَى
كَانَ لِلظَّالِمِينَ وَرْدًا وَرِيًّا
وَمِنَ الْمُعْتَفِينَ خِصْبًا وَفَضْلًا



إِيَّاهُ بِبَغْدَادَ رَحَّبِي بِوَفُودٍ
تَسْتَحِثُّ الْخُطَى مِنْ الشُّوقِ عَجَلَى
انْثَرِي الْوَرْدَ وَالرِّيَّاحِينَ فِي الدَّرِّ
بِ، وَقُولِي لِقَيْتَ يَا وَفْدُ أَهْلَا
وَانْفَحِي الْجَوَّ بِالْبَخُورِ وَبِالطِّ
طَيِّبِ، وَقُولِي نَزَلَتْ يَا وَفْدُ سَهْلَا
ثُمَّ صُفِّي النَّخِيلَ كَيْمَا تُحْيِي الدَّ
وَقَدْ مِنْ حَيْثُ سَارَ أَوْ حَيْثُ حَلَا
وَمُرِّي دَجَلَةَ الْعَظِيمِ يُغْنِي
هَهَا فُصُولَ الْأَمْجَادِ فَصْلاً فَفَصْلاً



إِيَّاهُ بِبَغْدَادَ إِنَّ أَعْيَادَكَ الْغُرَّ
رَ صَبَاحُ بِهِنَّ حُسْنُكَ يُجَلَّى
يَتَلَا جَبِينُكَ الْأَزْهَرَ الْوَضْ
ضَاءُ فِيهَا صُبْحاً عَلَيْنَا مُطْلَاً
أَيُّ عُرْسٍ هَذَا وَأَيُّ عُرْسٍ
أَرَى شَهْرَ زَادَ، بَلْ أَنْتِ أَحْلَى
مِنْ مَعِينِ الْحَيَاةِ رُؤْيَتْ صَفْواً
وَسُقَيْتِ الْفَنُونَ نَهْلاً وَعَلَاً
فَفَتَنْتِ الْأَنَامَ جَيْلاً فَجَيْلاً
وَشَغَلْتَ الزَّمَانَ بَعْضاً وَكُلّاً
وَسَحَرْتَ التَّارِيخَ حَتَّى غَدَا فَيَا
كَ مُعَنِّئِي لَا يَرْتَجِي مِنْكَ وَصْلاً



إِيَّاهُ بِغَدَادٍ إِنَّ أَعْيَادَكَ الْغُرُ
رَ صَبَاحُ بَهْنٍ حُسْنُكَ يُجْلَى
جَرَّرِي الذَّيْلَ وَاخْطُرِي وَأَدْلِي
وافتني الناظرين حُسْنًا وَدَلًا
وَأَمْلِي الْعَالَمِينَ سَعْدًا وَيُؤْمِنًا
وَابْشُرِي فَالْعُرُوبَةُ الْيَوْمَ جَذْلَى
هَذِهِ أَخْتُنَا «الْجَزَائِرُ» أَضَحَتْ
حُرَّةً حَطَمَتْ مِنَ الْبَغْيِ كَبَلًا
وَأَرَاهَا تَلُوحُ فِي أَفْقِنَا الْبُشْدُ
رَى، بِهَا تُطْرَدُ الْيَهُودُ وَتُجْلَى
وَتَعُودُ الْأَرْضُ الطُّهُورُ طُهُورًا
نَزْدَهِي بِقَعَّةٍ وَرَبْعًا وَأَهْلًا

من: «شعر الدكتورة عائكة الخزرجي»

□

لقاء وصمت

ما له لا يُطيق ردَّ السَّلام؟
ناسكٌ ذكره جرى في العِظام
أنا أهواه قبل أن يُولد الحبُّ
بُ، هوى كالرؤى بُعيد المنام
كم بدا لي طيفاً رفيقاً رقيقاً
وسرى بي في صحوّة الأحلام
وشكوناً ممّا بنا فاسترحنا
زَمناً مَرُّه كمرِّ الغمام
ناسكٌ لا يُجيزُ ردَّ السَّلام
أبداً قال قائلُ الإسلام؟



ما له .. لا يعود قلباً مُصاباً
حيّر الطّبُّ ما به والنَّاسا
كم أطفوا به حيارى وظلُّوا
يضرّبون الأخماسَ والأسداسا
يصفون الدّواءَ جهلاً بداءٍ
كم أضلُّ الأساةَ والمقاياسا
والدّواءُ الدّواءُ أنتَ فها
عطفةٌ منك تبعثُ الأنفاسا؟



يا حبيبي ما لِلأَنام وما لي؟
فِيكَ دُنْيَايَ، واقعي وخيالي
أنا لولاكَ لم يكن لي وجودُ
أنت مولاي مُلهمي ومثالي
أنت منِّي كَوْنٌ جليلٌ جميلٌ
وأنا منك رَقَّةٌ من جَمالِ



ناسكٌ لا يُجيزُ ردَّ السَّلامِ
أبداً قال قائلُ الإسلامِ؟
قاتِلُ عامدٍ ولا مِن مُقَيِّدِ
ضلُّ رُشدي بين الحلال الحرامِ
ضلُّ رُشدي ما بين طَرْفِ غُضِيضِ
وشفاهِ مَخْتومةٍ كالِكَمامِ
صامتٌ ناطقٌ عَيِّي مُبِينٌ
واضحٌ يَخْتفي وراءَ الكلامِ
تهتُّ دَهراً قبلَ اللقاءِ ودَهراً
تهتُّ بعدَ اللقاءِ والبحرُ طامِ
واضِياعي والموجُ عاتِ غَشُومُ
وفؤادي قد صارَ مَرْمىً لِإِرامِ
الفؤادُ الغريرُ كالطفلٍ كالورِ
دِ، رقيقٌ صافٍ كَطَلِّ الغمامِ
ظلٌّ يَهفو له ويعنو إليه
عُمُرُهُ ثم راءه في الختامِ

فتلاقتَ عَيْنَانِ أَضْنَاهُمَا الشُّوْ
قُ، وَشُدَّتْ يَدَاهُمَا بِالسَّلَامِ
صَمْتًا ذَاهِلَيْنِ لَمْ يَنْبَسِ الْحَرُ
فُ، وَفِي الْخَافَقَيْنِ أَيُّ كَلَامِ

من: «شعر الدكتورة عاتكة الخزرجي»

بدر شاكر السياب

شناشيل ابنة الجليبي^(١)

وأذكرُ من شتاء القرية النضاح فيه النورُ
من خلل السحاب كأنه النعمُ
تسرّب من ثقب المعزف - ارتعشت له الظلمُ
وقد غنى - صباحاً قبل.. فيم أعدُّ طفلاً كنتُ
أبتسمُ
لليلي أو نهاري أثقلت أغصانه النشوى عيون الحورُ
وكنّا - جدُّنا الهدار يضحك أو يغني في ظلال الجوسق
القصب
وفلا حيه ينتظرون: «غيتك يا إله» وإخوتي في
غابة اللّعب
يصيدون الأرناب والفراش، و(أحمد) الناطور -

- بدر شاكر عبد الجبار مرزوق السياب.

- ولد في «البصرة» عام ١٩٢٦، وتوفي في الكويت عام ١٩٦٤ .

- تخرج في دار المعلمين العالية ببغداد عام ١٩٤٧ - قسم اللغة الإنكليزية.

- من دواوينه: «أزهار ذابلة» ١٩٤٧، «أنشودة المطر» ١٩٦٠، «المعبد الغريق» ١٩٦٢، «منزل الأفتان» ١٩٦٣، «شناشيل

ابنة الجليبي» ١٩٦٤، «إقبال» ١٩٦٥، «قيثارة الريح» ١٩٧١، «ديوان بدر شاكر السياب» ١٩٧١، «أعاصير» ١٩٧٢ .

(١) الشناشيل: شرفة مغلقة، مزينة بكثير من الخشب المزخرف والزجاج الملون، كان شائعاً في البصرة وبغداد قبل

مائة سنة والجليبي لقب هو عند المصريين «شليبي» وعند الأوربيين «ماركين».

نَحْدُقُ فِي ظِلَالِ الْجَوْسِقِ السَّمَرَاءِ فِي النَّهْرِ
وَنَرْفَعُ لِلسَّحَابِ عِيُونَنَا: سَيْسِيلُ بِالْقَطْرِ
وَأَرَعَدَتِ السَّمَاءُ فَرْنَ قَاعِ النَّهْرِ وَارْتَعَشَتْ ذُرَى السَّعَفِ
وَأَشْعَلَهُنَّ وَمَضَ الْبَرْقُ أَزْرَقَ ثُمَّ أَخْضَرَ ثُمَّ تَنْطَفَأُ
وَفَتَحَتْ السَّمَاءُ لَغِيْثِهَا الْمَدَارَ بَاباً بَعْدَ بَابٍ
عَادَ مِنْهُ النَّهْرُ يَضْحَكُ وَهُوَ مَمْتَلِئٌ
تُكَلِّلُهُ الْفَقَائِعُ ، عَادَ أَخْضَرَ ، عَادَ أَسْمَرَ ، غَصَّ

بِالْأَنْغَامِ وَاللَّهْفِ
وَتَحْتَ النَّخْلِ حَيْثُ تُظَلُّ تَمْطُرُ كُلُّ مَا سَعَفَهُ
تَرَاقَصَتِ الْفَقَائِعُ وَهِيَ تُفَجِّرُ - إِنَّهُ الرُّطْبُ
تَسَاقَطَ فِي يَدِ الْعِذْرَاءِ^(١) وَهِيَ تَهْزُ فِي لَهْفِهِ
بِجَذَعِ النَّخْلَةِ الْفِرْعَاءِ (تَاجُ وَلِيدِكِ الْأَنْوَارُ لَا الذَّهَبُ،
سَيُصْلَبُ مِنْهُ حَبُّ الْآخَرِينَ، سَيُبْرِي الْأَعْمَى
وَيُبْعَثُ مِنْ قَرَارِ الْقَبْرِ مَيِّتاً هَدَى التَّعَبُ
مِنَ السَّفَرِ الطَّوِيلِ إِلَى ظِلَامِ الْمَوْتِ، يَكْسُو عَظْمَهُ اللَّحْمَ
وَيُوقِدُ قَلْبَهُ الثَّلْجِيَّ فَهُوَ بِحَبِّهِ يَثْبُ!)



وَأَبْرَقَتِ السَّمَاءُ .. فَلَاحَ، حَيْثُ تَعَرَّجَ النَّهْرُ،
وَطَافَ مُعَلَّقاً مِنْ دُونَ أَسٍّ يَلْتَمُ الْمَاءَ
شَنَاشِيلُ ابْنَةِ الْجَلْبِي نَوَّرَ حَوْلَهُ الزَّهْرُ
(عُقُودُ نَدَى مِنَ اللَّبْلَابِ تَسْطَعُ مِنْهُ بِيضَاءُ)
وَأَسِيَّةُ الْجَمِيلَةِ كَحَلِّ الْأَحْدَاقِ مِنْهَا الْوَجْدُ وَالسَّهْرُ.



(١) «وهزي إليك بجدع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً» (سورة مريم - القرآن الكريم).

يا مطراً يا حلبي
عبرَ بناتِ الحلبي
يا مطراً يا شاشا
عبرَ بناتِ الباشا^(١)
يا مطراً من ذهبٍ.



تَقَطَّعتِ الدروبُ؛ مَقْصُ هذا الهاتِلِ المدرارِ
قَطَّعها وواراها.
وطوَّقَتِ المعابرُ من جذوع النخلِ في الأمطارِ
كغرقى من سفينةِ سندباد، كقصَّةِ خضراءَ أرجأها وخلاها
إلى الغدِ (أحمدُ) الناطورُ وهو يديرُ في الغرفة
كوَّسَ الشاي، يلمس بندقيَّته ويسعل ثم يعبر طرْفَه
الشُرْفَه

ويخترق الظلامَ
وصاح «يا جدِّي» أخي الثرثارُ:
«أنمكت في ظلامِ الجوسقِ المبتلِّ ننتظرُ؟
متى يتوقَّفُ المطرُ؟»



وأرعدتِ السماءُ، فطار منها ثَمَّةٌ انفجرا
شناشيلُ ابنةِ الحلبي...
ثمَّ تلوحُ في الأفقِ
نُرى قوسِ السحابِ .. وحيث كان يُسارق النُّظرا

(١) هكذا يغني الأطفال في قرى البصرة حين تمطر السماء: «مطر، مطر، حلبي، عبر بنات الحلبي»... إلخ.

شَنَاشِيلُ الْجَمِيلَةِ لَا تَصِيبُ الْعَيْنَ إِلَّا حَمْرَةَ الشَّقَقِ.
ثَلَاثُونَ انْقَضَتْ، وَكَبُرَتْ: كَمْ حُبٌّ وَكَمْ وَجْدٌ
تَوَهَّجَ فِي فَوَادِي!
غَيْرَ أَنِّي كُلَّمَا صَفَقْتُ يَدَا الرُّعْدِ
مَدَدْتُ الطَّرْفَ أَرْقُبُ: رَبِّمَا اتَّלَقَ الشَّنَاشِيلُ
فَأَبْصَرْتُ ابْنَةَ الْجَلْبِيِّ مُقْبِلَةً إِلَى وَعْدِي!
وَلَمْ أَرَهَا، هَوَاءٌ كُلُّ أَشْوَاقِي، أَبَاطِيلُ
وَنَبْتُ دُونَمَا ثَمَرٍ وَلَا وَرْدٍ

لندن (١٩٦٣)

مدينة بلا مطر

مدينَتُنَا تُورِّقُ ليلَهَا نارٌ بلا لَهَبٍ
تُحْمُ دروبِهَا والدُّورِ، ثُمَّ تَزُولُ حُمَاهَا
وَيَصْبِغُهَا الغُرُوبُ بِكُلِّ مَا حَمَلَتْهُ مِنْ سُحُبٍ
فتوشك أن تطيرَ شرارةً ويهبَ موتاها:
«صحا من نومه الطينيُّ تحت عرائش العنبِ
صحا تَمُوزُ، عاد لبابلَ الخضرَاءِ، يرهاها
وتوشك أن تدقَّ طبولُ بابلَ، ثُمَّ يَغْشاها
صفيرُ الريحِ في أبراجها وأنينُ مرضاها.
وفي عُرفَات عُشْتَارِ
تظلُّ مجامرُ الفَخَّارِ خاويةً بلا نارِ،
ويرتفع الدعاءُ، كأن كلَّ حناجر القُصَبِ
من المستنقعات تصيحُ:
«لاهِتةً من التَّعَبِ
تؤوبُ إلهةَ الدمِ، خبزُ بابلَ، شمسُ أذارِ
ونحن نهيم كالغرباءِ من دارٍ إلى دارٍ
لنسألَ عن هداياها
جياعُ نحن.. وا أسفاه! فارغتان كفأها،
وقاسيتان عيناها
وباردتان كالذهبِ.
سحائبُ مُرْعَدَاتٍ مُبْرِقَاتٍ دونِ إِمطارِ
قَضَيْنَا العامَ، بعد العامِ، بعد العامِ، نرهاها،

وريحٌ تشبه الإعصارَ، لا مرّتْ كإعصارٍ
ولا هدأتْ - ننام ونستفيقُ ونحن نخشاها
فيا أربابنا المتطلّعين بغير ما رحمه،
عيونكم الحجارُ نُحسُّها تنداح في العتمه
لترجمنا بلا نغمه؛

تدور كأنهنّ رحيّ بطيئاتُ تلوكُ جفوننا،
حتى ألفناها،

عيونكم الحجارُ كأنها لبناتُ أسوارٍ
بأيدينا، بما لا تفعل الأيدي، بنيناها
عذارانا حزانى ذاهلاتٌ حول عشتارٍ
يغيض الماء شيئاً بعد شيءٍ من مَحياها،
وغصناً بعد غصنٍ تذبل الكرمه
بطيءٌ مؤثناً المنسلُّ بين النور والظلمه،
له الويلاتُ من أسدٍ نكابد شدقه الأدر؛
أنارُ البرق في عينيه أم من شُعلة المعبد؟
أفي عينيه مخرتان أُوجرتا لعشتار؟
أنافذتان من ملكوت ذاك العالم الأسود:
هنالك حيث يحمل، كلُّ عامٍ جرحه الناري،
جرح العالم الدوار، فاديه

ومنقذه الذي في كلِّ عامٍ من هناك يعود بالأزهارِ
والأمطار - تجرحنا يداه لنستفيقَ على أياديه؟
ولكن مرّتِ الأعوامُ، كُتُراً ما حسبناها،
بلا مطرٍ .. ولو قطرَه
ولا زهرٍ ... ولو زهره
بلا ثمرٍ - كأن نخيلنا الجرداء أنصاباً أقمنها

لنذبلَ تحتها ونموتُ
سيِّدنا جفانا .. آمِ يا قَبْرَه
أما في قاعكَ الطينيِّ من جرَّه؟
أما فيها بقايا من دماء الربِّ .. أو بذره؟
حدائقه الصغيرة أمسِ جُعنا فافترسناها:
سرقنا من بيوت النَّمْلِ، من أجرانها، دُخْنَا وشُوفاناً
وأوشاباً زرعتها
فوقَيْنا - وما وقَّى لنا - نَذْرَه!

وسار صغارُ بابلَ يحملون سلالَ صَبَّارٍ
وفاكهةً من الفَخَّارِ، قرباناً لعشتارِ
ويشعلُ خاطفُ البرقِ،
بظلٍّ من ظلالِ الماءِ والخضراءِ والنارِ،
وُجوههمُ المدوَّرةُ الصغيرةُ وهي تستَسْقِي
فيوشك أن يفتَحَ - وهي تُومِضُ - حقلُ نوَّارِ
ورفٍّ - كأنَّ أَلْفَ فراشةٍ نُثِرَتْ على الأفقِ
نشيدُهم الصغيرُ:

«قبورُ إخوتنا تنادينا
وتبحثُ عنكَ أيدينا
لأنَّ الخوفَ ملأَ قلوبنا، ورياحَ أذارِ
تهزُّ مَهودنا فنخاف.. والأصواتُ تدعونا
جِباعُ نحن مرتجفون في الظُّلمه
ونبحثُ عن يدٍ في الليلِ تُطعمنا، تُغَطِّينا،
نشدُ عيوننا المتلفَّاتِ بزندها العاري.
ونبحثُ عنكَ في الظلماءِ، عن ثديين، عن حلْمَه
فيا من صدرها الأفقُ الكبيرُ وثديها الغيمه

سمعتِ نشيجَنَا ورأيتِ كيفِ نموت... فاسقينا!
نموت، وأنتِ وا أسفاه - قاسيةٌ بلا رحمه.
فيا آباءَنَا، من يفتدينا؟ من سيحيينا؟
ومن سيموت: يُولمُ لحمه فينا؟
وأبرقتِ السماءُ كأنَّ زنبقةً من النارِ
تفتَحُ فوق بابلِ نفسَهَا. وأضاء وادينا،
وغلغلَ في قرارةِ أرضنا وهَجٌ فعراها
بكلِّ بذورها وجذورها وبكلِّ موتاها
وسحَّ - وراءَ ما رفعتهُ بابلُ حولَ حمَّاهَا
وحولِ ترابها الظمآنِ، من عمَدٍ وأسوارِ
سحابٍ.. كان لولا هذه الأسوارُ رؤاها!
وفي أبدٍ من الإصغاءِ بين الرعدِ والرعدِ
سمعنا، لا حفيفَ النخلِ تحتِ العارضِ السحَّاحِ
أو ما وشوشتهُ الريحُ حيثِ ابتلَّتِ الأدواحُ،
ولكنْ خفقةَ الأقدامِ والأيدي
وكركرةً و«آه» صغيرةً قبضتْ بيَمناها
على قمرٍ يرفرفُ كالفراشةِ، أو على نجمه
على هبةٍ من الغيمةِ،
على رعشاتِ ماءٍ، قطرةً همستْ بها نسمةُ
لنعلمَ أنَّ بابلَ سوف تُغسلُ من خطاياها!

من: «ديوان بدر شاكر السياب»

نسيم من القبر

نسيمُ الليلِ كالآهات من جيکور يأتيني
فيُبكيّني
بما نفثته أُمّي فيه من وجدٍ وأشواق
تَنفّسَ قبرُها المهجور عنها، قبرُها الباقي
على الأيام يهمس بي: «ترابٌ في شراييني
ودودٌ حيث كان دمي، وأعراقي
هباءٌ من خيوط العنكبوت، وأدمعُ الموتى
إذا ادكروا خطايا في ظلام الموت.. ترويني
مضى أبداً وما لمحتك عيني!»

- ليت لي صوتاً

كنفخ الصُور يسمع وقعَه الموتى.. هو المرضُ
تَفكّك منه جسمي وانحنت ساقِي
فما أمشي، ولم أهجركِ، إني أعشق الموتى
لأنك منه بعضٌ، أنت ماضي الذي يَمُضُ
إذا ما اربدتِ الآفاقُ في يومي فيهديني!



أما رنّ الصدى في قبركِ المنهار، من دهليز مستشفى،
صدائِي أصبح من غيبوبة التخدير، أنتفضُ
على ومض المشارط حين سَقَت من دمي سقاً
ومن لحمي؟ أما رنّ الصدى في قبركِ المنهار؟
وكم ناديتُ في أيام سُهدي أو لياليه:
أيا أُمّي، تعالي فالمسي ساقِي واشفيني».

يئنُ الثلجُ والغربانُ تنعبُ من طوى فيه،
وبين سريري المبتل حتى القاع بالأمطار
وقبرك، تهدر الأنهار
وتصطخب البحار إلى القرار يخضها الإعصار.



أما حملت إليك الريحُ عبر سَكينة الليل
بكاءَ حفيدتيك من الطوى وحفيدك الجوعان؟
لقد جعنا وفي صمت حملنا الجوعَ والحرمان،
ويهتك سرُّنا الأطفالُ ينتحبون من ويل
أفي الوطن الذي أواك جوعٌ؛ أيُّما أحزانُ
تُورقُ أعينُ الأموات؟

لا ظلمٌ ولا جورٌ
عيونُهما زجاجٌ للنوافذ يخنق الألوانُ
هناك لكل مَيِّتٍ منزلٌ بالصمت مستورٌ،
ولكنَّا هنا عصفت بنا الأقدارُ من ظلٍ
إلى ظلٍ ومن شمسٍ إلى شمسٍ يغيب النورُ
على شرفات بيتٍ ضاحكاتٍ ثم يُشرق وهي أطلالُ
ويخفق حيث كركرَ أمسٍ أطفالُ
صريرٌ للجنادب هامساتٍ: «إنه المقدورُ
تصدَّعَ برجُ بابلَ منه وانهدمت صخورُ السور!»



أما حملت إليك الريحُ عبر سَكينة الليل
بكاءَ حفيدتيك من الطوى يعلو من السهل؟

البصرة (١٩٦٣)

من: «ديوان بدر شاكر السياب»



بلند الحيدري

النافذة العمياء

صوتُ أبي

يصرخ بي

يتدحرج بي.. أخطأت.. لقد أخطأت.

وأحسستُ به يكبر سوطاً

موتاً

مملوءاً بالنقمة والرعب

وأحسستُ بنفسي تصغر حدَّ التوبة

تصغر حتى كدتُ بأنْ لا أعرفَ نفسي

إلا في الذنب.

ثانية... ثالثة

-
- بلند أكرم الحيدري.
 - ولد في «بغداد» عام ١٩٢٦، وتوفي عام ١٩٩٨.
 - عمل رئيساً لتحرير مجلة «العلوم» اللبنانية، ومديراً لتحرير مجلة «آفاق عربية».
 - لم يتم دراسته واعتمد في ثقافته على قراءاته الخاصة.
 - من دواوينه الشعرية: «خفقة الطين» ١٩٤٦، «أغاني المدينة الميتة» ١٩٥٢، «قصائد أخرى» ١٩٥٧، «جئتم مع الفجر» ١٩٦١، «خطوات في الغربة» ١٩٦٥، «رحلة الحروف الصفر» ١٩٦٨، «حوار عبر الأبعاد الثلاثة» ١٩٧٢،

ألفاً يصرخ بي: أخطأت.. لقد أخطأت.. لقد
شأغلت دروسَ العلم ولم تتعلّم
أدركتُك بالوعظ فلم تسلم
ونصحتُك.. لم تُصغ ولم تسمع
إلا فمك الأبكّم
يا ولدي.. يا ولدي كنّ حطباءً لجهنّم.

وبكيتُ
بكيتُ
بكيتُ ولم أتكلم
فأبي لن يسمح لي إلا أن أبكي
وإلا أن أصمتَ حتى الموتِ
ولا أتكلم
وسمعتُ أمّي
ذاك العشق الصّحراويّ الممهور صدّي لأبي
يصرخ بي: أخطأت.. أجلّ أخطأت
وما كنتُ ابني
إلا في وجه أبيك المسدودِ كبوّابةِ سجنٍ
إلا في جبني
يا ولدي.. يا ولدي... احملْ موتك
وابعدْ عني.

السَّاعَةُ جازت منتصفَ اللَّيْلِ
والظُّلْمَةُ قد سرقتُ ظِلِّي
هأنذا وحدي
وهذا الذَّنْبُ وحيدٌ مثلي... ها إِنَّا نتسكَّعُ ما بينَ
شوارعٍ مغلقةٍ
كالغُلِّ.

يا أَنْتَ
يا من عدتَ بلا وعدٍ
يا عتمةً غيمٍ لم تحلم بالغيثِ
ولا بالرَّعدِ
يا أَنْتَ
يا من أخطأتَ وأذنبتَ وما نُتِبْتَ
أو لم تعرفُ
أَنْ أباك،
قد باعكَ في زمن الضَّيِّمِ لكذابِ
وأُمِّكَ ما عادت أُمُّكَ في شرع الغابِ
فاحملْ بعضَكَ في بعضِكَ وارحلْ
في ذرَّةِ رملٍ
.....
أو في لمعِ سرابٍ
أعرفُ أَنِّي أخطأتُ

ولأنِّي أخطأتُ
سُدَّتْ دوني كلُّ الأبوابِ
فلن يعرفني بيتُ
لن يعرفني حيٌّ فيه ولا ميتُ
ولستُ بأكثرَ من نافذةٍ عمياءَ وصمَاءِ
في بيتٍ لا يعرفني
وسريرٍ مهجورٍ
وسراجٍ داجٍ
وبقايا أحلامٍ أقتاتُ بها
من يومٍ قد لا يأتي
إلا في الحلم.. أو في الموتِ.

من: «الأعمال الكاملة للشاعر بلند الحيدري»

ثم رحل عنا

في رثاء قتيبة الشيخ نوري

كَذَبَ العَرَّافُ
فوراء ضفاف الموتِ تظلّ ضفافُ
والرحلةُ إنْ شئتُ بها السرُّ
فأنتَ البحرُ
وأنتَ الزورق والنوتيُّ وأنتَ المجدافُ
وإن وراء الصَّيفِ الذاهبِ والصَّيفِ الآتِ
والصَّيفِ المتمزّق من عطشٍ في الذاتِ
ستظلّ ربيعاً لم يمسه جفافُ
قد تأخذه سنةٌ من نومٍ
قد يُغريه سُبَاتُ،
فتنام يدُ
ويجفّ على حَبْرٍ وعدُ
ويراوغ عن لُقياك غدُ
لكنّ.. قلْ لي
يا أنتَ البحرُ
وأنتَ الزورق والنوتيُّ وأنتَ المجدافُ
هل لي
أن أسألَ؟
كيف تُغيّينا أرضُ وتمدّ بنا شمسُ في ألفي ظلّ

هل لي:
لا... لم أسأل
أتململ في الحرف ولم أسأل
أتململ في الحرف لأخرج هذا الصمت
أخدش قاع البحر،
ألمم مسرب كهف لم يرضخ لخطي عراف
لألف على كفي سؤالا
يمتد كحبل سري ما بين الألق المتفجر
في اللؤلؤ واللّيل النائم في الأصداف
ما بين البذرة والزهره
والصخرة والدرة
والصورة والفكره
لا... لم أسأل،
أتململ في الحرف لأخرج هذا الصمت
لأخرج هذا الموت
فإن شئت،
سكت.. ونمت
وأبقيتك ركناً في داري،
رسماً مصلوباً ما بين الحائط والمسمار
اسماً
بيتاً من شعر
شفة علقت في كأس من خمر
حرمة ضوء من فجر
أتلمس فيها درباً ما بين الذكرى والنسيان
ما بين يكون .. وكان

أَتَلَمَّسُهَا مَعْنَى فِي صُورِهِ
يَتَوَزَّعُ فَوْقَ شِظَايَا مِرَاةٍ مَكْسُورِهِ
هَلْ تَذَكَّرُ مَا كَانَ لَنَا مِنْ وَعْدٍ مَعَهَا؟
فِي هَذَا الْمَقْهَى
فِي ذَاكَ الْمَلْهَى
فِي جُزُرٍ تَبْحَثُ عَنْ شِطْطَانٍ
فِي غُرْفٍ دَاكِنَةٍ الْأَلْوَانِ، وَفِي ذَاكِرَةٍ،
كُنَّا فِيهَا رَقْمًا حِينَا
حُرَفًا فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ وَمِيعَادًا
يَسْأَلُنَا عَنْ عُنْوَانٍ
كُنَّا فِي بَعْضٍ مِنْ حِينٍ
جَرَحًا أَصْلَبَ مِنْ حَدِّ السَّكِينِ،
لَا.. لَمْ أَسْأَلْ
مَرَّقْتُ الْعُنْوَانَ وَأَرْقَامَ الْهَاتِفِ وَالسَّهْمِ
الْمُوَصَّلَ لِلْبَيْتِ
فَأَنَا أَعْرِفُ أَنَّكَ لَنْ تَأْتِيَ اللَّيْلَةَ.. لَنْ تَأْتِيَ
وَسَأَسْهَرُ وَحْدِي
وَأُنَازِعُ وَحْدِي
وَأُجَفِّفُ صَوْتِي قَرَبَ الْمَوْقِدِ فِي صَمْتٍ
وَلَوْحْدِي
فَأَنَا أَعْرِفُ أَنَّكَ لَنْ تَأْتِيَ
حَسْبُكَ أَنْ لَا مَوْتَ وَرَاءَ الْمَوْتِ
فَلِمَاذَا تَسْأَلُ عَمَّنْ عِنْدِي.. وَمَا عِنْدِي
وَلِمَاذَا تَأْتِي...؟
السَّاعَةُ جَازَتْ مُنْتَصَفَ اللَّيْلِ

والشارعُ خالٍ إلّا من ظلي
إلّا من صوتٍ يجهش في صدري
ونوافذُ جيرانِي أطفأها الحزنُ، وإني
أخشى أن أوقظها
وأخاف عليهم مني،
وأخاف على نفسي منهم
وأخاف إذا سألت أعيُنهم أيَّ سؤالٍ
أن أبكي رغماً عني
سأعانق ظلي
وأنام لأحلم بالرحلة شتاً بها السرُّ
فأنتَ البحرُ
وأنتَ الزورق والنوتيُّ وأنتَ المجدافُ
وإن وراء ضفاف الموتِ تظلُّ ضفافُ،

هل كذب العرافُ...؟

لا أدري

لا أدري،

من: «الأعمال الكاملة للشاعر بلند الحيدري»

اعترافات من عام ١٩٦١

لن أذهبُ

لن أذهبُ

ما أتعسَ أن أقضيَ كلَّ حياتي في عتمة مكتبٍ

نفسُ الوجه المرمي على الطاولة السوداء

نفسُ الزمن المترهل

في الظلِّ

ونفس الأوراق الملساء

نفس الحرف المتسائل عن حرف.

وعلى الحائط

ما زال اسمك يا وطني

يوشك أن يفتح عينيه

يمد ذراعيه

يقول:

تعال إلي يا لمائتُ باسمي

يتدلَّى الألفان الكوفيَّان

يتدلَّى الموتُ بحرفين من السقف

بحبلين من السقف

من المصلوب بحبله.. من المصلوب...؟

أجبنِي يا بخلَ ذراعيه

فلقد أرهقني وجهي المرميُّ على الطاولةِ
السوداءُ.

وتعبتُ من التَّوقيعِ على كَذِبِ سيِّدِ صَبَاحٍ
مساءً.

وكرهتُ شعاراتي الجوفاءُ
ما أتعسَ أن أذهبُ،
ما أتعسَ أن أقضي كلَّ حياتي في عَنَمَةٍ
مكتبٍ.

مصلوباً ما بين الألفين الكوفيَّين
وبين الحرف المتسائلِ عن حرفٍ.

وكأَمَسِ
ذهبتُ
يفتحُ فراشي بابَ الغرفةِ، يحني قامتهُ
العطشى

وبلهفةٍ من عودِهِ الجوعُ على أن يحني
قامتهُ،

ويذلُّ تحيَّته، حدَّ الهمسِ

سيقول:

صباحُ الخيرِ.

صباحُ الخيرِ.. اسمُ مغنٍّ .. كلاً.. اسمُ

قصيده

كلاً.. كلاً .. اسمُ جريدةٍ

أعرفها
أعرف صاحبها... كان صديقي
أهداني في يومٍ ما ديوانَ المتنبي للبرقوقي
حدّثني عن فجرٍ قد يأتي بَرّاقاً كالسيِّفِ
وقَتَّالاً كالسيِّفِ
حدّثني عن معنَى أبعدَ من شكل الحرفِ.

وأردُّ صباح الخير
القهوة... آخذُها في الشُّرفه؟
أغلقُ بابَ الغرفه
القهوة.. لا تنس.. مرّة
وأنا أكرهها مرّة
أكره هذا القارَ الأسود
أكره هذا الدربَ الأسود في قعر الفنجانِ
وأكره حتى الحبرَ الأسود.. حتى الـ..
... لا تكفر.. لن تكفر.... لن تغفر هذي الكفرة

- مرّة
- أجل مرّة
فَمُصَابٌ بالسَّكْرِي لا يأخذ قهوته إلا مرّة
- كيف أُصبتَ به ومتى؟
- لا تسأل
وتذكرتُ الحيّ.. ومدرسةَ الحيّ... وأستاذَ الدّينِ
لا سينَ في الدّين ولا جيم.. أفهمتم يا طلاب..؟

أسمعتم يا طلابُ

لكننا .. لم نسمع.. لم نفهم

وكبرنا

صرنا أكبرَ من أن نخشى الجيمَ المعقوفَ

وأكبرَ من أن يجرحنا سيفُ السُلطة في السَّينِ

ورأينا كلَّ أصابع أطفال الحيِّ تشير إلينا:

بوركتُم يا وجهَ الثَّورِ

بوركتُم يا وجهَ القرنِ العشرينِ

- كيف أُصبتَ به ومتى؟

أه لو تعلم.. أنَّ الثَّورة في القرنِ العشرينِ

لا تهدي الثَّوارَ سوى السَّكِّري

والقُرْحة

والقهوة مرَّه

وأنا كنتُ من الثَّوار

وعرفتُ النُّومَ على الأسمنتِ البارد

مثل القرنِ العشرينِ

وعرفتُ السَّجَّانين الثَّوارَ

وعرفتُ المسجونين الثَّوارَ

وعرفتُ بأنَّ الثَّورِ

قد تقلع ظُفُري

قد نُولجَ شرطياً في صدري

ولمستُ أصابعهم في عينيِّ تقول:

أنتَ الملعونُ فكن طُعماً للنَّار

صُرْنَا طُعْمًا لِلنَّارِ.
لِلسَّكْرِيِّ.. وَالْقَرْحَةِ.. وَالْقَهْوَةِ.. مُرَّةً
وَالثُّورَةَ
صَادَتْ هَذِينَ الْأَلْفَيْنِ الْكُوفِيِّينِ
وَهَذَا الرَّأْسَ الْمَرْمِيُّ عَلَى الطَّائِلَةِ مِنْذُ سَنِينَ.
لَمْ يَفْهَمْ قَرَّاشِي شَيْئًا
حَيًّا وَكَمَا عَوَّدَ حَيًّا
فِي الْأَلْفَيْنِ.. الثُّورَةَ
أَحْنَى قَامَتَهُ الْعَطَشَى
وَبَلْهَفَهُ
سَدَّ عَلَيَّ الْبَابَ... عَلَى الْأَلْفَيْنِ الْكُوفِيِّينِ
عَلَى اسْمِكَ يَا...
وَعَرَقْنَا فِي صَمْتِ الْغُرْفَةِ
لَكِنْ وَرَاءَ الْأَبْوَابِ الْمَسْدُودَةِ
مَا زَالَ لَنَا وَعْدٌ بِالثُّورَةِ
مَا زَالَ لَنَا مِنْ يَحْلُمُ بِالثُّورَةِ
مَنْ يَدْرِي
قَدْ لَا يَشْرَبُ قَهْوَتَهُ.. مُرَّةً

من: «الأعمال الكاملة للشاعر بلند الحيدري»

— |

| —

— |

| —

حسين مردان

رجل الضباب

ويلُ لشعبٍ لا يثُورُ إذا رأى
هذا الترابَ يدوسُهُ مُستعمِرُ
ويلُ لشعبٍ قد أهين ولم يزلْ
يخشى سياطَ الحاكمين ويؤمر
أنظُلْ نحلم بالسماءِ ولونها
وأنوفُنَا في الطين قبرا تحفر
أنظُلْ نُوصَمُ بالخنوع وأينما
دُرْنَا نرى شعباً يثورُ ويُبهر
أنظُلْ ننتظرُ القضاء وكلُّنا
يدري بأن المجد حُلْمٌ أحمر
أنى التفتُ أرى بوادرَ ثورةٍ
نكباءَ بُورك هولُها لو تهدر
في كلِّ عينٍ رغبةٌ مسعورةٌ
للملتقى وبكلِّ كفٍّ خنجر

-
- ولد في قضاء «الهندية» عام ١٩٢٧، وتوفي عام ١٩٧٢ .
 - هجر الدراسة بعد المرحلة المتوسطة .
 - عمل في الصحافة، وعين معاوناً للمدير العام للإذاعة والتلفزيون .
 - له عدد من الدواوين، منها: «قصائد عارية» ١٩٤٩، «اللحن الأسود» ١٩٥٠، «رجل الضباب» ١٩٥١، «الربيع

وبكل صدرٍ أَسْمَرَ مُتَوَتِّبٍ
عارٍ، حَنِينٌ لِلصَّرَاعِ يُدْمَرُ
وبكل ثَغَرٍ ذَابِلٍ أَنْشَوْدُ
حمراءُ تَنْضَحُ بِالدِّمَاءِ وَتَقْطُرُ
لَكِنْنَا نَشْكُو فِرَاعَ زَعَامَةٍ
شَمَاءَ تَهْزَأُ بِالحَدِيدِ وَتَسْخَرُ
فَنُ الزَّعَامَةِ فِي العِرَاقِ حَكَايَةً
صَفراءُ يَرْوِيهَا النُّضَارُ الْأَصْفَرُ
نَشْكُو الْمُحُولَ وَلِلدَّخِيلِ بِأَرْضِنَا
مُتَرْقِرَقاً فِي كُلِّ شَبْرٍ كَوَثِرُ
لَا خَيْرَ فِي شَعْبٍ يُحْسُّ وَيَقْدُرُ
وَيُظَلُّ يَطْحَنُهُ الشَّقَاءُ الْأَكْبَرُ
لَا خَيْرَ فِي شَعْبٍ يُحْسُّ وَيُبْصُرُ
وَيُظَلُّ مَغْلُولَ الْخُطَى يَتَعَثَّرُ
لَا خَيْرَ فِي شَعْبٍ يَرِيدُ وَيَصْبِرُ
وَالظُّلْمُ يَسْمُنُ فِي دَجَاهِ وَيَكْبُرُ
لَا خَيْرَ فِي شَعْبٍ مُجِدِّ مُتَّعِبٍ
يَشْقَى لِيَنْعَمَ خَائِنٌ مُتَبَطَّرُ
لَا خَيْرَ فِي شَعْبٍ يَفْتَنُّهُ الطَّوِيُّ
مِرْقاً عَلَى جَسْرِ الْمَطَامِعِ تُنْشَرُ
وَيُظَلُّ يَجْتَرُّ الرُّؤْيَ وَبِقَلْبِهِ
جَرَحٌ عَمِيقُ الْغُورِ لَا يَتَفَجَّرُ
فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ تُزْمَجَرُ صَرْخَةً
خَرَسَاءُ تُكَبَّتُ بِالسَّلَاحِ وَتُنْذَرُ

سيذودُ هذا الشعبُ عن أوطانهِ
جورَ الطغاةِ العابثين ويثأر
فقدِ استحال الدمُّ في أعراقه
حُمماً ستُصلي المعتدين وتصهر
كم مرّةٍ قلنا سنُعلنها غداً
هوجاءَ تُرعد كالبحيم وتصفر
ويمرّ عامٌ لو وزنتَ شقاءه
لكفرتَ بالشعب الذي لا يكفر
وطني وما كلُّ الذين عرفتهم
عند الحديثِ ضراغماً: لا تغدر
قسماً بأعصابٍ يفلّ خيوطها
حبُّ الجمالِ وشهوةٌ تتسعر
لو صاح بي داعي الكفاح وأضلعي
نشوى لصيقةً أضلعٍ لا تهجر
لوجدتني وأنا الذي لا يُرتجى
لضرامها: وبكلِّ حانٍ يسكر
في أول المتحقّزين لبعثها
سوداء لا تُبقي ولا تستكثر
هذا أنا «رجلُ الضباب» ومن له
في كلِّ مُوبقةٍ حديثٌ يُذكر
فليعلم المتزلّفون إذا التوت
قدمٌ على قدمٍ باني أكبر
وطني لو أنّ الشعرَ يردع طامعاً
ويردُّ كيدَ المُغرضين ويزجر

لَنَظْمَتُ أَنْفَاسَ السَّعِيرِ قِصَائِدًا
تَشْوِي جُلُودَ الْمَفْسِدِينَ وَتَنْثِرُ
مَنْ كَانَ يَنْشُدُ بِالْكَلَامِ كِرَامَةً
فَابْصُقْ عَلَيْهِ فِذَاكَ غِرٌّ أَشْهَرُ
وَطَنِي وَكُلُّ يَدٍ تَرِيدُ لَكَ الْأَذَى
فَاسْلَمْ - فِذَاكَ الْخَائِنُونَ - سَتُبْتَرُ
الْأَمْنُ فِي وَادِيكَ شَيْءٌ نَـاَدِرٌ
أَمَّا الرِّجَالُ الْمَخْلُصُونَ فَأَنْدَرُ

(١٩٥١)

من ديوان: «رجل الضباب»

الطابوكة^(١)

لم تنهضِ الطيورُ
والليلُ ما زال هنا،
يوزّع الندى على الزهورُ
فتصعد العطورُ
غمامةً تنزل فوق نهدكِ الوليدُ
ولم نزل في منتهى السرورُ
نرقب كيف يبزغ الصباحُ
من ساقكِ المتيّن.



ونملاً الكؤوسَ من جديدُ
بالصبرِ والخمورُ
ليستقرّ الشوقُ في الصدورُ
ويهدأ الصياحُ
للموج فوق خصركِ النحيلِ
والليلُ ما زال على الزهورُ
ينفض عن غليونهِ النعاسُ
فيصمت الرنينُ في النحاسُ
ونحن من حولكِ يا نافورة العبيرُ
يذبحنا الحُبورُ
فنمضغ التبغَ بلا شعورُ

(١) البيراعة: حشرة صغيرة تضئ في الليل.

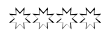
لكنني وحدي: أنا الحزينُ
وحدي أنا الحزينُ
يلهث في عروقي الحنينُ
لغفوةٍ على نهار فخذك السمينُ
وجُرعةٍ من ريقك الثمينُ.



وأنت في «ننفوك»^(١) الأنيقُ
طابوحة ترش في وجوهنا البريقُ

.....

.....



فكل شيء فيك يا سيدتي جميلُ
في منتهى الجمالِ
فشعرك الغزيرُ
بيدر ريش أسود تنام في مفرقه الطيوبُ
وثغرك الصغيرُ
علبة «حلقوم» على شفاهنا تذوبُ
وجيدك النضيرُ
شباك عاج حوله قلوبنا تلوبُ
ورصة في خدك الأسيلُ
يا لخدك الأسيلُ
بحيرة تطفح بالضحك وبالدلالُ
يشرب من شاطئها الحمامُ
حلاوة الهديلُ.



(١) ثوب رقيق.

فبيدأ الخيال....
سَفَرَتَه الخُضراءُ من حدائق النخيل في الجنوبُ
إلى الضحى المقتول في شمالنا الطروبُ
ينسج من نعومة المرمَرِ والشموعُ
ومن ترانيم العيونِ السُّودِ والدموعُ
سالوفةٌ ليس لها مثيلُ
عن شاعرٍ يصنع في أعماقه الرعودُ
ويرسم الخوفَ على مخالب الأُسودُ
لاح له «الجُمَارُ»^(١) فوق كتفك الخليعُ
يا لَكتفك الخليعُ
وَأَنْهَرُ «القَدَّاحُ»^(٢) في ذراعك البديعُ
فاستلَّ من عيونه السيوفُ
وأغلق الكهوفُ
ولم يعد يحلم بالمجد وبالبنودُ
ولذّةِ النومِ على أجنحة النسورُ
لقد غدا يهيم بالنعناع والزنودُ
ويعشق الرقّة في الصفصاف والقُدودُ
فهل سيحظى منك بالقليلُ؟
فيلثم الصبغَ على معاضد العقيقُ
في كفِّكَ الرشيقي؟



ففي غدٍ سيسقط الجدارُ
ويهبط الظلُّ على عالمك المضيءِ
فتحفر الأيامُ فوق صدرك المليءِ

(١) لبّ النخيل له لون أبيض.

(٢) زهر النبات قبل أن يتفتّح.

بالنار واللؤلؤ والشرابُ
شعارها العتيقُ
لن يصدحَ الشبابُ فوق غصنكِ الوريقُ
ففي غدٍ سيهفتُ^(١) الحريقُ
ويجلسُ السهدُ على مخدةِ الأنينِ
ولن يعودَ السكرُ المذابُ
يقطر من رجليك في الطريقُ
فكلُّ ما فيك من الوردِ،
ومن نزاعةِ الحديثِ
وكلُّ ما فيك من الرحيقِ
سترتمي في قبضةِ الغروبِ
ويدخلُ الشحوبُ
يحمل فوق كفه الهزيلُ
مرارةَ الضياعِ
وألفَ قرصٍ أصفرٍ يزيد في الصداغِ.

(١٩٥١)

من ديوان: «طراز خاص»

(١) يهفت: ينطفئ.

السلسلة

منع تجول

وعندما تذوب في المساء
مشاعلُ الضياء
وينشر المساء
قميصه الأسمرَ في الفضاء
ينقطع الغناء
وتنطفئ البهجة في القلوب
ويجمد الضحك على الدروب
فننقل الأبواب في هدوء
ونجمع الصغار
نروي لهم حكايةً عن عهدنا القديم
حكاية (السلطان) والحريم
وأعين الكبار
مربوطة بساعة الجدار
تنتظر البيان
وتلعن الزمان.



وعندما يَلْفنا الفراشُ في الظلام
نشاهد السلطانَ في المنام
يُشهر في وجوهنا الحسام.



وفجأةً تعبر في زقاقنا الكئيب
أصداءُ أقدامٍ تجرّ خلفها النحيب

لا شيء...!

هذي شرطه الأمان

تبحث عن فلان.



إلقاء قبض

ويقبل النهار

كوب من البلور في أعماقه بهار

وتحمل الرياح

صوت بكاء عند جيران لنا قريب

فيخرج الناس من الشقق

تسأل في قلق

ماذا جرى؟

ويضحك الوالد باحتقار

- جاءوا قبيل ساعة فقط

فأخذوه.. ابني الوحيد

وخلّفوا الدار لنا مرق

.....

- لا بأس يا حميد

فالظلم لن يدوم .. مستحيل

وصبرنا الطويل

سيطلع الضحى من الحرق



تحقيق

- يا أيها المناضل العنيد

وتهبط العصا على الوريد

سوف نشق صدرك العريض

إن لم تجب...

ويهتف الشهيد

- من يأكل الحنظل لا يهابُ
زمزمة الكلابُ
ومن لم يكن مثلي لن يميلُ
عن حقه الصريحُ
وتنزل الأظفارُ فوق وجنة الأسيرُ
- حقيرُ
سنجعل اللحمَ على جنبيك كالعصيدُ
بليدُ
من يُوقد النارَ على الجليدُ
- إني هنا شعارُ
ويهجم الجرادُ كالليث على السجينُ
ويكسر السكينَ فوق جبهة الطعينُ
- أقوى من الفولاذ... يا حثالة الخرقُ
- سنصنع المرقُ
من لحمك الرخيص، والقديدُ
.....

- لن ينطق الجدارُ
فافعلُ بأعضائي ما تريدُ
فموتُ كلِّ تائرٍ يزيدُ
توهجَ المصباح في المنارُ.



محاكمة

- اسمي أنا مجيد
مستخدمٌ في مصنع النسيج
- وعمرك المديدُ
- خمسٌ وعشرون سنه
أسكن في محلة الشيوخ
.....

– هل أنت ممن يعشقون العدل والسلام
وينشرون اللغظ عن حرية الكلام
وعن مساواة الأناس الصيد بالطعام
يا أيها المشاغب الكبير

.....

– كلاً أنا مشردٌ فقيرٌ
لا يجد الطعام
وليس لي سنام
لأنني لم أذق الطيبخ منذ عام
لكنني أعلم عن يقين
أن الذي يدفع بالناس إلى الأنين
بضعة أنفارٍ من اللئام
وإنني أحلف بالجحيم
وقوة الفأس وبالصدام
سأحفر الظلام
وأسحب الشمس إلى «ليوناني» القديم.

(١٩٥٦)

من ديوان: «طراز خاص»

مصطفى جمال الدين

رائد النهضة الأدبية

في تحية الشيخ محمد رضا الشيباني

رَأَى فَاهْتَزَّ يَعْطِي الْغَيْثَ مَا وَهَبَا
يَوْمٌ سَكَبَتْ عَلَيْهِ أَمْسَكَ الْخَصْبَا
أَعْطَيْتَهُ يَوْمَ كَانَ الْحَقْلُ مِنْكُمْ شَا
جَدْبًا، وَكَانَ النَّمِيرُ الثَّرُّ مُنْتَهَبَا
وَكُنْتَ فِي رَادَةٍ، أَقْصَى شَجَاعَتِهِمْ
أَنْ يَرْكَبُوا الدَّرَبَ، لَا أَنْ يُدْرِكُوا طَلَبَا
أَنْ يَقْطَعُوا الشَّوْطَ، حَتَّى يَسْتَقِيمَ لَهُمْ
قَوْلٌ: بَأْنَا سَلَكْنَا الدَّرَبَ مُلْتَحِبَا
حَتَّى إِذَا وَقَفُوا فِيهِ عَلَى تُرَعٍ
أَرَاكَ فِيهَا (صَفِيُّ الدِّينِ)^(١) مَا وَهَبَا
.. أَهْرَقَتْهَا وَطَلَبْتَ الْغَيْثَ مُنْتَجِعَا
فَكُنْتَهُ.. وَلَقِينَا الْمَنْهَلَ الْعَذِيبَا



يَا رَائِدَ النُّهْضَةِ الْكُبْرَى لِيُبْلَغَهَا
- بِحَيْثُ تَأْمَنُ شَرَّ النُّكْسَةِ - الْأَرْبَا

- مصطفى بن جعفر جمال الدين.

- ولد في «سوق الشيوخ» عام ١٩٢٧، وتوفي عام ١٩٩٦.

- أكمل دراسته في معاهد النجف الدينية ثم حاز على درجة الماجستير في الشريعة الإسلامية عام ١٩٧٢ ثم نال

درجة الدكتوراه عام ١٩٧٩ في النحو العربي من جامعة بغداد.

- له: «الديوان» بيروت ١٩٩٥.

ويا صباحاً حَمِدْنَا عند رؤيته
فينا، سُرَى الليلةِ الظلماء، والتعبا
ويا جهاداً صَلَيْنَا حَرَّ وَقْدَتِهِ
ونحن نفخر أن كُنَّا له حطبا
أَتَيْتَ لِلْحُكْمِ لَا تَرْجُو بِهِ عِوَضاً
عَمَّا بَذَلْتَ، وَلَا جَاهاً، وَلَا لِقَباً
لكن لتبني جِيلاً قَدْ تَعَاهَدَهُ
مَنْ رَاحَ يَهْدِمُ فِيهِ الْعِلْمَ وَالْأَدَبَا
كنتَ الربيعَ تَشَاطَرْنَا غَضَارَتَهُ
في حين يحكر لؤمُ القَيْظِ مَا نَهَبَا
تجارتان تسابَقْنَا لخيرهما
وأعينُ المجدِ ترعى أَيُّنَا غَلَبَا
بُورِكتَ.. عُدْنَا، وَأَنْتَ الرِّيحُ فِي يَدِنَا
وعاد من عادِ يجلو المقعدَ الخَشِيبَا



يا رائدَ الفكرِ وثأباً بنهضته
سلمت.. فالفكرُ شقُّ الدربِ إذ وثبَا
أقام، حيث أقام الليلُ مُعْتَكِراً
وشبُّ فيه شُبُوبَ الصُّبْحِ مُلْتَهَبَا
كَادَتْ تُضِلُّهُ - لولا حذاقته -
حماقةً جعلتُ من نفسها نُصْبَا
من كلِّ مُحْتَلِبٍ ضَرَعاً لِسَائِبَةٍ
عَجَفَاءَ، مَا عَرَفْتُ دَرّاً وَلَا حَلَبَا
والعاصرِ الحَشَفَ البَالِي، لَأَنَّ يَدَا
سواه، تعصر في أكوابها العَنَبَا

والنافخ الشَّدق، لا سِمناً ولا ورماً،
لكن ليُدخل في ذي سِمنةٍ نَسباً
والحاشِدِ الكُتْبَ يُزجي المالَ في بَطْرِ
كيما يُريك أنيقاً بهوهُ الرُّجبا
وما درى أن نارَ الفكرِ مُوقَّدةٌ
هيهات يقبسها العُودُ الذي رطباً



يا رائدَ الفكرِ.. إنا ظامئون له
وقد لقينا بكَ الينبوعَ مُنْسَكِباً
حدَّثَ عن العلمِ، عن دنيا نوابغهِ
فقد عهدناكَ تجلّو عنهمُ الحِقْبَا
كيف استلأنوا من الأيامِ غِلْظَتَها
واسترغدوا العيشَ صعبَ المقتنى جَشِبَا
حدَّثَ عن النبتِ في الصحراءِ يابسةً
كيف استطال، وأعطى أَكْلَهُ، ورَبَا
وكيف عاشت قرونٌ بعد هجعتِه
ضيفاً على شَجَرَاتٍ تُثمر الكُتْبَا
ونحن نجتراً ما تُلقِيه في نَهْمٍ
ولم نزد بينها نُبْعاً ولا غَرَبَا
نكاد في الحقلِ، نديانَ الثرى، خَضِلاً
نعيش، بين شذى أغراسه، حطباً
لأهمَّ عَفْوَك، جَنَّبْنَا غَوَايَتَنَا
فقد يكون غباءُ المبتلى غَضَبَا



يا رائدَ الجيلِ، والدربُ الطويل لظيَّ
كاو، يُذيب الخطى مجهوداً تَعَبَا

ويا مناراً من الإشعاع مُؤْتَلِقاً
لولا ما طَيقَ هذا الليلُ مُصْطَحِباً
حسبُ القوافي، وقد لاقتك مُحْتَفِلاً
يومٌ يُعيد لها العهدَ الذي ذهب
أيامَ كان مطافُ الشعرِ حولكم
وكنتم في سنى أفاقه شُهَباً
تُطاولون من العلياء ذُرُوتَها
وتُصعدون إليها مَنْ سعى فَكَباً
تحيةً لك من جيلٍ إذا ابتعدت
أعمارُهُ عنك في أرواحه اقتربا
يمشي ويعلم أن الهدى مُخْطِئُهُ
لولا خُطاك التي أبقيتها نُصَباً
علّمته كيف يبني الشعرَ صاعقةً
تُوهي العروشَ، وعُوداً مُتَرْفِئاً طَرِباً
يُذيب في روحه من روح خالقه
ما يجمع السلسلَ الرقراق واللهبا
والشعرُ جدولٌ نارٍ لو سُقِيتَ به
كأساً، لكان على لفح اللظى عَذِبا

(١٩٥٧)

من: «الديوان»

بغداد

بغداد... ما اشتبكتُ عليكِ الأعصرُ
إلا ذوتُ.. ووريقُ عمركِ أخضرُ
مرتُ بكِ الدنيا، وصبحكُ مُشمسُ
ودجتُ عليكِ، ووجهُ ليلكِ مُقمر
وقستُ عليكِ الحادثاتُ، فراعها
أنْ احتمالكِ، من أذاها أكبر
حتى إذا جُنْتُ سياطُ عذابها
راحت مواقعُها الكريمة تسخر
فكانَ كبركِ - إذ يسومكِ (تيمرُ)
عنّتاً - دلالكِ إذ يضمكِ (جعفر)
وكانَ نومكِ - إذ أصيلكِ هامدٌ -
سِنَّةً، على الصبحِ المرقه، تخطر
وكانَ (عيدكِ) بعد ألفِ مَحولةٍ
عيدُ افتتاحكِ وهو غُضُّ مُمثر
للهِ أنتِ.. فأَيُّ سِرٍّ خالِدٍ
أنْ تسمني، وغذاءُ روحكِ يضمُر!!
أنْ تشبعي جوعاً، وصدركِ ناهدٌ
أو تُظْلِمِي أُنُقاً، وفكركِ نُيّر!!



بغدادُ بالسحرِ المندى بالشذى الـ
فَوَاحٍ من حُللِ الصَّبَا يتَقَطّر

بالشاطئ المسحور يحضنه الدجى
فيكاد من حرق الهوى يتنور
بالسامرين أثابهم من لهوهم
وهج الضحى.. وكأنهم لم يسمروا
وبراقدٍ و(الخلد) بعض جنانه
والسحب ملك يديه أتى ثمطر
وإذا تهدج بـ(الرصافة) صوته
جفلت بمصر، على صده، (الأقصر)
والحور بين يديه ترتجل الهوى
غزلًا به حتى الستائر تسكر
يرقى لعينيه السهاد، لحرة
في الروم، تهتف باسمه وتحدّر
فيرد كأس الحب عن شفة بها
شوق إلى كأس الحمية أسعر



وبساهر (المستنصرية) طرقة،
في حيث تألق الحروف، مسمّر
تعبت عيون النجم، وهو كأمسه
حدب على صقل المواهب يسهر
ظمان، والكأس المفاضة دونه
لو كان يُخدع بالسراب ويُمكر
يشوي على اللهب المقدس روحه
ليقتوت جيلًا حوله يتضوّر
ويضيع في غمر الدجى، ويراعه
إحدى عطاياه الصباح المُسفر

ما ضرَّ عاطشةَ القلوبِ إذا ارتوتُ
بالعود من لفحِ التَّقشُّفِ يقطر
وكفاه مهزولاً تعيش بقلبه
أممٌ، وتسمن من حَشاها أَعْمُر
تأتيه أجساداً، فيصنع روحها
والطين - لولاه - الكثير الأوفر



بغدادُ بالذكرى الحبيبة بالصدى الـ
مِرْنانٍ من خلف الأعاصير يهدر
قُصِّي فنحن وراء (ألفك) ليلة
أخرى، يطول بها الحديث ويقصر
ودعي الخيال فد(شهر يارك) سمعهُ
لأن من صخب الحوادث موقر
وتحدّثي، فجلال عيذك لا يرى
أن تصمتي، وقُرى سواك تُثرثر!!
عن (عصرك الذهبي) ما طال المدى
إلا وناصع وجهه المتصدر
تعيّا بحلبتها العصور، وشوطة
أبدأ على نَشْن الحواجز يطفر
ما اخضر من تلُع الثقافة منكب
إلا ومنك رُواؤهُ يتمطر
وستفخر الأجيال، بعدك، أنها
كانت على بقايا بساطك تسمر
ستظلّ قينةً (دار سابور)^(١) بما
أسدت إلى (شيخ المعرة) تُشكر

(١) مكتبة أسسها سابور بن أردشير في بغداد، وزارها أبو العلاء المعري.

ويظلّ كرمُ (أبي نُواسك) بيننا
عذبَ الخُمار، وإنْ أُجِدَّ المِغْصَر
وإلى غدٍ، وبمِتن دجلة سامرُ
مِمّا ينثُ (الأصمعيُّ) مُعطّر



بغدادُ، واستقصي الحوادثَ واكشفي
غَبْشاً يطوف بصباحها فيُغيّر
وحذارٍ أنْ تثقي برأي مؤرّخٍ
للسيف - لا لضميره - ما يسطر
وتسألي عن (معرض) يجلوك في
أبهائه صوراً تُسرّ وتُسحر
لمفكّرٍ يجلو دجلك، وقائدٍ
يُروى به ظمأُ الفتوح فتُزهّر
ومهندسٍ يبني الصروح.. وشاعرٍ
بنّاه يُسرج ليّلها ويُعطّر
ولزراعٍ في الحقل يمدّن عمره
فتُمدّ منه غِراسه وتُعمّر
ومعلمٍ لم يدّر شاربُ كأسه
ماذا يُقطّع من حِشاه ويعصر
بغدادُ أولاء الذين تَحَمَّلوا
أعباءَ مجدك في الخلود وأوقروا
فإذا تصفّحناكِ سِفْرَ كرائمٍ
لم نلقِ إلا صورةً تتكرّر
لخليفةٍ ووزيره، ولحاجبٍ
وأُمير.. ولمن بهم يتأطّر

فَهُمُ الَّذِينَ رَقُّوكَ مَجْدًا شَاهِقًا
وَبُنَاتُهُ، مِنْ حَوْلِهِ، تَتَحَسَّرُ
وَإِذَا زَرَعْتَ الْأَرْضَ فَجَرَ حَضَارَةً
وَتَمَدَّنْ.. سَبَقُوا لَهَا فَاسْتَثْمَرُوا
(الْخُلْدُ) وَالْقُبُوبُ الشَّوَاهِقُ حَوْلَهُ
إِبْدَاعُهُمْ.. وَيَدُ الْمُهَنْدِسِ تَصْفِرُ
وَالْفِكْرُ تَقْبِسُهُ الْقِرَائِحُ مِنْ هُنَا
وَهُنَا.. وَهِيَ عَلَى اللَّظَى تَتَسَعَّرُ
فَإِذَا تَجَسَّدَ وَاسْتَطَالَ جِهَادُهَا
صَعَدُوا عَلَى شُرُفَاتِهِ، وَتَجَبَّرُوا



بَغْدَادُ أَنْ لَكَ الْأَوَانُ لَتُرجعي
مَا ابْتَرَزَ مِنْكَ الْحَاكِمُونَ وَزُورُوا
فَوَرَاءَ مَجْدٍ يَرْفَعُونَ ضُمَائِرُ
تُعْنَى بِصَدَقِ حَدِيثِهِ وَتُفسَّرُ
فَتَنَقَّدي (نَهْبًا) يُؤْطَرُ عَصْرُكَ الْ
زَاهِي بِمَا يُعْشِي الْعَيُونَ وَيَبْهَرُ
هَلْ كَانَ إِلَّا مِنْ (حَدِيدٍ) هَمُّهُ
حَصْدُ النُّفُوسِ لِيَسْتَقِرَّ (الْمَنْبِرُ)
وَتَبَارَكَتْ مُهَجُّ تَذُوبِ بَحَرِهِ
فَتَشُوبُ كَالْحَ لَوْنِهِ وَتُمُورُ
بَغْدَادُ أَنْ لَكَ الْأَوَانُ لَتَحْطِبي
خُشْبًا بِأَلَاءِ الشُّعُوبِ تَنْضُرُ
مَا عَادَ مَجْدُكَ يَسْتَكِينُ لِفَارِهِ
يَبْتَرُ جَهْدَ سَوَاهِ حِينَ يُؤْمَرُ

من كل مشغولٍ بليلةٍ قصفه
وصباحٍ نزهته، وما يتبطّر
المالُ بين يديه، يطرب أغيدُ
ببليغٍ رثته، ويرقصُ أحور
فإذا تطلّع (السواد)^(١) بريقه
بُحّ الرنينُ به، وغاض العصفُر!!



بغدادُ لم يعد الزمانُ كأمسه
فكراً تُباع، وخاطراً يُستأجر
وهزيل رأيٍ أسمنته على الطوى
قيمُ بما يضوى عليه مُفكر
فمضت (كوافير) بريشة شاعرٍ
كانت تُزوّق خدّها فتصعّر
وتهرأت لغةُ المفاخر، فانطوى
(لقب) وأوحش لابسِيه مَفْخر
بالأمس كان بك الأديب، وثغره
أبدأ يُسيح حاكماً ويكبر
ويعدّ «رؤيته التي فازوا بها
من أنعم الله التي لا تُكفر»^(٢)
واليوم عاد، وليس غير يراعه
سيفُ تُراع به الطغاة وتذعر
وعلى شموخ ضميره يسمو له
ما بين أذرع حاضنيه المنبر
وبما تهدم من بقايا رُوحه
يبني عزائم جيله ويُعمّر

(١) المقصود عامة الناس.

وإذا دجا ليلُ القنوطِ، وأوشكتُ
باليأس أجفانُ المنى تتخذُ
.. ألقى بوقدة روحه، فإذا الدجى
مُهَجَّ على اللمبِ المخاطر تجمر



والآن يا بغداد يا زف موعداً
لك في الخلود قلوبُهُ تَتَنظَّرُ
من كلِّ من أعطاك غضُّ شبابه
ومضى بذابل عُمره يتعثر
يترقبونك.. والطريقُ أمامهم
جَهْمُ المسارب، ضيقٌ، مُستوَعَر
يبس الزمانُ، وهم على أطرافه
عَذَبٌ - بما تعدينه - مُخضوضِر
فتعهدي ما يأملون وأنعشي
لُقياهم، فهم بمجدك أجدر
رفعوك من قِطْعِ القلوب وحقُّهم
منك الوفاء لهم بما هو أكثر
وفعلت.. والحُرُّ الكريم رهينة
ليد ثباده السماع فيشكر
اليوم (الكندي) قلبك حافلٌ
ويداك حاضنة، وعقلك مُكبر
وغداً سيلقاك (الرضي) وصحبه
في موكبِ جمِّ السنى يتبختر

وأنا الزعيمُ بأن قلبك في غدٍ
أندى، وأحفلُ بالوفاء، وأطهر
وبأن يومك وهو عيدُ مروءةٍ
سيُعيض عن غدر الهوى ويُكفر

من: «الديوان»

الفقيدان

في رثاء السيد عبدالزهراء الحسيني

كيف تنسى دموعها الأماقُ
والفقيدان: نبله والعراقُ
والثكالي: نحن الألى.. غاض منا
رافداه: الففـرات والأخلاق
واغتربنا فلم نجد في منافيد
ننا بديلاً يلذ فيه المذاق
قد شبعنا من الضياع وجُعنا
من فُتات لنا عليه استباق
وكراماتنا نكاد نُزكِّد
هـا اختلاسا، كائننا سُراق
وحصدنا زرع الوعودِ وذريَّة
ننا، فلم يبقَ منه إلا النفاق
وطنُ الناسِ تربةً نبتتْها العِزُّ
زُ، وقلبٌ بحبِّهم خفاق
ضاع منا: القلبُ الكبيرُ.. وأمسى
ذكرياتُ ذاك الثرى العَبَّاق



أيها الثاكرون حُبُّ أبي مُو
سى، تعالوا.. فكلُّنا عُشَّاق

ههنا الحزن: واحدة تُنبت الوجْد
سَدَّ، وكأسٌ من الهموم دِهاق
وخريفٌ أزهاره المُّقلُ الحُمُ
رُ، وسلسالُه الدموع الرقاق
ولفيفُ الأغصانِ أذرعُ مَنْ حَفَّ
فُوا بنعش الربيع والأعناق
من صِحابٍ كأنهم خاشعُ السَّرْ
و، ذوتٌ من شُحوبه الأوراق
وعُفاةٍ جاؤوا لقطف الأمانِي
فتلقَى قلوبَها الإخفاق
مات وهجُ الربيع مُغتربَ العِطْ
ر.. فقَصَّتْ جذورها الأعراق
وبكاه الفراتُ حُزنًا، وجَزَتْ
شَعَرها حوله النخيلُ العِتاق



يا أبا المكرمات بيضاً كأنَّ المَدَّ
صِدْقٌ في ليلٍ وعدّها إشراق
وأخا الجِدِّ في نُكاتك، تكسو
ها ثيابَ المزاح، وهِي دِقاق
وصديقُ المحراب، طال وقوفُ الدُّ
لِيلٍ فيه، فطال منك اشتياق
وخدينَ اليراع، يُبطئُ في صَوِّ
غ الدراري، لكِنَّه السَّبَّاق
لكَ في كلِّ مُقلَّةٍ دمعَةٌ حَرُّ
رَى، وفي كلِّ سامرٍ إطراق

كُنْتَ نَبْضَ الْقُلُوبِ، شَتَّى، فَلَمْ يَحْ
 — جِرْكَ حَزْبٌ، وَلَا ادْعَتْكَ رِفَاق
 شَائِعَ النُّبْلِ، لَمْ يُصَنَّفْ، قَرِيباً
 أَوْ بَعِيداً، نَمِيرُكَ الدِّقَاق
 مُصْحَفٌ تَهْتَدِي بِهِ النَّاسُ فِي الْمَسْ
 — جِدْ، مَا حَازَ نُورَهُ وَرَاق
 وَمَقِيلٌ زَاهٍ بِقَارِعَةِ الدَّرْ
 بٍ، تَفْقِيَا ظِلَالَهُ الطُّرَاق
 أَخْتَكِ الشَّمْسُ، دَفْءُ كُلِّ الثَّرَى، يَخْ
 — ضَرُّ حَقْلُ بِهَا، وَيُورِقُ سَاق
 وَأَخْوَكُ الْبَدْرُ الْمَنِيرُ، لَهُ فِي
 كُلِّ دَرْبٍ عَلَى السُّرَاةِ ائْتِلَاق



يَا مُقِيلَ الْكَرَامِ مِنْ عَثَرَاتِ الدَّرْ
 بٍ، طَالَ السُّرَى عَلَيْهِمْ فُضَاقُوا
 وَمُعِيدَ الرُّوَاءِ فِي يَبَسِ الْحَقْ
 لٍ، تَعَاصَى بِنَبْبَتِهِ الْإِيرَاق
 وَمُصِدَّ السَّهَامِ عَنْ جِبْهَةِ الْحَقْ
 قٍ، وَقَدْ رَاشَهَا الْهُوَى وَالشَّقَاق
 مِنْذُ أَلْفٍ، وَالْحَقْدُ يَرْمِي (الشَّرِيفِي
 ن) ^(١) جُزَافاً، فَتَطْرِبُ الْأَبْوَاق
 وَهَدِيرُ (الإِمَامِ) ^(٢) شِقْشِقَةً قَرُ
 رَتْ، وَمَا قَرَّ غَيْبُهُمْ أَوْ أَفَاقُوا
 أَغْرِبُ عَلَى الْبَلَاغَةِ أَنْ يَرُ
 قَى ذُرَاهَا الْمَجْنُحُ الْخَلَّاق!

(١) المرتضى والرضي وقد اتَّهما بوضع نهج البلاغة.

أَمْ بَعِيدٌ عَنِ الْفَصَاحَةِ بَيْتٌ
لِفَصِيحِ الْقُرْآنِ مِنْهُ انْطِلَاقٌ!
وَتَقَحَّمْتَ لُجَّةَ الْبَحْرِ، تُلْقِي
بَيْنَ كَفِّكَ دُرَّهَا الْأَعْمَاقِ
وَمَجَادِيْفُكَ الْيَرَاعُ، (وَكَشَّأَ
فُكْ) فِي الْيَمِّ زَهْنُكَ الْبَبْرَاقِ
فَجَلَوْتَ الْأَوْهَامَ، رَاجَتْ زَمَانًا
ثُمَّ أَكْدَتْ بِبَيْعِهَا الْأَسْوَاقِ
قَدْ تَطَوَّعْتَ لِلدِّفَاعِ بِمَا تَعُ
جَزُ عَنْهُ الْكِتَابَةُ الْخُذَّاقِ
مُفْرَدًا صُلْتَ، وَالْأَرَاجِيْفُ إِلَّا
فَ، وَبَدْرًا قَفَلْتَ، وَهِيَ مَحَاقِ



لَمْ يَمْتَ يَا عِرَاقُ قَلْبُ أَبِي مُو
سَى، وَإِنْ لَمْ تَطْفُفْ بِهِ الْأَحْدَاقِ
قَلْبُهُ كُنْتُ بِهِ الَّتِي جَسَّدَتْهُ
فَيَضُ نَوْرٍ، ضَاعَتْ بِهِ الْأَفَاقِ
وَمَضَحُ الدَّمَاءِ مَا تَنْبِضُ الْحِكْمُ
سَمَةٌ فِيهِ، وَتَنْطِقُ الْأَعْلَاقِ
وَشَرَايِيْنُهُ السُّطُورُ، وَخَفَقَ الدِّ
حُبٌّ فِيهِ مَا تَخْفِقُ الْأَوْرَاقِ
لَمْ يَمْتَ يَا عِرَاقُ، بَلْ مَاتَ جَيْلٌ
أَنْتَ فِي قَلْبِهِ الدَّمُ الْمُهْرَاقِ
نَسِيْتُكَ الْقُلُوبُ دَارًا وَحَنَّتْ
لِمَنَافِي (الْفِرْنَجِ) تِلْكَ النِّيَاقِ!!

دارُنا في (السويد) والحقْلُ في (الدُّ
دانوب) و(الشيخُ) عندنا إسحاق!!
ولنا (القُبَعاتُ) زِيّاً عُروبيّاً
يأ!!، وخلَّ (العِقالُ) فَهُوَ رِباق!



أيها المدلجون في ظُلَمِ المَمَدُ
سَفَى، وزادُ المَسِيرَةِ الإرهاق
القريبون، والوفاقُ بعيْدُ،
والطليقون، والخلافُ وثاق
والمُطيقون كلُّ ضائقةِ العُمرُ
بَنة، لكنْ ذلَّهم لا يُطَاق
أحسبتم أن الحياة التي تَحُ
يَونَ خيرٌ من الدماء تُراق؟
ليس أَمَناً أَنّا ننام، ولا يَأُ
لَفُ أجفانَ أهلنا إطباق!
زادنا الذلُّ في المتية، وتَنَصَّبُ
بُ لَهم في (القذائف) الأرزاق!
أفنعى في الجئة الشوك، إذ هم
حَطَبُ في جحيمهم، واحتراق؟
أيها المدلجون في ظُلَمِ المَمَدُ
سَفَى، قِفُوا.. فالطريقُ وعَرُ مُعاق
أرجعوا.. أو تَوَحَّدوا فالذي أَدُ
نَمُ عليه مُرُّ الشرابِ زُعاق
قد نجوتُم.. والأهلُ صرعى، وبُعْثِرُ
نَمُ، وقد شدَّهم لحتفٍ نِطاق

وَقُصَارَى مَا تَأْمَلُونَ: تَصَارِيحُ
حُجَّ سَمَانٌ، تَلَوَّكَهَا الْأَشْدَاقُ
وَجِوَارٌ مَضَى، وَأَخْرُ يَأْتِي
وَاجْتِمَاعٌ عَلَيْهِمَا، وَافْتِرَاقُ!
ثُمَّ لَا شَيْءَ.. غَيْرَ أَنَّا قَطِيعٌ
بِاعِهِ الْمُتَرَفُّونَ مِنَّا وَسَاقُوا
وَسَلَامًا عَلَى الْعِرَاقِ وَأَهْلِهِ
بِالْمُنَافِي إِنَّ ضَاعَ مِنَّا الْعِرَاقُ!!

من: «الديوان»

لميعة عباس عمارة

تحية لخليل مطران

ليَ عرشٌ منكم، ولي صولجانٌ
وهواكم على الهوى سلطانُ
أنثرُ الحبَّ والسعادةَ ما سِرُّ
تُ، فائِثاً كلَّ خطوي جِنان
سألوا، - تسألُ الليالي عن الفَجْ
ر، «لماذا يُحبُّها لبنان...؟»
أهو ذنبي إذا أحبَّتني النِّا
س، وذنبي تخيِّرتني اللِّجان؟
أو لبنانٌ من يجوزُ عليه
زائفُ النقْدِ، أو يغُرُّ الدهان؟
أنا شعري، فإن يكن من حدودٍ
لوجودي، فالدهرُ واللامكان
موجتي تعرف الطريقَ إلى البَحْ
ر، فتمضي وما لها شيطان
تشرب الأرضُ كُلُّها، وهَيَ تنسا

- ولدت في «بغداد» عام ١٩٢٩ .

- تخرجت في دار المعلمين العالية .

- عملت في التعليم، وفي منظمة اليونسكو .

- من دواوينها: «الزاوية الخالية» ١٩٥٩، «عودة الربيع» ١٩٦٢، «أغاني عشتار» ١٩٧١، «عراقية» ١٩٧١، «يسمونه الحب» ١٩٧٢ «لو أنبأني العراف» ١٩٨٠، «البعد الأخير» ١٩٨٧، «بالعامية» ١٩٩٩، «قبل الـ ٢٠٠٠» ٢٠٠١،

بُ وئيداً، بكبريائي تُصان
 موجتي.. لا تَهْيَيْبِي، يَأْنَمُ الظنُّ
 نُ، فكلُّ المرافئِ اطمئنان
 يعلم الله أنني أكرمُ الورَّ
 قلةً من أن يمسَّها الهَذيان
 من يميني على يميني رقيبٌ
 باترُ السيف، دائنٌ لا يُدان
 أنا قلبي على أدقِّ اختلاجي
 رَصَدٌ، عفوٌ نبضه ميزان
 إليه لبنانٌ، هَبْ لهم ما يشاؤو
 نٌ، وهبْ لي ألا يَقَرَّ الجنان
 أن أظلَّ التي تَعْلَقُكَ القُلُ
 بٌ بأضلاعها، وهام البيان
 كلُّما نمتُ شابكتُ حول طيفٍ
 منك حلوا هداياها الأجفان
 مُوجِعِي أننا نلاقيك أحيا
 ناً، لو العمرُ هذه الأحيان
 حَمَلْتُني بغدادُ عنفَ مُحَبِّبٍ
 لها، وبغدادُ رِيَتْها عنفوان
 إن أحبَّتْ قَدَتُ، وإن أبغضتْ أَرُ
 دتُ، وإن أرعدتْ أتى الطوفان
 وأنا بننتُها، وشاعرةُ الحُبِّ
 بِلديها، وحبُّنا ألوان
 خيرُها، أننا نحبُّ شعوبَ الد

أَرْضٍ ، نَأْسَى لِبُؤْسِهِمْ حَيْثُ كَانُوا
أَنَا بِنْتُ النُّضَالِ، أَرْضَعْنِي الْجُوعُ
عُ، وَأَوْهَى مِفَاصِلِي الْحَرَمَانِ
خُضَّتْهُ غَضَّةٌ، فَفِي كُلِّ فَجٍّ
مِنْ حَيَاتِي، مَجْرَى دَمٍ وَسِنَانِ
وَنَلَقْتُ، يَسْرِقُ الْجَرْحَ مِنْ صَدِّ
رِي خَضِيْبَاءُ، وَيَدَّعِيهِ الْجَبَانِ
فَهَنِيئاً لِّلْمَدَّعِينَ الْبُطُولَا
تِ، لَهُمْ مَرْقَصٌ عَلَيْهَا وَحَانِ
إِيَّهِ (مَطْرَانُ) عَفْوُ يَوْمِكَ أَنْ يُذْ
هَلْ فِيهِ عَنْ صَمْتِهِ الْوُجْدَانِ
إِنَّمَا بَعْضُ مَا أَثَرْتَ مِنَ النَّدَى
رَانِ بِالْأَمْسِ، هَذِهِ النَّيِّرَانِ
وَقَلِيلٌ إِذَا أُرِيدَ إِلَى الْبُرِّ
كَانَ سَعْيِي أَنْ يُسْتَقَلَّ الدُّخَانِ
سَامِرَ النَّيْلِ، أَيُّ مَجْدٍ عَرِيضِ
قَدْ تَبَادَلْتُمَا، فَعَزَّ الْبَيَانُ؟
كَنتَ سَمَحاً سَمَاحَةً، وَعَنِيفاً
عَنِيفَةً، شَاهِدْ لَهُ «أَسْوَانُ»
يُكَبِّحُ النَّيْلُ بِالسَّدُودِ، وَلَمْ يَكْ
بَحْ جِمَاحاً مِنْ شِعْرِكَ الطُّغْيَانِ
إِيَّهِ مَطْرَانُ، إِنَّهَا مَحْضُ ذِكْرِي
مَنْكَ، إِنْ لَمْ أُوقَفْهَا الْغَفْرَانِ
أَبْداً مَا تَغَرَّبَ الْحَرْفُ مَهْمَا

تتقاذف أجسادنا البلدان
كل يوم يُطرز الأرض من لُب
ننان نجم مداره الأكوان
لم تضق بعلمك أمس بمطرا
ن، ولكن تجبر السلطان
فنأى، غير أن غرقوافي
له، استطالت منها لها أغصان
دأبت بعلمك تستدرج التآ
ريخ، تبني، فيشمخ البنيان
ثم تهديه للدنا، كلفاً بال
مجد، هذا الولوع والإيمان
حضنت طفلة شباب الحضارا
ت، فمن صرحها له عنوان
هنا كل صخرة أينع المجد
دُعليها وشاخت الأزمان

(١٩٧٢)

من ديوان: «لو أنباني العراف»

\$ ذكرى شوقي

وَقُيِّتَ «رَحْلٌ»^(١) أَمِيرِكَ الْمَعْجَبُ
نُصْباً يُشَادُ وَمِرْبِداً يَرْحَبُ
يا جارة الوادي التي سكرت
من خمرها الدنيا اسكبي نشرب
هل مَرَّ طَيْرٌ عَبَرَ كَرْمَكُمْ
لم يُغْوِهْ، أو عادَ لم يطرب
يا غاويًا أهوى على شَفَةِ
كانت تَوَدُّ عليه لو تُصَلِّبَ
لبنانُ صدرُ الأرضِ، أَرْحَبُها
غوثُ الطريدِ وواحةُ الْمُتَعَبِ
عُريانةٌ دنياه مُتَرْفَةٌ
تُغْنِيكَ عن مهزولةٍ تُحْجَبُ
يغفو الصنوبرُ في تَعانقه
ورؤاه في أفـيائه تُسْكَبُ
رَجَلاً تَرُدُّ صـداهُ أوديهُ
مخمورةٌ من كـرمِها المـُذْهَبِ
والثلجُ إن غطى مشـارفه
نـمراً حـسبتَ الجـلدَ والمـخْلَبِ
أو درَّ ثدي الصـخرِ عن لبنِ
من قال إنَّ الصـخرَ لا يُحَلَبُ؟

(١) أُلقيت في عام ١٩٧١ في رحلة بمناسبة نصب تمثال للشاعر أحمد شوقي.

أدمنتُ حبَّكمُ فما أعذبُ
يا أسْرَكم لا أشتَهي مَهْرَب
أحببتُكم أدنأً وبارقةً
في مُقلّةٍ، ومشاعراً تلهب
تمطأدها لمحاً خواطركم
فكأنها سُبِقَتْ بما تُعجب
أحببتُ، كلُّكم القريبُ إلى
قلبي، ويندرُ من هو الأقرب
قلبي فضاء الله، يعمره الـ
إنسانُ والعُصفورُ والكوكب
لا طفلي الأحلى، ولا ولدي الـ
أنكى، ولا جَدِّي هو الأنسب
دينني دياناتٌ يؤلّفها
ربُّ وأخلاقٌ، ولا مَـذهب
أوطاني الدنيا، ولو جعلوا
بيتي بأقصى الصين ما استغرب
قومي شعوبُ الأرض كلُّهم
من صَنَّفَ الإنسانَ، من رَتَّب؟
لا لونَ، طيفُ الشمسِ جمَّعه
ضوءٌ فسبعتُهُ به تنضب
روحي انطلاقُ الخير ما انحدرتُ
لا حِقْدَ أثقلها ولا مكسب
لم يجر غيرُ الحبِّ في جسدي
نَسيَ ازدواجَ الضدِّ من أنجب

عُمرِي أُوَيْقَاتُ وَمَا فَرَزَعِي
 أَنِّي وَإِنْ ذَهَبْتُهَا أَذْهَبُ
 اخْتَارُ عَمْرِي، الثَّوْبَ الْبَسُّهُ
 فَأَنَا كَمَا اخْتَارَهُ أَحْسَبُ
 مَا هَمَّنِي كَمَ عَاشِقٍ نَسَبُوا
 لِاسْمِي، وَكَمْ مِنْ شَاعِرٍ شَبَّبُ
 سَهْلُ جَنَى اللَّذَاتِ، كَمْ غَمُرُ
 وَغَرِيرَةٍ مِنْ فَيْضِهَا تَنْهَبُ
 قَصَّصْتُ رَاغِبَةً، وَقَادِرَةً
 وَحَمَلْتُ أَهْوَائِي عَلَى الْأَصْعَبِ
 شِعْرِي التَّمَاعَاتُ تُلَاحِقُنِي
 إِلْحَاحُهَا يُمْلِي الَّذِي يُكْتَبُ
 لَا أَدْعِي أَنِّي وَحِيدٌ دَتُّهُ
 غَيْرِي تُغَنِّي يَوْمَ أَنْ أَتَعَبُ
 هَذَا أَنَا، يَا فَخْرُ لَا تَغْضَبُ
 إِنِّي بِطَيِّبِ بَسَاطَتِي أَغْرَبُ
 مَا أَسْهَلَ الْأَمْجَادَ، نَنْظُمُهَا
 مُحَضَّ أَدْعَاءَاتٍ فَلَا تُغْلَبُ
 أَنَا مَا أَعَدْتُ الْقَدْسَ عُذْرَكُمْ
 هَذَا يَدِي بِيَضَاءٍ لَمْ تُخْضَبُ
 أَنَا مَرَأَةٌ مِنْ غَزْوِ أَوَّلِكُمْ
 أَنَا تُبَاعُ وَأَنْلَهُ تُسْلَبُ
 وَعَدُّكُمْ تَسْتَلُّهُ امْرَأَةٌ
 مَا بَيْنَ أَعْيُنِكُمْ لَهَا مَضْرِبُ
 أَدُمْتُ أَذَانَ الْعَصْرِ جَلِيلَةً
 لِمُقَرَّرَيْنِ، وَخُطْبَةً تُخْطَبُ

وَتَمْلَمُ الشَّهْدَاءُ، نَنْدُبُهُمْ
وَسَهَامُنَا بِنَحْوِهِمْ تُنْشِبُ
هَاتِي «زُحَيْلَ» الْكَأْسَ وَلَنْ شَرِبُ
كُلُّ الْوَعْدِ بِوَارِقٍ خُلِبُ
غَنِّي لَنَا «شَوْقِي»، رَوَائِعُهُ
مُتَغَزِّلًا بِالرِّيمِ وَالرِّبْرِ
لَا مَادِحًا، ذَهَبَ الْأَلَى مُدِحُوا
وَمَدِيحُهُمْ، وَطَوَاهُمُ الْغَيْهَبُ
بَلْ دَاعِيًا بِالْمَدْحِ يَوْلَعُهُ
نَسَبُ إِلَى الزَّهْرَاءِ لَوْ يُنْسَبُ
هَذَا الْبَيَانُ السَّحَرُ مِنْ قَبَسِ الدُّ
قُرَّانٍ، كَمْ أَغْنَى وَكَمْ أَدَّبُ
تَبْقَى عُيُونُ الْحُبِّ بَاكِئَةً
عَطْفًا عَلَى (الْمَجْنُونِ) مَا يَنْحُبُ
يَبْقَى مَنَارُ الدَّمِّ مِنْ (عُمَرَ الدِّ
مَخْتَارِ) يَسْتَعْدِي عَلَى الْأَجْنَبِ
تَبْقَى (رِبَاعُ الْخُلْدِ) خَالِدَةً
تَبْقَى دَمَشْقُ عَلَى الْمَدَى أَصْلَبُ
تَبْقَى الْأَغَانِي شِدْوً سَاحِرَةً^(١)
مَا أَشْبَهَتْ قَبْلًا، وَلَمْ تُعْقَبْ
وَمُنْغَمٌ^(٢) أَعْطَى نِظَائِمَهَا
أَبْعَادَهَا مِنْ صَوْتِهِ الْأَعْزَبِ

(١) المقصود: أم كلثوم.

يا لآ عبا بالتُّبر عوْده
بالمنتقى المأثور أن يلعب
شوقي نجي النّيل معذرة
مُطريك ما وقى وإنْ أطنب
حيّتك من بغداد مائسة
من نخله والعِدق قد أرطب
موصولة بالخصب ، بانذلة
من بابل ، ولها غد أخصب

(١٩٧٧)

من ديوان: «عراقية ويسمونه الحب»

مسدودة طريقي

ما زلتُ مولعةً، تدري تُولعَها
مشدودةً لك من شَعري ومن هُدُبي
من دونك العيشُ لا عيشٌ، وكثرتُه
دربٌ يطول، فما الجدوى من النُصبِ؟
مرَّ الخريفُ بُعيدَ الصيفِ، والتحفتُ
من بردها الريحُ في تشرينَ بالسُّحبِ
ولا سؤالَ، ولا أصداءَ من سَمَرِ
فهل لصمتك - يا أفديك - من سببِ؟
عوّدتني ترفَ الأسمارِ يا مَلِكاً
من ألف ليلةٍ لم يخطر على الكُتبِ
الله! لو تحفظ الأسلاكُ ما حملتُ
فرائداً من عيون الشعر والأدبِ
نوادراً لم تكن مَرّت على شَفَةِ
عَفّواً تجيء سنَى في خاطر الشُّهبِ
أراك مستوحش الأظلال يا سَعَفاً
ما كان أزهاك بي في موسم الرُّطبِ!
بمن تُعوّضني يا من تُقطّعي
شِبْهاً بتلك، وهذي، إذ تُمَثِّلُ بي؟
أظنُّ قد جاءكَ الواشون عن غرضٍ
مُخَضَّبين قميصي من دمِ كَذِبِ

وكان منك شفيعي مُرهَفَ قَطْنٍ
وقد بدا لي تغاضيه من العجب
ما ذاك عَتَبٌ، وهل عتبٌ يُبَلِّغني؟
لو كنتُ من مازنٍ جادت بلا تعب
لكنها طُرقي مسدودةً أبداً
وإن تباهت بوقر الماء والعُشب
عُد لي صديقاً، أخاً، طفلاً أدلله
عد لي الحبيب الذي كم جدٌ في طلبه
عد سيدي، تلك دون الشمس منزلةً
أحلى المناداة عندي سيدي وأبي

(١٩٧٧)

من ديوان: «لو أنبأني العراف»

— |

| —

— |

| —

علي الحلبي

يا حارس النار

«إلى شهداء مجزرة قوام السلطنة في طهران»

خَلَّ الرُّعَاعُ تُشَيِّعَ الرَّعْبَ وَالشَّغْبَا
وَاسْتَعْطَفَ الْهَوْلَ يُزْجِي اللَّفْحَ وَاللَّهْبَا
وَحَلَّهَا فِي مَطَاوِي الْخُلْدِ.. مَقْبَرَةً
تَضُمُّ أَمْوَاتَهَا، مَا اسْتُشْهِدُوا عُصْبَا
وَاسْتَمَطَرَ النَّارَ عَبْرَ السُّورِ مِحْرَقَةً
شَلَّوْا الْجُزُورَ، وَخَلَّ الثَّأْرَ مَكْتَنَّبَا
وَكَشَفُوا عَنِ الْجَنَّةِ الْمَلَقَاةَ هَامِدَةً
فَنَفَحُهَا مِنْ شَذَى الْحَرِيَةِ.. انْسَرَبَا
وَاسْتَنْجَدَ الْقُوَّةَ الْعَمِيَاءَ، إِنْ دُمَا
بَيْنَ الْعُرُوقِ يَمِجُّ الْآهَ وَالسَّغْبَا
وَبَارِكِ الْمَارِدَ الْمُحْمَوْمَ مُنْتَشِشِيَا
فَالْمَوْتُ مِنْ جَذْوَةِ الْإِعْصَارِ قَدْ طَرِبَا



- علي محمد الحلبي.
- ولد في مدينة «النجف» عام ١٩٣٠.
- تخرج في كلية الحقوق العراقية عام ١٩٥٢.
- عمل في السلك الدبلوماسي، وفي وزارة الثقافة والإعلام.
- من دواوينه: «الشاعر» ١٩٥٤، «إنسان الجزائر» ١٩٥٨، «طعام المقصلة» ١٩٦٢، «ثورة البعث» ١٩٦٣، «المشردون» ١٩٧٠، «غريب على الشاطئ» ١٩٧٠، «مواسم العشق والرصاص» ١٩٧٩، «المجموعة الشعرية الكاملة» ١٩٨٧.

دَمُ الشَّهِيدِ إِذَا مَا اسْتَفَافَ مَنْزِلُهُ
عَبَّقَ الصَّيْدِ، تَحْدَى الْجِرْحَ وَانْجَذَبَا
يُخَضَّبُ التَّرْبَةُ الظَّمِيَاءُ مِنْ لَهَثٍ
وَيَنْفُحُ الْقَفَرُ رَوْضاً يَانِعاً خَضِيبَا
دَمُ الشَّهِيدِ وَضِيءٌ.. مِنْ تَوْهَّجِهِ
يَجْلُو الْكَفَاحَ طَرِيقاً مُوَحِّشاً لَجْبَا
وَيَجْتَلِي فِي زَفَافِ الْمَجْدِ..... مَجْزَرَةً
مَجْنُونَةُ الْعُرْسِ لَا تَخْشَى الرَّدَى الْحَرَبَا
دَمُ الشَّهِيدِ يُوشِّي الْغَارَ مَفْخَرَةً
إِذَا اغْتَلَى، وَأَبَاحَ الْحَرُّ مَا وَهَبَا
وَيَشْتَهِي مِنْ ضَحَايَا الْفَجْرِ أَفْنَدَةً
مَسْفُوحَةً، وَنَجِيعاً يَمْسَحُ اللَّغْبَا
دَمُ الشَّهِيدِ، كَأَنَّ النُّجُومَ مَنْجَمُهُ
وَالْكُوكِبَ الْفَدَى.. وَالْأَجْرَامَ.. وَالشُّهُبَا



يَا حَارِسَ النَّارِ، حَيَّا الشَّعْبَ ثَوْرَتَهُ
وَنَارَ مُحْتَدِمِ الْأَصْفَادِ، وَاضْطَرِبَا
تَجَمَّدَ الْعَلَقُ اللَّالَاءُ فَالْتَمَعَتْ
مَسَارِبُ الزَّحَفِ تَحْدُو الْفُوزَ وَالْغَلْبَا
إِرَادَةُ الشَّعْبِ أَقْوَى مِنْ لَوَاهِبِهِمْ
أَقْوَى مِنَ اللَّيْلِ، لَوْ غَامَ السَّنَا وَخَبَا
مَجْرَى النُّجُومِ رُوءَاءُ، كَمْ يَرْفُ لَهُ
عُرْسُ الْفَخَارِ، إِذَا مَا انْسَابَ وَانْسَكَبَا

لولا الدماء ، لأضحى الشعبُ مَسْخَرَةً
للمترفين، وألوى الحرُّ مُنْتَحِباً
فالعيشُ للثائر المقدام ما وثباً
والحكمُ للشعب إنْ أغفى.. وإنْ غضباً



خلَّ النجيعُ يُسَاقِي المِصرَعِ التَّربَا
خمرَ الوتينِ شراباً سائِغاً عَذِبا
وليعلمِ الفاتكُ الجَزَارُ... أنْ غداً
يومُ القصاص.. ويومُ يقذف الصَّخْبَا
يختال كالفتاح الجبَّار.. منتفخاً
ويحتمي بأوار النار.. مُعتصِبا
أسِنَّةً من حِرابِ الهولِ يعضدها
صَعَقُ الرصاص... وفي هاماتهم نَخْبَا
كأنَّه، ونذيرُ الإثمِ يطلِّقه
غُرَابُ أَلْهَةِ الطغيانِ قد نَعَبَا!
كم لَقَّه العارُ في أبراده جَزَعاً
من سَوْءَةٍ لعفافٍ كان مُغتصِبا
عُهرٌ يحنُّ لظهرِ العار، كم يدَعِ
ممسوخةٌ صانها الغفرانُ فانقلبا
حتى إذا العَصْفَةُ الحمراء عانقها
لمحُ الطَّمَاح، تولَّتْ نفسُهُ الهَرَبَا
وفرَّ من حَنَقِ الغوغاءِ مُرتجِفاً
وغاب من شَبَحِ الثاراتِ واحتجبا

لا بد للخائن المأجور.. مقصلة
لا تعرف الرفق والإحسان والنصبا



«مصدق» يا زعيم الشعب، إن فمي
مُرثم يسترق العازف الطربا
سلسلت شعري كالأنغام صادحة
فانهال مستلهما، وافتر ملتها
بوركّت بالنصر، ما دام العلى يقظاً
بالتضحيات تمد المنجد الحديا
قربان كوكبة الفادين... ملحمة
أوى بها البغي حتى جذها إربا
لا تأمن الوحش إن الغدر منيته
من شذقه الشر يهمي السم والعطبا

(١٩٥٢)

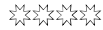
من ديوان: «ثورة البعث»



السودان الجديد

هاتِ لي الكأس.. فالرؤى مهرجانُ
والخيالاتُ جَنَّةٌ .. وافتتانُ
أنا نشوانُ، فاترعِ الجامَ من جَمِّ
رِندامايَ والطلَّا نشوانُ
تتلوئُ فقاعةُ الخمرةِ الشُّقْ
رأى أفعى وإنهها الأفعوان
هاتِ لي الكأسَ بين جنبيَّ إعصا
رُمنَ البِشْر شَدَّه العنْفوان
أنا حرُّ الشعورِ، أحتاجُ للنَّجْ
سوى، وكم هزَّني الصدى المرنان
حُلْمٌ شَيقٌ وهمسٌ مَشُوقٌ
وتهاويمُ فدَّةٌ واحتضان
أنا نشوانُ مُلهمٌ نابضُ الإحْد
ساسِ طَلْقٌ مُجَنِّحُ هَيْمان
واحتي ملعبُ الرؤى وافترارُ الدُّ
نُور والكأسُ والطلَّا والحنان
وعذارى الخيالِ تنسابُ من قَلْد
سبي غناء فتنتشي الألحان!
حالماتِ الأصداء، تمرح كالوَدَّ
سبي، وتُرفضُ عن رؤى أَلوان
أنا نشوانُ، هاتِ لي الكأسَ فالما
وى نَدامى ومِرْزهرُ وحِسان

شَعْ فَجَرُ الْأَحْرَارِ مِنْ كَوَّةِ الْبَعْدِ
ث، ومات الدجى الغريبُ المهان
وتهاوى الظلامُ أعمى بلا رؤْ
يا، وللقيد .. ظلُّه العجلان
أَنْ لِّلْهَوْلِ أَنْ يَجْرَ خُطَى الْعَا
ر، ويننهار عرشُه المزدان
يومَ أَلْوَى، يُجَرِّرُ الْمَوْتَ وَاللَّعْ
نَةَ، فَاَنْهَدَّتِ الدَّمَى الْأَوْثَانَ



أَنْ لِي أَنْ أُفَجِّرَ اللَّحْنَ سَكَّيْ
رأً من النّاي شاقه الإرنان
أيُّ عيدٍ، وَأَنْتَ تَخْتَالِ مَسْخَوِ
رأً، وللزهو شهوةٌ وافقتان
وطنُ النّورِ ملءٌ كَفَّيْهِ إِكْلِيدِ
لُ مِنْ الْغَارِ عَاطِرُ نَدْيَانِ
قَبَسُ الْخُلْدِ ذَوْبُهُ الْأَبْلَجُ الْعُرُ
يَانُ، وَالْعَطِرُ ظِلُّهُ الْهَتَّانِ
تَتَضَوَّى ظِلَالُهُ السُّمُرُ إِشْعَا
عاً مِنْ الْفَجْرِ وَالْدَجَى بُهْتَانِ
شَيِّعَتُهُ الْأَشْبَاحُ وَالْوَهْمُ وَالْأَطْ
لَالُ وَالْعُقْمُ وَالسُّرَى الْغَفْلَانِ
عِيدُنَا الْبِكْرُ ثَوْرَةُ الْأُمَّةِ الْعَرُ
بَاءِ، تَحْدُو، وَخَلَفَهَا الْعَبْدَانِ
رَجَّعَتْهَا الشَّيْطَانُ وَالْبَحْرُ وَالْمَوْ
جُ وَسَهْلُ الْمَرْوَجِ وَالْوُودِيَانِ

والذرى والسفوح والشفق المسد
فوح والأفق والمدى العريان
فاعزفي يا ملاحن النار، بشرا
كأغان مشبوبة ودخان
أنت صنّاجة الكفاح المدوي
عبر أفق يطل منه الهوان



أي هذا الطريد من قبضة الحر
ر، دمانا لمجدنا .. عنوان
والضحايا بكل سمّت عريق
مستباح لشعبنا .. قربان
أنت تلهو، وشعبنا الثائر الجب
بأرعات كائنه الطوفان
يعربي من الندى .. عبقري
تتصادى من رجعه الأذان
موطني منبع السننا والكراما
ت، ومننا تفجر الإيمان
وعلى الأرض من ثرانا مَسِيلُ
غامر طاهر الشذى ريان
شهداء لدى المتاهات.. كنّا
لم تُدثّر جسومنا الأكفان
والصديد البليد يزور في الجر
ح، ويغلي من النجيع المكان
وارتخصنا الأرواح في ساحة المَو
ت، فأين القذيف والنيران

وسفحنا لدى الرمال العطاشى
مُهَجَّأً حينَ زَمَجَرِ البركانِ!
أينَ ركبُ الأُبَاةِ والإخوةِ الصَّـرِّ
عى، طواها الغُزاةُ والطغيانُ؟
كلُّ شَبِيرٍ مِنَ التَّرَابِ المُنْدَى
لِلدمِ العَفِّ لَهْفَةٌ وحنان
شعشعَ الموعدُ الرهيبُ فلا الأعدُ
لألُّ تُنْجِي الدجى، والا السَّجَّانُ
شرفُ الحُرِّ، أيها الوحشُ، أنَ يَعُ
رى أبيعاً، ويُكرمَ الإنسانَ



هاتِ لي الكأسَ، فالرؤى مِهْرَجَانُ
والأغاريدُ عَضَّها الحرمانُ
أَنَ لِي أَنُ أُرْتَمَ النَّعْمُ يَاقِيدِ
نَّارُ، والقلبُ هائجُ حَرَّانِ
نحنُ نشكو، وأيُّ جُرحٍ مُدْمَى
لم يَدْنُسْهُ حَاقِدُ خَوَّانِ
أينَ عرسُ النضالِ هذي قيودي
وفمُ مُلْجَمٍ وشَهِمُ مُهَـانِ
رسفتُ بالغلولِ أسرى الجماهيرِ
رِ، وألوى بحقَّها بَهْلَوَانِ
ماجتِ النارُ من سَعِيرِ البطولا
تِ، وأغفى على اللَّظى نسيانِ
أمسِ كُنَّا إلى الذرى نتسامى
وعلى مرفأِ النهاياتِ.. كانوا!!

جُثْتُ ضِجَّ من رؤاها التَّفادي
ولدى حومةِ المنايا.. ارتهان



زمزمي يا سلاسلَ البغي، يا أصد
فادَ كَفِّي .. إني صديان
للضحايا تُعطر الرملَ بالغدا
دين، أين الرماة والفرسان؟
كلُّ قيدٍ يُصاغ للمعصم المَعْد
— روق ويل، وكلُّ قيدٍ هوان
وطنٌ حائرٌ ودنيا من الأعد
لال حيرى وموكبٌ حيران
وسياطُ الجالِدِ مَهْرُ العُبودِ
يات، والعارُ مَهْرُ الأحران
عرسُنا الأكبر المجلجل في الأقد
قِرْعيلُ مُجالِدٍ وطِيعان
وسرايا تَغُولُ الموتُ منها
شهداء .. يحقُّهم مهرجان
إيه بغدادُ أيُّ صمتٍ ذليلٍ
هسهسته الأعماقُ ، والأذهان
ويكِ هُبِّي وميتةُ الحرِّ أشهى
من حياةٍ تَغْلُها النيران
زمجري ويك، كفري عن خطايا
ك ، فها غصَّ مارِدُ غرثان
غدُنا مشرقٌ، يضوي مع الشَّم
س، ويستاف طيبه التحنان

وقعُ أجراسِه النشَاوى مُرِنٌ
تَتَصَادى من رجعه الأذان



أنا نشوانٌ... أيُّ عيدٍ تَجَلَّى
أريحيَّاً ، تحفّه الأكوان
لاح كالصحو في الضحى ينثر النُّو
رَ، كما رفّ للسنا لهفان
فاغمّ العطرِ أرجنّته الرياحيد
نُ، وفرّى عبيرَه الأقحوان
من هنا أفقّه المَضُوعُ أنفا
سُ من السحر والشذى سهمان
غمر النيلَ والفراطينَ والشا
مَ، وفاحت بعطره.. تطوان
ملءْ أهْدابه النديّاتِ همسُ الدُّ
وَحْيٍ يحيى، وملؤها الإيمان
كفّرتْ بالضلال أمّتي الشَّمْ
ماءُ، فأنهدْ بأسُها الصَّغْران
وتنادتْ لجبهة الشمسِ تحبو
ها ضياءً ، فراعها العنّفوان
ليس يحمي ربوعها الفاتكُ المَسْدُ
عورُ والوغدُ والدعيُّ الجبان
نحن حُرّاسُ أرضنا ، ليس للبعْدُ
بي على أهلِ يَعرَبِ سُلطان
فلنباركْ في هيكلِ الطهرِ صرْعاً
نا، وفي هيكلِ المنايا أذان

زَمَرْتُهُ الْعَلِيَاءَ وَالْمَجْدُ وَالْأَحَدُ
رَارُ بَشَرِي: تَبَارَكَ السُّودَانُ
ضَمُّهُ الْأَفَقُ حَانِيًا، وَالْمَلَايِدُ
نُ مِنَ الْعُرْبِ هَزُّهَا.. مَهْرَجَانُ
مَوْلِدُ فَوْحُ عُرْسِهِ .. ذِكْرِيَاتُ
عَبَقَاتُ.. يَفُوحُ مِنْهَا الزَّمَانُ
(١٩٥٦)

من ديوان: «ثورة البعث»

طعام المقصلة

إلى الشهيد عبدالرحمن خليفة

اهدري يا دماء.. أنتِ النشيدُ!
أنتِ في سمع أمّةٍ ترديدُ
أنتِ نارٌ موقودة.. لكِ منّا
وبنينا، ومن بنيهم وقود
لا تقلّ مات! لن يموتَ الشهيدُ
ولنا الثأر.. والفداء الجديد
والغدُ الخصب.. والقرايين أنى
تشهق الأرض.. أو يغصّ الجليد
ولنا الفكرُ والرؤى وانطلاق الرؤى
ح والفنّ، والتراثُ المجيد
ولنا الأفقُ عبّره من دمانا
ألفُ فجرٍ على فمٍ تغريد
يزأر الركبُ في الدروب المدمّما
ة، وفي مسمع الدنى... ترديد
فجّرتّه الحياة، فالأرضُ عرسُ
والسماواتُ عبرَ دنياه عيد
لا تقلّ مات! ويحّ ويحّ المنايا
وعلى الرمل من ربّانا صديد
لن يموتَ الصباحُ، إنا بقايا
ه، ويفنى الدجى، ويبلى الحديد

لا تقل مات!.. ساح «وهران» نبع
للبطولات، والسرايا حصيد
سوف تندي الرمال والحجر الصّد
عدّ، ويخضر من لظى الدم عود!
دربنا الحي بالضحايا.. مغطّى
وقرانا على الذرى تجريد
سيطول الفداء مهما تعاصت
فدية المجد واستباح العبيد
ويطول اللقاء حتى يُروى
شفق النار ثأرنا الموعود
يا رجال «الأوراس» يا صخرة المَو
ت، تفرّت على شظاياها الجلود
شرف البغي أن يُعقّر طفلاً
ويُدمى فتى ويسبى وليد
هكذا كانت البغايا... وتبقى
كيف يُستام عرضها المفقود
نحن للشمس زحفنا ما عرفنا
ندم الخطو والضحايا شهود
نحن والفجر موكبان اتحدنا
ووراء المدى حطام بليد
لم يلملم ظلامه العار، فالَمَوْ
تُجنّاح من ظلّه ممدود!!
يلهث السفح من عراياه حقداً
وتدوي من جوعها الفظّ بيد



يا رفاتَ الشهيد.. بُوركتَ نفحاً
عَطَّرَ السَّجْنَ قَيْدُهُ المَشْدُود
قُلْ لِحَدِّ السَّكَّينِ... إِنَّا طَعَامُ
لِحِمَانَا.. فَأَيْنَ مِنْكَ المَزِيدُ؟!
مَنْ هَوَى فَوْقَ جِرْحِهِ البَكْرَ يَفْتَا
تُ رُعَافاً، فَيَسْتَجِيرُ الصَّعِيدُ؟
الشَّهِيدُ العَنِيدُ مِنْ شَفِّهِ الخُلْدُ،
دُ، وَأَغْفَى مَعَ الضَّحَى... لَا يَحِيدُ
أُرِيحِي الفِدَاءَ يَرْتَاعُ مِنْهُ الدُّ
هَوْلُ، فَالنَّارُ مَلْعَبٌ مَشْهُودُ
وَسَرْتُ فِي التَّرَابِ أَنْفَاسُهُ الجَمُّ
رُ شَظَايَا يَذُوبُ مِنْهَا الجَلِيدُ
لَا تَقْلُ مَاتَ!. أَلْفُ كَفٍّ تَشَدُّ الدُّ
فَجَرَّ ثَاراً.. فَمَرْحَباً يَا زُنُودُ!
لَنْ يَمُوتَ القَنْدِيلُ والجَرْحُ زَيْتُ
أَبْدِي يُشَعُّ مِنْهُ الخُلُودُ!!
لَنْ تَكْفُ العُرُوقُ مِنْ نَزْفِهَا السَّمِّ،
ح، وَفِي السَّاحِ لَنْ يَجْفَ الوَرِيدُ
سَنُ عَرِّي جَنَازَةَ العَارِ قُوتاً
لِلْأَعَاصِيرِ يَشْتَهِيهِ الصَّمُودُ
وَيَخِرُّ الجِدَارُ خِزْياً مَعَ اللَّيْلِ،
لِ، وَيَنْدَاحُ بُرْجُهُ المَسْدُودُ!!!
العَطَاءُ الجَدِيدُ مِنْ قَمَّةِ «الأُو
رَاسِ» يَلْظِي، فَيَسْتَغِيثُ الصَّدِيدُ

كلَّ يَوْمٍ يُقْبَلُ الرَّمْلَ نَجْمٌ...!!
عربيُّ على الشَّجَى... صنديد
الوليدُ السعيد أنفاسه الشُّهُ،
بُ، وريَّاه.. أريحيَّ جديدا!
كرمُ البذل في سبيل الأمانى
شيمةُ العُرب، والنضالُ العنيد
سوف نلقى الصُّباح، ياليلَ وهرا
ن، سينهد بابك الموصود
ويطير الخُفَّاشُ في الكهف عُرياً
وتموت اليلى، وتفنى الحدود
ونلمَّ الأشلاء في البيدر المَهْ
جُور، فالقبرُ عبرنا تسهيد
نحن جيلُ الفداء، ملحمةُ المَجْد
د، لديننا في كلِّ فجرٍ شهيد!
ووراء المغيبِ نعشٌ عصيُّ!!
يتخطَّاه نيزكُ مصفود
لم تُروِّع حُشاشةُ البغي صرعى الدُّ
نُور، هيهات يخفق الجلمود



أزف الوعدُ في الشروق احتضاراً
وصلاةُ الطيور شدوً فريد
والأسيرُ الأبى مُلقىً على الأُرْ
ض، وعبرَ المدى زئيرُ بعيد
يا أبي... لن يموتَ ثأرُ الليالي
وعلى الشمس بريقُ منشود!!
سوف أغفو هنا.. وتحيا بلادي!
أبدأ.. والدمُ المصفى وقيد

وغداً تبسم الغصونُ الجديبا
 تٌ، ويفيضُ^(١) بلبلٌ غريِّد
 ألفُ رؤيا يضمُّها الغيبُ عطشى
 ويخضُّ المدى المسجى وعيد
 أمّتي ههنا.. ويعرى العبيدُ
 والطواغيتُ.. والمسوخ القرود
 قالها للضحى.. وجفَّت شِفاهُ
 واكتوى خاطرٌ.. وضوى وريد
 ثم غامت عيناه، رؤيا صباهُ
 وتدلّى من عُصّة الآه... جيد
 فانطفت شعله وأهوى شهابُ
 وتلوّى من جرحه.. أخذود
 نحن للمجد زحفنا.. كيف نحبو
 وخطانا في جبهة الشمس سُود
 أيها الصامدُ المزمجر.. بُشرى:
 كلُّنا للحياة قوتٌ جديد!!
 لا تقل مات!.. لن يموت الشهيدُ
 ولنا الثأر.. والفداء المديد
 اهدي يا دماء.. أنتِ النشيدُ
 أنتِ في سمع أمة تغريد
 أنتِ نارٌ موقودة لك منّا
 وبَنِينا، ومن بَنِيهم وقود
 جنّة الخلد أنتِ، لا مغريات
 ونعيمٌ، لَذاك عيشٌ بليد!

(١٩٦٠)

من ديوان: «طعام المقصلة»

(١) هكذا وردت في الديوان.

محمود البريكان

حارس الفئار

أعددتُ مائدتي.. وهيأتُ الكؤوس..
متى يجيءُ
الزائرُ المجهولُ؟
أوقدتُ القناديلَ الصغارُ
ببقيةِ الزيتِ المضيءِ
فهل يطولُ الانتظارُ؟
أنا في انتظار سفينةِ الأشباحِ تحدها الرياحُ
في آخر الساعات، قبل توقُّفِ الزمنِ الأخيرِ
في أعمق الساعات صمتاً حين ينكسر الصباحُ
كالنصل فوق الماء. حين يخاف طيرٌ أن يطيرُ
في ظلمةِ الرؤيا
سأركبُ موجةَ الرعبِ الكبيرِ
وأغيبُ في بحرٍ من الظلمات ليس له حدودُ.
أنا في انتظار الزائرِ الآتي،
يجيءُ بلا خطيِّ

- محمود داود سليمان البريكان.

- ولد في «الزبير» عام ١٩٣١، وتوفي عام ٢٠٠٢.

- تخرج في كلية الحقوق.

- عمل مدرساً في العراق وفي الكويت.

ويدق دقته على بابي.. ويدخل في برود
أنا في انتظار الغامض الموعود،
تحمله الرعود

والريح.

يوشك أن يحل الوقت،

الآفق الطويل

خال

وليس هناك ظل سفينة

يبدو الوجود

كالقوس مشدوداً، ولكن لا علامة للرحيل...



سقطت فنارات العوالم دون صوت..

الرياح

هي بعد سيده الفراغ، وكل متجه مباح.

وتغيرت طرق الكواكب فوق خارطة السماء

الآن تكذب ألف بوصلة.. تشير إلى الفناء

وعلى مسار الوهم ترسم خطها القلق القصير

ما من مغامرة، هو التيه المجرد في العراء!

(أتذكر الموتى، ولون دموعهم في الزمهرير

(ولعلهم كانوا جميعاً قبل ذلك أبرياء)

لم يهلكوا جوعاً ولا عطشاً، وإن كانوا ظمأ

ماتوا بداء الوهم

ليس لطائر البحر الجميل

شكلُ

وقد لا ينزف الدم من قتيل.



أتذكرُ المدنَ الخفيةَ في البحارُ
أتذكرُ الأموات، والسفنَ الغارقةَ، والكنوزُ
وسبائك الذهبِ المصقَّى، والعيونَ اللامعاتُ
وجدائلَ الشعرِ الجميلةَ في القرارُ
منشورةً، وأصابعَ الأيدي المحطَّمةِ النحيلة
مفتوحةً لا تُمسك الأمواجُ
في الطرقِ الظليلة
في القاع، تنتشر النياشينُ المدوّرة الصقيلة
وتقرُّ أسلحةُ القراصنةِ الكبارُ
يا طالما أسريتُ عبرَ الليل، أحفر في القرارُ
طبقاتِ ذاك الموت، أتبعُ الدفائنَ في السكونُ
أستنطق الموتى، أرى ما كان ثمَّ وما يكونُ
وأشمُّ رائحةَ السكونِ الكاملِ الأقصى
أريدُ
أن لا أمثَلَ من جديدُ
الأمَ تجربةِ العصورُ
أن لا أقطعَ بالتوتر، أو
أُسمرَّ في الحضور،
أبصرتُ آدمَ في تعاسته، ورافقتُ الجيوشُ
في أضخم الغزوات، نُؤتُ بحملِ آلافِ النعوشُ

غَنِيَتْ أَلْفَ المَوَاسِمِ، هَمَّتْ فِي أَرْضِ الجَمَالِ
ووصلتُ أَطرافَ المَحالِ،
ورأيتُ كيفُ تَدْمُرُ المَدُنُ المَهيبَةَ فِي الخَفَاءِ
شاهدتُ ما يَكْفِي، وَكُنْتُ الشَّاهِدَ الحَيَّ الوَحِيدَ
فِي أَلْفِ مَجزَرَةٍ بِلا ذَكَرِي

وَقَفْتُ مَعَ المَسَاءِ
أَتَأَمَّلُ الشَّمْسَ الَّتِي تَحْمَرُّ، كانَ اليَوْمُ عِيدُ
وَمَكْبَرَاتُ الصَّوْتِ قالَتْ: كُلُّ إنسانٍ هُنا
هُوَ مَجْرُمٌ حَتَّى يَقامَ عَلى بَراءَتِهِ الدَّلِيلُ
وَسَمِعْتُ أَبْواقَ الغَزاةِ تَضجُ فِي اللَّيْلِ الطَوِيلِ
ورأيتُ كيفُ تُشَوِّهُ الأرواحُ جِيالاً بَعْدَ جِيلٍ
وَفَزَعْتُ مِنَ لَمعانِ مِراَتِي:
لَعَلِّي كَالْمُسَوخِ
مَسخٌ تُقْنَعُهُ الظُّلالُ
وَعَجِبْتُ مِنْها دَمْعَةً فِي القَلْبِ تَأبَى أَنْ تَسِيلَ
وَالدَّمْعُ مَهْمَا رَقَّ هَلْ يَكْفِي لِمِراثَةِ الجَمالِ؟



الوَقْتُ أدركَ. رِيشَةُ فِي الرِّيحِ تَعكِسُها الصَّخُورُ
الوَقْتُ أدركَ، مَوْجَةُ تَنَدَّاحٍ مِنْ أَقصى الدَّهْورِ
الوَقْتُ أدركَ، لَسْتُ وَحدي
يَعْرِفُ القَلْبُ الجَسورُ
أَنَّ الرُّؤْيَ تَمَّتْ، وَأَنَّ الأَفَقَ يَوشِكُ أَنْ يَدُورَ
أنا فِي انْتِظارِ اللَّحْظَةِ الزَّرَقاءِ كالأَبَدِ الأَبِيدِ

أنا في انتظار اللحظة العظمى
سينغلق المدارُ
سينغلق المدارُ
والساعةُ السوداء سوف تُثَلَّ
تجمد في الجدارُ

أنا في انتظارُ
والساعةُ السوداء تنبض - نبضَ إيقاعٍ بعيدُ
رقاصُها متأرجحٌ قلقٌ يميل إلى اليمينِ
إلى اليسارِ
إلى اليمينِ
إلى اليسارِ
إلى اليسارِ.

(١٩٦٩)

من مجموعة مخطوطة بعنوان:
«محمود البريكان: مختارات من شعره»

رحلة القرد

داخلَ القفصِ الخشبيِّ
في مؤخِّرةِ الشاحنة
يقبع القردُ - يبدو عليه الهدوءُ
يَتَفَحَّصُ ما حوله
تنطوي تحته الأرضُ بسرعة
تتباعده عنه المناظرُ
تنطلق الشاحنة
في الطريق الذي يتلوَّى ولا ينتهي
وهي تهتزُّ
يضطرب القردُ
لكنه يستعيد الهدوءَ
ويواصل تحديقَه:
المزارعُ خضراءُ صفراءُ غبراءُ تحت ضياءِ النهارِ
النخيلُ، الصخور، النساء، الصغارُ،
البيوتُ، القبور، التلال، الوهادُ،
القرى، المدنُ
ثمَّ يأتي الظلامُ ويبدو القمرُ
تحت ضوءِ القمرِ
يحلم القردُ بالغابةِ النائيةِ
وأراجيحها
يتنفس ديكُ الصباحِ
وتلوح المناظرُ لامعةً
تدخل الشاحنة

غيمَةٌ من غبارٍ
يعطسُ القردُ، يمسحُ عن جفنه دمعَةً
ويواصلُ تحديقَهُ
المنظرُ تهتزُّ، الشمسُ تقفزُ فوق الأفقِ
يشعرُ القردُ بالانزعاجِ
لحظةً ويواصلُ تحديقَهُ
تتباعدُ نُصبُ الطريقِ وأرقامُها
يختفي أفقٌ، يتجلّى أفقٌ
تتوالى المناظرُ، مدهشةٌ متسارعةٌ،
تتغيّرُ ألوانُها
رحلةُ القردِ تبدو كشيءٍ من السحرِ لا ينتهي
إنه يتفحصُ ما حوله
كلُّ ما يستطيعُ
أن يُحدّقَ.
لا يعرفُ القردُ شيئاً عن المختبرِ
غرفةِ الأجهزة
والمجاهرِ والمبضعِ الدمويِّ
حيثُ تُصنعُ من مخّه الأبيضِ المستديرِ
عيناتُ التجاربِ
من فِجَواتِ القفصِ
ينظرُ القردُ، يلقي على كلِّ شيءٍ
نظرةً ساكنه.

(١٩٧٩)

من مجموعة مخطوطة بعنوان:

«محمود البريكان: مختارات من شعره»

البدوي الذي لم يرَ وجهه أحد

لعلك يوماً سمعتَ عن البدويِّ العجيبِ
الذي كتب الله أن لا يموتَ
وأن لا يرى وجهه أحدُ
(وجهه الأول المستدير البريء)
الذي غصنته المهالكُ وافترستهُ الحروبُ
وخطتُ عليه المآسي علاماتِها

نمتَ طبقاتُ الزمانِ
على جلده فهو لا يتذكرُ صورتهُ
صورةَ البدءِ
مستغرباً في مرايا المياهِ ملامحه الغامضة

أنا هو ذاكُ
أنا البدويُّ الغريبُ يجوب البوادي
ويطوي العصورَ ويعبرُ جيلاً فجيلاً
إلى آخر الأزمنة
أنا البدويُّ الذي لفظته الصحارى
الذي رفضته القصورُ

الذي أنكرته الشمسُ
الذي انطفأتْ جذواتُ النجومِ
على محجريه
أنا البدويُّ المحملُ بالأوبئه
بذكرى الجنانِ التي اندثرتْ
والبراري التي دفنتها الرياحُ
بصوتِ الينابيعِ في الأودية
ولونِ البروقِ على صخرة اللانهاية
أنا البدويُّ الذي نسختْهُ التجاربُ
واستعبدتْ روحه المعرفة
وشلّتْ يديه الأعنة،
واخترمتْ سهواتُ الجيادِ إرادتهُ
في الرحيل الطويلُ

حفظتُ أغاني الزوابعِ عبرَ الأفقِ
وكنْتُ امرأَ القيسِ في التيه،
والمتنبّي على الطرقِ النائية
وفي عزلة الروحِ كنْتُ المعرّي رهينَ السجونِ الثلاثة.
وكنْتُ دليلَ القوافلِ عبرَ المفاورِ
وكنْتُ الذي يوقد النارَ للطارقينَ
وكنْتُ أنا الضيفَ والفارسَ المتوحدَ يأتي المضاربَ
مُحتجباً بلثامِ الغموضِ
وكنْتُ أنا الزائرَ الهادئَ المنزوي في المجالسِ

سمعتُ كلامَ النبيِّ
وأمنتُ ، لكنْ رأيتُ الدماءَ التي انفجرتُ
وحروبَ السلاسلِ
والقوَّةَ العارية
تمارسُ لعبتها وتُغيِّرُ ألوانَ راياتها.
أنا الشاهدُ الأبديُّ
على الموتِ تسقط ذاكرتي في الظلامِ،
أُقيمتُ على صخرة الروح مملكتي،
وفتحتُ حدودَ المقاديرِ يوماً
فمن أين دبَّ البوارُ إليَّ؟
وفي أيِّ مرحلةٍ في الطريقِ
بدأتُ ضاللي؟
تلاشيتُ بين المقاصيرِ،
اعتصرتني المخادعُ
واستعبدتُ روحي الطيِّباتُ
إلى أنْ تفتَّتَ لحمي
نسيتُ سهيلَ جوادي
ولم يكنِ السيفُ رهنَ يدي عندما اقتحم الآخرونَ
مداخلَ حصني الأخيرِ
دخلتُ عسوراً من الخوفِ
بايعتُ في حضرةِ السيفِ والنُّطعِ
خضتُ حروبَ سواي
وما عدتُ أذكرُ مغزى حروبي!

رأيتُ كلابَ الملوكِ
تطاردني في المنامِ
رأيتُ الرجالَ
وهم يخدمون كلابَ السلاطينِ - أو يُضحكونَ
الطواشيةَ المتخمينَ
وقوفاً وراءَ الموائدِ
وكالببغاء التي هرمتُ
كنتُ أملك هذا اللسانَ
ولا أتذكر شيئاً

.....

.....

تخاطبني الريحُ
أفتحُ عينيَّ
هل كان ذلك حلمًا بعمق الزمانِ؟
وهل أحلم الآن؟
ها أنا في عالمٍ يتفجّر حولي بإيقاعه المتوحّشِ
طاحونةً بقوى الظلماتِ تدور بأسرع ممّا أفكرُ
عقولٌ وراءَ المكاتبِ تبعد هندسة الموتِ
للمدن اللاهية
صواريخُ منصوبةٌ باتجاه النجومِ
جيوشٌ تخوض حروباً خفيةً.
أيقهر هذا الدوارُ؟ سأجمع أجزاءً روحي
وأبحث ثانيةً عن مكاني وإسمي ومسقط رأسي

وما ترك الدهرُ لي من سلالة أهلي
عسى أن يتمَّ التعرفُ يوماً
أحسُّ وراء صلابة جلدي
وراء قناعي القديم
وراء بُرود عظامي
أحسُّ اختلاجةً روحٍ خفيٍّ
بصيصِ براءة
وبُقيا من القوة الغاربه
ونازعةً تشبهُ البعثَ
هذا الرميمُ
متى يتحرَّكُ؟
هذي العروقُ
متى تتدفَّقُ بالدم؟
هذي اليدُ الذابله
متى تتحرَّر من موتها؟
متى يا إلهي؟
متى؟

(١٩٨٧)

من مجموعة مخطوطة بعنوان:
«محمود البريكان: مختارات من شعره»

يوسف الصائغ

الساعة التي تدق دقات كثيرة

دَقَّتِ السَّاعَةُ قَلْبَ اللَّيْلِ صَمْتًا يَا خُطَايَا!
احذري أن يوقظَ الوقْعُ الخفيرُ
فسأمضي، لم تحنْ بعدُ وفاتي
هارباً أحملُ في كَفِّي حياتي،
فاحذري أن يوقظَ الوقْعُ الخفيرُ.

شارعُ البلدةِ خالٍ، عبرتهُ القافلهُ،
والمصابيحُ تمجُّ السلَّ أضواءً عجافاً ناحلهُ،
وصفيرُ باردِ النبرة: قد راح القطارُ
تاركاً في البئرِ حاناً.. وسُكاري
قطعوا العمرَ انتظاراً
يسألون الليلَ هل يأتي النهارُ؟
ويردُّ الصوتُ في البئرِ صدى،
ويدقُّ الليلُ عَظْمِيَّه: «تمام الواحد»!

- يوسف نعوم الصايغ.

- ولد في مدينة «الموصل» عام ١٩٣٣ .

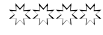
- حصل على درجة الماجستير في الأدب الحديث .

- عمل في التدريس وفي الصحافة .

- له عدة دواوين شعرية منها: «اعترافات مالك بن الريب» ١٩٧٣، «سيدة التفاحات الأربع» ١٩٧٦، «المعلم» ١٩٨٥.



كان في الشارع أسمالٌ وليلٌ وصبايا
كان فيه كلُّ ما يطلبه التاجرُ: خمرٌ وخطايا،
عُلبٌ مصبوغة الخدين،
هياً، سوف أمضي!
من هنا دربي لإخواني، لأرضي؛
إنني أنفض أسمالي على باب المدينة،
إنني أمضي حزينا؛
فأنا، يا ليلُ لا أحيا طويلا
في سوارٍ من حديد.



كنتُ في داري وفي أهلي ولكن
دونَ أهلٍ دون دارٍ
جائعا أبتاع أرزاقى بعاري.
كنتُ دلواً فاغراً للهفة في البئر الكبيره،
خادماً في حانة الكهف، وفي مقبرتي كنتُ خفيرا
كنتُ شيئاً تافهاً، يا ليلُ:
أسمالاً حقيره!
كنتُ في أهلي وداري
دونَ أهلٍ دون دار!



من هنا دربي، ففي الميناء ما زالت سفينه
ليس غير البحر يُؤوي الهاربينا
أقلعي بي لبلادٍ نائية
إن قلب الليلِ دقَّ «الثانيه»!



أيها الدربُ التفتْ آخرَ مرّةٍ
هذه ضيعتُنا، والتلّ والنخلُ الجميلُ،
لم تزرها الشمسُ مذُ ودّعها ذاك الأصيلُ،
لم أذق منها حياتي طعمَ تمره؛
فتلكنْ آخرَ مرّةٍ
ثم نمضي،
يحسبُ الليلُ خطانا، ويدقُّ «الثالثة»!



لم تنم ضيعتُنا السمرَاءُ ، شدّوا مقلتيها
بجذوع الجسرِ، كم جسرٍ أقاموه عليها
أيها الجسرُ الذي امتدَّ صليبا
أنتَ لم تحمل حبيبا،
أنتَ لا تُفضي إلى شباكّه عند المسا
هيئاً تمضي ولكن كيف تمضي؟
يا طريقي...
حدِّ عن الجسر الحديدي...
أنا لا أعبر من فوق القيودِ
إنما نمضي معاً
ووشيكاً سيشدّ الليلُ قيدَ «الرابعة»



يا بوادي
يا قفارَ الضيعةِ الخضراءِ، هل هذي بلادي؟
أين قومي وخيامي؟
أين يأوي الضيفُ في قلب الظلام؟

أَيْن يُسْقَى الْمَاءَ ظَامِي؟
فِيرَدُّ اللَّيْلُ أَصْدَاءَ الْقَفَارِ الْيَابِسِ
هَازِئاً يَعلنُ مَوْتَ «الخامسة».



وَمَضَى الْحَوْذِيُّ، يَا حَوْذِيُّ قُلْ لِي أَيْنَ تَمْضِي؟
هَذِهِ الدَّرَبُ الَّتِي تَسْلُكُهَا أَيَّانَ تُقْضِي؟
إِنْ أَصْحَابِي عَلَى ذَاكَ الرَّحَى،
الرَّحَى؟

هَلْ هُمْ الْعَمَالُ؟ دُورِي يَا رَحَى!
اسْحَقِي الْغَلَّةَ وَالتَّمَرَ، اصْنَعِيهَا أُسْلِحَهُ،
وَاصْنَعِيهِ ذَلِكَ الْمَسْخَ الَّذِي شَدَّ السَّبَايَا
تَاجِرَ الْعَاهَاتِ بِيَّاعَ الْمَنَايَا..
هَيْه، يَا عَمَّالُ، دُورِي يَا رَحَى!



إِنْ دَرَبِي صَاعِدٌ لِلشَّمْسِ، لِلْعَرَسِ الْكَبِيرِ
تَارِكاً ضَيَعَتَنَا السُّودَاءَ فِي قَعْرِ الْمَسَا
تَسْحَبُ النَّاعُورَ أَرْمَاقاً جِيَاعاً بَائِسَةً.
سَوْفَ أَمْضِي حَامِلاً بِذُرِّي وَفَاسِي
فَلَقَدْ سَوَّرْتُ أَرْضِي، وَلَقَدْ أَنْمَيْتُ غَرْسِي،
وَعَدّاً أَحْصَدَ أَحْلَاماً كَبِيرَةً
وَيَدِقُّ الصَّبِيحُ دَقَّاتِ كَثِيرَةٍ!

(١٩٥٧)

من ديوان: «قصائد»



اعترافات مالك بن الريب

تَرْجَلُ
فَإِنْ الْقَطَا نَأَمُ
وَالْقَوَافِلُ مُتَعَبَةٌ
هُوَ النَّازِحُونَ لَطُولِ السُّرَى
سَوَى فَارِسٍ، مَا يَنَامُ.
وَحِيداً..
يُمْنِيهِ هَذَا الدَّجَى بِسُهَيْلٍ
تَرَابٌ...
(سُهَيْلٌ) انْطَفَأ..
وَاسْتَرَاخَتْ عَلَى حُلْمٍ صَهْوَةٌ،
وَخِيَامٌ،
وَسَاوَسَهَا الرَّمْلُ بَيْنَ جَفُونِكَ،
تَعْمَى عَلَيْكَ عَيُونُ الْيَتَامَى..
تُشَيِّحُ الْعَوَاصِمُ حِينَ تَمَرُّ،
وَأَتَرَكَ وَحْدِي..
(فِيَا صَاحِبِي رَحْلِي
دَنَا الْمَوْتُ... فَانْزِلَا..)^(١)
فِي جَبَلِ الزَّيْتُونِ،
حَيْثُ يُوقِظُ الْمَوْتَى ضِيَاءُ الْبَدْرِ..
تَكُونُ بِنْدَقِيَّتِي،

(١) الأبيات التي وضعت بين قوسين كبيرين هي من قصيدة مالك بن الريب المشهورة.

مثلي أمام العصر،
فارغة..
إلا من الرصاصة الأخيرة..
سأكون بها ملكاً،
وأشتم الموت شميم امرأة حبلى بالولد البكر،
يكون العنب المغسول وحامي،
وتكونين الليلة آخر دقائق الساعة في زمني المحروم...
إني.. للفرسان نبذت زبيباً،
وعصرتُ،
فخضبني الدن إلى ترقوتي..
أرأيت إلى سنوات العشق،
وندمك النسيان؟
خذياني الآن إذن،
مغترباً،
غربة يوسف في الجب،
وفي السجن،
وإذ تدعوه امرأة في قصر الحاكم،
لكن...
يا يوسف أعرض عن هذا...
ها أنذا أعرض..
صار السيف رغي في...
والمقتل بين الكرم ومعصرتي،
بين الظل وبين الشمس...
أتيت أقبل أقدامك سيدتي...
سأقبل آثار الخمر على رأسك

فماذا تشترطين؟

دمي؟...

أحبّانا من المنذور؟

فليحمل شموعاً من مدينته

وملء العين زيتاً من خوابي العرس

وسيفين بلا غمد،

وشالاً لعروس القدس...

.....

مباركة في النساء الصبيّة،

راحت تُؤدّي العشا لأبيها،

وجازت حدود الخيام،

ولاح الغضا...

ومشت رعدة في الرمال قبيل المسا...

سمعنا غناء الصبيّة:

«هبت هبوب شمال ما تدقيني...

ناراً بكفان قتلانا شعلناها..

إني رأيت حدود القدس تُدنيني

فلتنظرا إن نكن رجماً بلغناها...»

بلى....

بلغ الركب رابية،

فانزلا عند خوفي.

أقيما على «مالك» ليلة..

فإني رأيت غراباً على منكبي فرسي،

رأيت دماً..

فعلام اضطربت وفز القطا في دمائي؟

أَبْعَدَ الَّذِي كَانَ،
يُوحَشْ كَالذُّئْبِ وَجْهِي؟
وَأُفْرَدَ مُغْتَرِباً بَيْنَ أَهْلِي؟
سَلاماً إِذْ نَ أَيْهَا الْفَارِسُ الْعَرَبِيُّ،
لَقَدْ أَنْبَتُوا حَسَكاً فِي قَرَابَةِ رَوْحِكَ،
وَاحْتَفَرُوا مَوْضِعاً لِلشُّكُوكِ،
فَبَيْنَ جَنَاحِي غُرَابٍ،
حُدُودُكَ يَا بَلَدِي
وَحُدُودُ الْخِيَامِ..
هَنا يَبْتَدِي جَسَدِي
أَيْهَا النَّاازِحُونَ.. حُدُودُكُمْ اقْتَسَمْتَنِي..
تَعالُوا انظُرُوا:
أَيُّ جَنْبٍ يَعْزُ عَلَى مالِكٍ حِينَ تَدْنُو المَنِيَّةُ؟
تَعَنَّ المَنَازِلُ..
عَنَّتْ كُرومُ أُبَيْكُمْ..
ثَمَارُ بَسَاتِينِكُمْ أَطْعَمْتَنِي النَّدَامَةَ...
رَأَيْتُ الَّتِي لَا أَقُولُ اسْمَها فِي (السَّمِينَةِ) تَبْكِي..
سَمِعْتُ ابْنَتِي تَتَنَبَّأُ:
«خُذْ خِيمةً يَا أباي،
فَبِلادُ المَهاجرِ مَلْعُونَةٌ،
وَالطَّرِيقُ إِلَى القُدسِ، جَدُّ طَوِيلٌ...»
(لَقَدْ كانَ فِي وادِي الغُضا لَو دَنا الغُضا... مَزارٌ
وَلَكِنَّ الغُضا..)
أُحَسَّ أَنَّنِي،
وَالقُدسُ،
فِي كَنِيسَةٍ مَهِجُورَةٍ،

فلا حبٌ... ولا عبادة...
كأنما العذراء، لم تلدْ بها المسيحَ ذات ليلةٍ.
أو أنها،
من بعد ما استوى نبياً..
أنكرتْ ميلادَهُ..
(فليت الغضا والأثل لم ينبتا معاً
فإن الغضا والأثل قد قتلتانِ)
ثم اغتسلت..
غسلوا الياقوتَ على جبلٍ،
والتمع الموتُ سواراً.
يا سيدي..
ماذا تشترطين على العشاق؟
إن تعدي،
يُنبتُ جسدي أثلاً
وغضاً..
تنبضُ في رحم الأرضِ خبايانا:
خبأنا الحجلَ تحت الرملِ،
قلنا يورق الزيتون..
تعالوا أيها الأحبابُ
عندي قمرٌ مدفونٌ...
يرافقني في المنافي..
يبارك لي قلقي واعترافي،
رهنتُ له فرسي وعقلي،
وساومتُ بين الهدى والضلالِ
وقالوا: تَرَجَّلْ
تَرَجَّلْتُ..

كان القطا نائماً،
والندى فوق سيفي.
مسحتُ الندى بثيابي،
عبرتُ إلى جسدي..
ورأيتُ منازلكم
أيما وحشةٍ يا ترابَ بلادي أقاتلُ؟
إن يديّ تحاربني
قتلونني ثلاثاً..
ولكنني لم أمتُ
إن «مالك» يشترط الكبرياءَ
اشترطتُ أموت بلا ندم..
كنتُ أعلمُ
أن المنية ليست مزارَ المهاجرِ
أو منزلاً للغريب..
فلا تبتغوني لكم بطلاً..
إنني رجلٌ.
حرّضته الرمالُ على نفسه..
فهو يسألكم..
من يطيق الإجابة في مدن الاحتلال؟
يجيب القطا..
والحجولُ التي صدئت في دمي تشرئب..
أنا.. يا بني مالك،
مُسَلِّمٌ للعراءِ
أدافع عن جسدي لدغة،
إن تُمتنني...

يَمُتُ بِالْمَجَّانِ فَوَارِسُكُمْ
وَيَذَلُّ الْغَضَا..
(أَقُولُ لِأَصْحَابِي ارْفَعُونِي.. فَإِنَّنِي..)
أَكُونُ فِي مُخِيْمِ الْحُسَيْنِ حِينَذَاكَ،
طِفْلاً بَيْنَكُمْ..
يُذْبَحُ مَرَّتَيْنِ
وَعِنْدَمَا يُطْلَبُ مِنْهُ أَنْ يَمُوتَ مَرَّةً أُخْرَى
يَرْفَعُ إصْبَعَهُ..
.....
.....

فَلَمَّا كُنْتَ تَطْيِيقِينَ الْمَوْتَ مَعِي،
فَاحْتَلَبِي لِلْمَوْتِ نِيَاقَ أَبِيكَ،
وَشَدَّيْ الرَّدْنَيْنِ، عَلَى الرُّنْدَيْنِ....
فَهَذَا أَتِ...
لَمْ أَطْوِ جَنَاحاً عَنْكَ.
وَمَرُّ ثَمَرِي.. وَصَلِيبِي..
كَالْكِرْمَةِ تَتَكَثَّرُ عَلَيَّ كَتَفِي..
وَتَكُونِينَ قَرَابَ السَّيْفِ عَلَى حَقْوِي..
أَشْمُ امْرَأَةً فِيكَ تَرَاوِدُنِي..
وَحَبِيباً..
هُوَ الْأَسْمَرُ مِثْلَ الْقَمْحِ
وَالْمَرْهَفُ كَالسَّيْفِ...
يَمُرُّ بِنَا حَذِراً
فَلَا يُبْدِي.. وَلَا يَخْفِي..
.....
.....

تعبتُ
وجرّبتني في انتمائي القطا
وجعني مبهمٌ..
مثلُ حبلِ الجنينِ.
أنا مرهقٌ..
بين رفضي لكم..
وحنيني ... إليكم..
لهذا أموتُ..
يبيع القطا من قواده..
تحتويني الرمالُ النظيفة تحت سماء الصحارى..
تمددتُ في الوطن العربي..
أهال على جسدي خيمةً
ورأيتُ بلادي تتخترُ فوق جراح الضحايا..
أنا الخيمةُ الألف..
يوحش وجهي أمام المرائينَ
أصدقُ..
أكذبُ..
أصدقُ..
أكذبُ..
مثلَ وجيبِ الهزيمةِ،
بين الهدى والضلالِ،
التبستُ..
تشابهَ في مقتلٍ بينكم،
أنني ابتعتُ
أو بعتُ....

يا صاحبِي فرسي...
إن يأسَ الفوارسِ جدُّ مُريبٍ
ويأساً كيأسي،
يطيق النبوءةَ والقتل والكذب...
فلتحذراني...
خُذاني إلى حاكمٍ
وليكنْ منكما شاهدان على «مالك»
إن «مالك» يشترط الكبرياءَ
اشترطتُ بلا ندمٍ أنطفي..
فكأني إذا عدتُ، أسلك نفسَ الطريقِ
(فليت الغضا لم يقطع الركبَ عرضةً...)
لقد نذفتُ كلَّ ما في الروح من مياه
وكنْتُ أشتهي جدارَةَ النهرِ على مجراه
لكنما
ظلَّ السؤالُ الصعبُ
إن كان هذا السيلُ لا يحفرني في الدربِ
من يقتضيني العودَ للمنبعِ،
والرجوعَ للمصبِ؟
.....
شفةً أخرى غيرَ الموتِ
تقاضيتُ حبيبي...
والنسغُ تشهاني...
كنتُ ذبولَ الخارجِ من صبوته الأولى،
تتشاقى في النزوات..
وما من سيفٍ

هذا زمنُ العنبِ الأسودِ
والغدَّاراتِ السودِ..
فاجتمعوا...
ملَّحْنَا الزادَ لكم...
وسكبنا الماءَ على أعتابِ البابِ،
غداةَ خرجتُمْ..
زمنُ الفرسانِ سُرُوجهمو الذهبِ...
وعيونُ الفارسِ،
خمرُ القدسِ.
ونزهتهُ التعبُ...
تأتيه النخوةُ بين نواجذهِ،
فيُجنُّ.
- حبيبَ القلبِ... تعالَ، ولا تأتِ
زيئًا من أجلك أبوابَ البيتِ
لكنَّا لم نترك خلف نوافذهِ
غيرَ الوحشةِ والموتِ...
.....
.....
أجيءُ....
تزوَّدتُ كاللصِّ،
سيفًا،
وخبزًا،
وجرة ماءٍ...
تدبَّرتُ ذاكرةً للمسافرِ،
بين الغضا والخيامِ....
تكون الرمالُ قناعي،

وتذهل عني عيونُ المراقبين،
عادوا،
جلاجلهم شبهةٌ في نعاسِ الشهود...
وإِذْكَ يَغْدُو الغضا بين رَوْحِي
وبين خنادقهم
مُهْرَةً،
ويسيل الصهيلُ
على راحتي رُبْدًا...
تشربون؟
أبيع الصهيل...
أُفاوض في التُّكُنات...
أشَمُّ بِنادقكم..
وأمدُّ لكم من لِجامي طريقاً:
(خُداني فجرّاني ببرّدي إليكما
فقد كنتُ قبلَ اليوم صعباً قيادياً
وقد كنتُ عطافاً إذا الخيلُ أدبرتُ
وقد كنتُ....)
في دمي ظمأٌ للماء...
أيها الرجالُ في مخيمِ الوَحَداتِ والحسين...
أريد أن أسكنَ في خيامكم
وأن أكونَ مؤمناً..
يُلدغ مرّتين....
.....
الموتُ
وسادةٌ حَبِي...
أشتاقُ...

ولكني ما زلتُ أكابرُ،
رَيفني زمنُ الهجرة،
والعنبِ الأسودُ.
سأعلّق عند البابِ الندمَ القرويَّ
وأُسفرُ
أُسفرُ
أُسْ.....
.....سُفِرُ..... مساً المسا..
كم قتيلٍ له ندمي يا صحابي!
كم قتيلٍ له صدقُ قلبي إذا أقبلَ الموتُ.
فلتسألوا رجلاً:
حرّضته البراءة..
أن يتمرّد في ساعة الدفنِ
يا زعماء القبائل..
لا تقتلوا الشهداء..
.....
أموت إذن؟
والقطا كُحلّه ندمي؟
والغضا بردتُ راحتاه على راحتياً..
وأنتم...
تجيئون باسم الحضارة،
تقترحون على (مالك)
أن يكون شهيداً...
وتعمى عليك عيونُ الينامي...
تدقّ على جسدي ساعة في الميادين،
أسمع صوتَ مذيع يسير وراء الجنازة،

تأخذني سَوْرَةٌ من رثاءٍ لنفسي فأبكي...
(تذكرتُ من يبكي عليّ... فلم أجد سوى السيفِ..)
كان الغضا صوبَ رأسي غداةً خرجتم.
وكنتم شمالَ يدي لغَةً لليتامى:
(يقولون لا تبعُدْ... وهم يدفنوني)
خجلتُ لكم يا قساةَ القلوبِ..
خجلتُ لطيبة قلبي
لأن الغضا لم يَماشِ الركابَ إلى ساعة الموتِ..
كان الغضا حُلماً وأفقتُ،
رأيتُ احتضاري على أذنيّ ناقتي،
وسمعتُ حُداءَ قوافلكم يزدريني
(فلا تحسداني باركَ اللهُ فيكما)
خذاني إلى الكاتبِ العدلِ...
ولتشهدا
أنَّ مالِك...
يعترف الآنَ بينَ يديّ عصره:
اعترفوا
اعترفوا
اعترفوا
أيها الحاملون عذاباتكم...
إنني وطنُ المتعبين الذين،
يُحسّون وحشةَ هذا الزمانِ!

(١٩٧١)

من ديوان: «قصائد»

المعلم

هي سبورة،
عرضها العمر،
تمتدّ دوني..
وصفٌ، صغيرٌ،
بمدرسةٍ عند «باب المعظم»..
والوقت..
بين الصباح،
وبين الضحى..
لكأنّ المعلم،
يأتي إلى الصفّ،
مُحمّياً، خلف نظّارتيه،
ويكتب فوق طفولتنا بالطباشير،
بيتاً من الشعر:
- من يقرأ البيت؟
قلتُ:
- أنا....
واعترنني، من الزهو،
في نبرتي رعدةٌ
ونَهْضَةٌ..
- على مهلٍ
قال لي...

- تَهَجَّأَ عَلَى مَهْلٍ..

إِنهَا كَلِمَةٌ..

لَيْسَ يُخْطِئُهَا الْقَلْبُ،

يَا وَلَدِي..

فَفَتَحْتُ فَمِي..

وَتَنَفَّسْتُ..

ثُمَّ تَهَجَّأْتُهَا، دَفْعَةً وَاحِدَةً..

- وَطَنِي..

وَأَجَابَ الصَّدَى:

«وَطَنِي... وَطَنِي...»

فَمَنْ أَيْنَ تَأْتِي الْقَصِيدَةُ..

وَالْوِزْنَ مُخْتَلَفٌ..

وَالزَّمَانُ قَدِيمٌ..

كَانَ صَوْتُ الْمَعْلَمِ، يَسْبِقُنَا:

- وَطَنِي لَوْ شَغِلْتُ..

وَنَحْنُ نَرُدُّ:

- بِالْخُلْدِ عَنْهُ..

فِيُصْغِي إِلَيْنَا..

وَيَمْسَحُ دَمْعَتَهُ، بَارْتَبَاكَ،

فَنَضْحَكُ..

اللَّهُ...

يَبْكِي... وَنَضْحَكُ..

حَتَّى يَضِيقَ بِنَا... فِيهِمْسُ:

- مَا بِالْكُمْ تَضْحَكُونَ...

أَيُّهَا الْأَشْقِيَاءُ الصِّغَارُ..

سَيَأْتِي زَمَانٌ..

وأشغل عنه...
وأنتم ستبكون..
وزنان مختلفان...
وقلب،
تقاسمه جدولان
جدول الضرب.. والحب،
مات المعلم،
منذ سنين،
وسرت وراء جنازته...
وكان معي،
(وطن لو شغلت)
وكان يراقبني الناس،
(بالخلد عنه...)
ومرت سنون..
ولم يبق في الصف،
غير الغلام الذي كنته،
بين عشرين، في الأول المتوسط....
قال المعلم،
- من يقرأ البيت؟
قلت:
- أنا اقرأ البيت، يا سيدي
ونهضت..
ولكنني،
لفرط المحبة،
أخطأت في النحو..
فاسود لون الطباشير،

واحمرَّ وجهُ المعلم،
وامتلاَّت وجنتاي،
بحبِّ الشباب..
المحبَّة دَيْنٌ..
فيا سيدي..
أعطنا ندماً،
بقَدْر محبَّتنا..
وخذْ قلمَ الفحم،
وارسمْ لنا شاربين،
ورزِّرْ رجولتنا...
وقُدنا معاً،
لمظاهرةٍ، عند بابِ المعظَّم
نحملُ وراءك سبورةً من قماشٍ قديمٍ،
وبيتاً من الشعرِ،
لا يخطئ القلبُ فيه..
.....
خرجنا من الصفِّ..
كانت براءتُنا،
مخبَّأةً في كتابِ الحسابِ،
وحين وصلنا إلى البابِ...
راح المعلمُ يسبقنا،
أشعثَ الشعرِ والروح..
يلهث من غيرَةٍ،
ونحنُ،
وراء لهاته...
نبكي... ونضحك...

مختلطين،
بصوتِ الهاتفات والطلاقات...
فمن أين تأتي القصيدة،
والمخبرون،
يسدون، كل الشوارع؟..
أوقفني عند «عقد النصاري» المحقق....
كنت أقول له:
- وطني...
فيشتمني...
فاصرخُ:
- بالخلد عنه..
ويضربني
فاهتفُ:
- بالسجن..
صاحُ:
- خذوه الى السجن..
فاقتادني المخبرون..
وعن كُتُب،
كان شعرُ المعلم،
يبيضُ من ألم...
وصوتُ التلاميذ،
يشحبُ،
بين الصباح...
وبين الضحى....
.....
خرجتُ من السجن...

كنتُ مُتَّسَخاً..
مثلَ سَبَّوْرَةٍ،
كتبَ السَّجْنَاءُ عَلَيْهَا
شَتَائِمَهُمْ....
كنتُ مَمْتَلِئاً بالعناوينِ،
أحملُ تاريخَ كلِّ المساجينِ،
في بيتِ شعريِ
سَيَبْقَى يَلاحِقُنِي..
(وَطَنِي لَوْ شَغَلْتُ بِالْخُلْدِ عَنْهُ
نَازَعْتُنِي إِلَيْهِ.....)
عِراقِيَّةٌ
تُتَقَنُ المَوْتَ وَالْحَبَّ...
وَزَنانِ مُخْتَلِفانِ..
وَعَيْنانِ واسِعَتانِ..
وَحِجْلٌ ثَقِيلٌ..
وَكُحْلٌ...
وَأَسْئَلُهُ...
وَفَضُولٌ..
نَهِبْنَا إِلَى الكاتِبِ العَدْلِ،
وَالكَاتِبِ العَدْلِ،
أَرْسَلَ أَوْرَاقَنَا لِلْمَحْقَقِ،
قالَ المَحْقَقُ،
وَهُوَ يَحْدَقُ،
ما بَيْنَ عَيْنِي:
- وَالْآنَ..
مَنْ يَقْرَأُ البَيْتَ؟

صاحتُ:
- أنا اقرأ البيت...
والتمعتُ،
مثلَ ياقوتةٍ،
تحت شمسِ ضراوتها..
وخُيِّلَ لي،
أنَّ هذا المحقِّقَ،
يمضي بها، إلى غرفةٍ،
على شارعِ النهرِ،
وهي تقولُ له:
- وطني...
فيشتمها....
فتصرخ غاضبةً:
- لو شُغِلْتُ..
فيبصق في وجهها..
فتهتفُ:
- بالخلد عنه..
فيضربها...
فتصيحُ،
وقد أوجعَتْها كرامتُها:
- نازعْتُني إليه..
في الموتِ...
.....
كانت عراقيةً....
وكانتُ،
إذا أقبلَ الحبُّ،

أو أقبل الموتُ،
ينتابها شَعَفُ،
مثل قَدَيْسَةٍ...
فتطفئ شمعَتَهَا.. وتموتُ...
.....

سكوتٌ...
لم يعد ثَمَّ،
من يتجرأ.. أن يتهجأ بيتاً من الشعر،
أو يتذكر،
في السرِّ،
عنوانَ بيتِ حبيبته...
.....

فالمعلم مات...
ولم يبقَ،
غيرُ غبارِ الطباشيرِ،
والكلمات...
.....

فكيف، تتم القصيدة؟
إني لفرط المحبة، والحزنِ،
أخطأت في الوزنِ،
فانقطع البثُّ.....
.....

..... ثم ابتدا البثُّ.....

قال المذيعُ:
- إذاعةُ بغدادَ
طبتم صباحاً
فطبنا... وطاب الصباحُ
وأحسستُ،
أن شذئ،

يتصاعد من رحم الأرض..
فيه مزاجٌ من الماء والطين،
والقمح، قبل اختمار العجين...
وخُيِّل لي،
أنها شاشةٌ، عَرَضُها العمرُ،
تمتدُّ دوني....
لكأني بذاك المعلم،
يظهر، مُتَقَدِّماً بالحنين...
ويقرأ للناس، بيتاً من الشعر...
قال المعلمُ:
- من يحرس البيتَ؟
قلتُ له:
- أنتَ من يحرس البيتَ يا سيدي..
واعترثني من الزهو،
في نبرتي رعدةً..
فأفقت..
رأيتُ شموعاً،
بباب المعظم مُوقدةً،
وهالاً يسير على الماء،
يتبعه موكبان،
من الحبِّ والكبرياء...
فأين ختامُ القصيدة؟
إن المعلمَ يسبقنا..
ونحن وراءَ المعلم،
نلهثُ....
كنتُ أقول له:
- وطني...

فيعانقني...
وأهمسُ مضطرباً:
- لو شُغلتُ.....
فيسألني:
- بماذا شُغلتُ....
ويؤمّي، إلى موكب الشهداء...
لكَ اللهُ يا سيّدي...
لكَ اللهُ يا سيّد الشعراء...
أنا... غيرتي نازعتني...
وعيرني، لحظة الشعرِ صمتي...
(رأيتُ المواكبَ تزحف دوني..
صرختُ خذوني..
فلم يسمع الركبُ،
صوتي....
تعرّق للحرب قلبي
كما الأمّ عند المخاضِ،
وقد سجر الناسُ للخبزِ،
قلتُ:
- العوافي لكم
كلّ ما تسجرونَ
وصبّوا على النار زيتي....)
أنا رجلُ
ما يزال يُجربُ،
أن يمزجَ، الماءَ بالزيتِ
والزيتَ بالدمِ
والدمَ... بالدمع..
مُلتبسٌ، أبداً

بين وجهين،
وجه بريء... ووجه مُرائي..
ذهبتُ إلى الكاتب العدل،
والكاتب العدل،
أرسلني للمحقق..

قلتُ له:

– ما ترى؟

إنه آخر العمر،

ما عاد متّسع،

لأتمّ القصيدة..

خُذني إلى الحرب،

يا سيّدي...

لعلّي هنالك،

أختمها بدمائي...

(١٩٨٥)

من ديوان: «المعلم»

رشدي العامل

العودة من الغابة

تراوغني،
تراوغ عيني المبتلة العريانة الأخرى
تلوب أسي،
وعين مرقّت أهدابها ريح على شطانها نعرى
تراوغني،
ألم يك بيننا نهر صغير تعبر الآهات
على ضفتيه،
قافلة تخبي عنده سرا
وقافلة على صحرائه اليسرى
بعيداً عنك،
في أهدابي الغابات
ويخطو فارس في الثلج،
يخفي ظلّه في غابة النخل
وبين الشوك،
والصبار، والرمل

- رشدي أحمد جواد العامل.

- ولد في مدينة «حديثة» عام ١٩٣٤، وتوفي عام ١٩٩٠.

- من دواوينه: «همسات عشقوت» ١٩٥١، «أغان بلا دموع» ١٩٥٦، «عيون بغداد والمطر» ١٩٦١، «للكلمات أبواب

وحيداً سرتُ فوق الماءِ،
أخطو دونما ظلٍّ.



دعيني ألمس الكَفَيْنُ
دعي كَفِّي،
في البِيدِ
دعيني أَسْلُبُ العنبرُ
ولا...

لا تسألي، من أين؟
أنا البحَّارُ،

لا وطنُ

ولا أرضُ

ولا بيتُ

ولا تأريخُ يعرفني،

سوى ما يمنحُ الصمتُ

أنا شرخٌ على المرأةِ،

جاء جزيرة المرمُ

وطفلٌ متعبُ الخُطواتِ،

ما بين الدُمى يعثرُ.



هَبيني صوتكِ المبتلُّ بالأحزانُ

هَبيني الصمتُ والنسيانُ

هَبيني مرَّةً،

أشياءكِ الأكثرُ

ولا...

لا تسألي أكثرُ

ففي قلبي يعيشُ الخوفُ
في وجهي يلوحُ الخوفُ،
في عيني ينامُ السجْنُ والسجَّانُ.



لَقِينُكَ،

ها أنا وحدي
وأنت نقيَّةُ كالماءِ
وأنت غريبةٌ،
كالظلِّ في الصحراءِ،
وأنت شهيدةٌ،
كالخبزِ في الأيدي...
وراح الحُلمُ
راح الحلمُ،
أغفتُ رقصةَ الأشجارِ
ونام الليلُ والقيثارُ
وظلَّ السرُّ، مصلوباً على الأوتارِ.



وأصحو فيكَ يا وطني
وأنتَ جزيرتي الصغرى
توسدُ ظلُّها سُفني
وأنتَ وسادتي الصغرى
مُطرزةٌ،
على كفني.

(١٩٧٠)

من ديوان: «هجرة الألوان»



عزف على وتر مقطوع

هل تعرف الوسادة الزرقاء سرَّ الأرق؟

هل تعرف «الأقلام» سرَّ الورق؟

هل تدرك السماء

لونَ الشفق؟



لأنِّي مع الشمس أوقظ عيني

لعلِّي أرى عينك الساهرة

لعل ذراعيك...

هل كان زندك يحتضن الشفة الفاتره؟



في الممرات كل المسافات تبكي

في الحديقة،

تسأل عنك الشجيرات،

يسأل عن ظلك العشب،

هذا أو أن الخريف

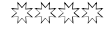
والنوافذ تغلق، في غرفتي، وجهها والسريّر.



عندما الأحزان لا تذبل لا يفتح شباك عزاء.



هبيني فقدتُ البكاءُ
فكيف خلعتُ مع الآخرين رداءَ الحياءِ؟



كنتِ معي في مثلِ هذا اليوم من أيارُ
كنتِ معي، تضحك جذلي، لو رأَتْ أهدابك، الأزهارُ
كنتِ تموتين من الحبِّ
وكانت تضحك الأشجارُ

واليوم، هذا اليوم من أيارُ
وحدي مع الشمعة والأشعار.



عندما أحزنُ، أو أضحكُ لا أذكر إلا القُبَلاتُ
كلُّ ما مرَّ على حُبِّك مات.



ماذا تنتظرين الآن؟
عودة نيسان؟
فات زمانُ الحبِّ، وهذا زمنُ النسيان.



كان حبي الذي تعرفينُ
كان حبي الذي تجهلينُ
كان حبي الوحيدُ
الصبيُّ الوليدُ
في ذراعي حضنتُ الوريدُ
أين كنّا إذن؟ كذبة في متاهِ السنين؟



ستكونين لغيري

أدري أنّ امرأةً لا تحملُ حزنَ العالمِ
لا تعرفُ طعمَ الحبِّ.



أواه لو أقوى على البكاء

أواه لو أعرف أسرارَ خيانةِ النساءِ.



هل يحجبُ عنكِ جدارُ الرجلِ الثاني

نافذةُ الأمسِ المفتوحة؟



هل تكتبُ الليلةَ للذكرى؟

هل تعرفُ الحبَّ الذي ما عاد حرفاً

مرةً أخرى؟



تقولين: أطفالنا الحالمون منك ومني

ألا يعرف الكذبُ لونَ الخجلِ؟



من أجل نقودِ التاجرِ

طعنتُ امرأةً قلبَ الشاعرِ.



وكيف قطعنا المسافة؟

هل كان للحبِّ طعمُ الجراحِ؟

وهل أثلجَ الدفءُ في الليلِ بردُ الصباحِ

وهل قلتُ ما لا يباحُ
وهل كنتُ قُربكِ حتى ارتوينا
وحتى انتهى الوهمُ ما بيننا،
وانتهى الكُذِبُ حين انتهينا
وهل لاءمتُ شفّتيها الجراحُ؟



تعودين لي في الصباحُ
تعودين لي في الظهيرةُ
تعودين؟
هل أسمعُ الصوتَ يُذكي عبيرَه
ويمنحُ مائدةَ البيتِ خبزاً وملحاً وماءً؟



أصافحه لو رأيتهُ
أقول له ما عرفتهُ
عن امرأةٍ تركتُ زوجها في العراءِ
وأطفالها،
في سريرِ البكاءِ.



عندما الشاعرُ يهرمُ
تتناساهُ ورودُ الصبحِ
والجدولُ
والوجهُ المنعمُ
غيرَ أنَّ الوردَ قد يذبلُ،

والجدول قد ينضب
والوجه يهدم

وتظل الكلمات.



حزينة أنت: حزين وجهك النائي
وحيدة، زهرة صيفٍ دونما ماءٍ
بعيدة أنت..

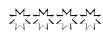
لك الصوت: ولي واحدة صحرائي.



مجنون من يحسب أن امرأة تعشقه وحده.



ما أسرع ما يذبل لونُ الوردِ على الأغصانِ
ما أسرع ما تنسى امرأة ثوبَ العرس، وتدخل غابَ النسيانِ
ما أخلج أن يقات الشاعرُ بالأحزان.



في بيتٍ ثاني
تتطلع أمٌ لوجوه الفرسانِ
تبحث عن وجهٍ للنسيان.



صغيرة أحلامك الكبيرة
جميلة ثيابك الوثيرة
لكنها رخيصة، تشبه عين امرأةٍ أجيره.



هل تذكرت طعم الوسادة والقبلة الناعسة
عندما توقظ الساعة السادسة
شفتي والخدر
في جبينك، يرسو كما يستحم القمر
في غيوم السماء.



كنت إذن تهربين
من حقل أحلامي، وكان الصوت في العينين همساً حزيناً
كنت إذن تبحثين
عن فارس ثاني
عن فارس يُنسبك أحزاني.



كل مكان لا تكونين فيه
يصبح لي منفى.



في الليلة الأولى عبرت الصباح
في الليلة الثانية
اشتقت لنبع الشفة النائيه
في الليلة الأخرى
شربت الجراح..



نقل كما شئت فإن الهوى
يبقى ويبقى دربك المستحيل.



ما أقسى أن يحلم إنسانُ بامرأةٍ تنأى عنه وتنسى

قُبُلاتِ الصبحِ،

ولونَ الفجرِ

وطعمِ الملحِ

ولا ينسى.

(١٩٧٥)

من ديوان: «هجرة الألوان»

كلمات لم تبتسم

إلى جواد سليم

(١)

فارسنا يطوف في متاهة الطرق

جواده الأذهب، لا يمسكه عنان

وكلما مرَّ به إنسان

حدَّق فيه

كلما مرَّ على بستان

يأخذ شيئاً

ضحكة

ساقية

ألوان

يترك شيئاً

زنبقاً

فراشة

أغصان

فارسنا يبحث عن إنسان

لم يكتشفه الناس، لم تذبل على أجفانه يدان

يبحث عن إنسان

لم يعرف الأحران

لم يعرف الموت ولا النسيان.

(٢)

حزينة، وادعة، طيبة

عيونه، تحت الثرى متعبه

«متى يراني الناس، في كل دارٍ
حديقةً، يخضر حتى الجدارُ
منها وتبقى بذرةً مُخصَّبه
متى يراني الناس.. قد فُتحتُ
أعينهم شمسُ النهار.. النهارُ
وقد تداعى في الأكف الستار...»

(٣)

عيونهُ الطيبه
بعيدةً، حزينهً، وحيدةً، متعبه
تناثرت في النُّثارُ
في شُرُفات ساحةٍ مُعشبه
جبهته تحت الثرى مُتربه
تنفض عنها الغبارُ
في كلِّ حقلٍ ودارٍ
حكايةً أطيّب من طيبه.

(٤)

الشَّعْرُ طريقٌ مهجورُ
غادره كلُّ الشعراءِ
غادره الضعفاءُ
الشَّعْرُ طريقٌ التعساءِ
تهتزّ الظلمة فيه وينسدل النورُ
الشَّعْرُ طريقٌ مجهدُ
يبكي، ويجوع يغازل ربّته في معبدُ
الشَّعْرُ الأسودُ
عبدٌ يكسر قيداً.. طفلٌ يتمردُ.

(٥)

لا تخاف الكلماتُ الآمنه
حطبَ التَّنُورِ، في الصيفِ، وجوعَ المطحنه
لا تبوح الكلماتُ المؤمنه
لا تُعْرِى سرَّها للناسِ
لا تعطي يداً مُمتَهِنه
ضحكهُ خرساءَ، أو خفقه زيتِ واهنه
لا تخاف الكلماتُ المؤمنه
إنها تجتاز حتى طرقاتِ القتلِ، إلّا المسكنه.

(٦)

تعدو في طرقِ مزدحمه
أفراسكُ، غابهُ ألوانِ
تنقل في حذرِ الثعبانِ
للورق الأبيض، بوحَ الكلمه
تحفر في الجدرانِ
وجهَ الإنسانِ
وضحكته، وفمه
تحفر حتى سأمه
حتى ثورته وهزيمة قبضته، حتى ندمه
كفكُ تُوَقِّظ في الإنسانِ ، دمه.

(٧)

تنسل في الصخر ينابيعه
فيرتوي منها فمُ البرتقالِ
تندى عروقُ الوردِ في غابنا
ويملاً الزنبقُ حُضْنَ السَّلالِ

كان إذا جئنا لشُبَّاكه
وقد تلوَّى في العيون السؤال
ألقي لنا غلاله وانثنى
يزرع غصناً مُشمِساً في الظلال
جفت على الصخر ينابيعه
فمات شيء في عروق الرجال

من ديوان: «الكلمات أبواب وأشرعة»

سعدى يوسف

مرثية

في ذكرى بدر شاكر السياب

جيكورُ نُوقِدُ في المساءِ الرطبِ فانوساً ولا تلقى ضياءه
- مات اليتيمُ وخلفَ امرأةً وأيتاماً وراءه
يا رحمةَ الله التي وسعتُ شقاءه
يا أمَّ مَنْ لا أمَّ تُغمضُ جفنه: كوني رداءه
ولتمنحي الجسدَ المعذبَ راحةً، والقلبَ قطره
ولتمسحي بالسدرِ جبهته، وبالأعشابِ صدره
هو طفلكِ المصلوبُ فوق سريرهِ عاماً فعاماً
مُتقيحَ الطعناتِ، مشلولاً، مُضاماً
يا رحمةَ الله التي وسعتُ شقاءه
قُودِي خُطاهُ إلى السماءِ، فطالما ححبوا سماءه
وترققي.. إن الجراحَ تسيلُ من قدميه، تنبتُ وردةً في إثرِ وردهِ

- سعدى يوسف شهاب.

- ولد في مدينة «البصرة» عام ١٩٣٤ .

- تخرج في دار المعلمين العالية ببغداد عام ١٩٥٤ .

- عمل مدرساً ومستشاراً إعلامياً، ويرأس حالياً تحرير مجلة «المدى».

- من دواوينه: «أغنيات ليست للآخرين» ١٩٥٥، «٥١ قصيدة» ١٩٥٩، «النجم والرماد» ١٩٦٠، «قصائد مرثية»

١٩٦٥، «بعيداً عن السماء الأولى» ١٩٧٠، «نهايات الشمال الإفريقي» ١٩٧٢، «الأخضر بن يوسف» ١٩٧٢، «تحت

جدارية فائق حسن» ١٩٧٤، «الليالي كلها» ١٩٧٦، «الساعة الأخيرة» ١٩٧٧، «من يعرف الورد» ١٩٨١، «الأعمال

فلترفعيه إلى جذور النخل حيث ينام وحده
ولتضفري من سَعَف نخلته مَحْدَه
حتى إذا ما أغمضت عيناه وانسرحت يداه
وتهدل الأبنوس فوق جبينه.. كوني رؤاه.



أيوب في المستشفيات يهيم، تسبقه عصاه
بين القرى المتهيبات خطاه والمدن الغريبه
وهو المسيح يجر في المنفى صليبه
أنهار جيکور التي اندثرت تُفجرها عصاه
وبيوتها تنشق عن لبن إذا مرّت يداه
عبر الجبين...

وأورقت في السر أغنية وأه

.....

جيکور مطفأة كأن الليل عانق ساكنيها
لا التوت في الأنهار يهبط، لا السماء تشف فيها
والنجم والأسماء ما عادت حدائق للمساء
باباً إلى وديان نجد
غيلان يصعد فيه نحوي من تراب أبي وجددي
فأرى ابتدائي في انتهائي

.....

أيوب، في جيکور، ألقى عند قنطرة عصاه
وللحظتين تماوجت في عمق عينيه المياه
والخضرة البيضاء، والصفصاف،
وانطبقت على الكنز المبدد مقلناه

يا عالم المتوحشين ذوي البنادق

حيثُ الحديثُ عن الورودِ سُدىً، وحيثُ النسلُ يُزَرعُ في الحقائقِ
ونسأوه يُجهضُنَ في المستشفياتِ، وخلفَ أَسْتارِ الفنادقِ
يا عالماً يَهَبُ الحياةَ لموتهِ
يَهَبُ المماتَ لصوتهِ
يا عالمَ المتوحِّشينَ ذوي الخزائنِ
والجامعاتِ، وجدولِ الإحصاءِ، والفرموثِ، والحرفِ المداهنِ
حيثُ الدواءُ ، دَمٌ ، يُباعُ ويُشترى، حيثُ المداخنُ
تتنفَّسُ الآلاتُ فيها
ويُحشَرُجُ الإنسانُ فيها
يا عالمَ المتوحِّشينَ ذوي الحوافِرِ
الصلِّ، واللوطيِّ ، والـ... ، واللصِّ ، والقردِ المقامرِ
حيثُ الحضارةُ أوقفتُ سنتينِ حتى ماتَ شاعرُ
.....

من يشتري جلدَ المسيح؟
إنَّا سلخناه، فيا دنيا استريحي.

يا بيتَ جدِّي في دجى جيكور،
يا نخلَ العراقِ
قبري وراءَ التلِّ يستبقُ القيامةُ
في وحشةِ المنفى الأخيرِ، وتستظلُّ به حمامةُ
والبردُ يُرجفني:
عراقٌ.. عراقٌ.. ليس سوى عراقِ
وأنا: العراقُ أو القيامةُ

(١٩٦٥)

من: «ديوان سعدي يوسف»

البحث عن خان أيوب \$ حي الميدان بدمشق

تساءلتُ حين دخلتُ المدينة عن خان أيوبَ
ما دلّني أحدٌ
فالتفتُ ببعضي، ونمتُ:
لقد كان وجهُ المدينة أزرق...
أشجارها تستطيل وتكبو، ولكنها تستطيل لتكبو...
وثالثةٌ تستطيلُ
وكانت منائرُها خزفاً مغريباً،
وبحراً مُحيطاً أزقُّها،
تتقافز منه الوجوه التي ترتدي عريها.
كان بين العراق وبينني رملُ الجزيرة،
قلتُ: انتهيتُ..
ولكنني حين فتّحتُ عيني أبصرتُ عينيكِ
إنَّ السماءَ
تظلّ - كعينيكِ - زرقاءَ
إنكِ في الشجر - الوهم، والوخز، بيتي ومكتبتي،
والسبيلُ إلى سفح سنجار...
للمتُ بعضي وسرتُ،
لماذا يراني جنودُ الخليفة شخصاً غريباً؟
لأنني تحدّثتُ في الشوق عما وراء النهر؟

يقول لي الشوقُ شيئاً، يقول لي الشوقُ شيئاً،
فأقسم بين اثنتين القميصَ الذي ورث الفتنَ الداخليَّةَ
والكتبَ المستباحه
أقسم بين اثنتين الشفاهَ التي تتناولُ
والجامعَ الأمويَّ الذي يتناولُ
أقسم بين اثنتين الإله.



ولكنني لدمشق، المدينة والجرح، أنتج نارَ التوحيدِ،
أعلن في الصحفِ المشتراةِ
وفي الصحفِ المشتهاةِ بيانَ الذين رأوا وجهها قبلَ
أن يولدوا،
والذين يريدونها امرأةً تتزاوج فيها الشهادةُ والماءُ،
بين الشهادةِ عشرون ميلاً وبين دمشقَ
وعشرة آلاف ميلٍ تناءت دمشقُ
وأشجارها عن دمشقَ
مضى زمنٌ كانت الأرضُ فيه تدور على نفسها
وأتى زمنُ العاشقين الذين إذا دارت الأرضُ ماتوا،
أواجترحوا الرقصَ كي يوقفوها

مضى زمنٌ كانت البندقيةُ فيه التفردُ والحلُ
إنّا على رُقعةٍ لا تهاجر فيها الخيولُ

مضى زمنٌ كانت المدنُ العربيَّةُ فيه ثغوراً
لقد جاءنا زمنُ المدنِ المصرفيةِ.



يُراقبني الليل...
أعمدة الجامع الأموي العتيقه
تُراقبني...
وتدور الأزقة بي.. وتدور المنازل خلف «الحريقه»
إلى حيث ينفرد الظلُ بي والمياه العميقه
وأسمع بين الغصون التي ازرقّت الأرض منها ورقّت
أنا الطائرُ
أنا الصوتُ، والجدول النافرُ
أنا ابنُ الإلهِ الدمشقيّ...
إنّي انتظرتُك عاماً عاماً فعاماً.
وعاماً عاماً هجرتُك.
لكنني العاشقُ الفردُ

- هل نتحدّث وقتاً قصيراً؟

- ألا تجلسُ؟

هناك مقهى، كراسيّه سَعَفٌ، كان يرتاده
العدميّون، والهاربون، ومن يصنعون
القنابلَ سرّيةً، لوددتُ لو أنّي أتيتُ
منه بفنجانِ قهوة
ولكنني - إن أردتَ الحقيقةَ - أخجل من
بعضِ رؤاده، فلنقلُ ما نشاء هنا، إنني
قائلُ ما تقولُ.



تَفْتَحْ لي خانُ أيوب،
ما دلّني أحدٌ،
غير أنني دخلتُ

وبين حديقته والدهاليز أبصرتهم يصنعون القنابل...
إنهم إخوتي، يرسمون على النهر أعمدة الجامع الأمويّ
جسوراً
جسوراً
جسوراً
جسوراً
وقد ينسفون الجسور
إلى الناصرة.

سأسكنُ في خانِ أيّوب،
ما دلّني أحدٌ،
غير أنني اهتديتُ.

(١٩٧١)

من: «ديوان سعدي يوسف»

مريم تأتي

(١)

وللحظة غمرتك بالقبلات
ثم نأت متوجةً بخوص أبيض
في أي نهر سوف تنغمس الأنامل؟
أي ماء سوف يبتل القميص به؟
وأية نخلة ستكون متكا؟
وهل يساقط الرطب الجني؟
أكان جذع النخلة المهترأ أقصى ما تحاول مريم؟
الأشجار موسيقى،
وهذي الشقة البيضاء في بيروت ما زالت أمام البحر
تحقق في البعيد مدينة مائية أخرى
والمح وجه جدّي: زرقاة العينين، والكوفية الحمراء
المح في الحواجز وجه مريم،
في المحاور خطوة الملك المتوج بالقذيفة
يدخل الرومان منتظمين كردوساً،
وقوميون يقتتلون في الدكان
مريم في مدينتها،
وأنت تراقب الطرق البعيدة: هل تجيء اليوم؟
كانت عند مزبلة الرصيف
وأوقدت نيرانها،
ومضت متوجةً

بأدخنة،
تباركتِ المدينةُ
لهفي عليكِ وأنتِ مشتعِلُ
في الليلِ خلفِ الساترِ الرملِ
هل كان ينبضُ دونك الأملُ
أم كان يخفق منتأى الخيلِ؟
كلّما جئتُ بيتاً تذكّرتُ بيتاً
كلّما كنتُ حياً تناسيتُ ميتاً
غيرَ أنّ الذي جئتُهُ
غيرَ أنّ الذي كنتُهُ
لم يعدْ لي
لم يعدْ غيرَ ظلِّ
وليكنْ!
إنّ ظلاً يصيرُ
خيراً ما يرتجى في ظلامِ المسيرِ.

(٢)

لو كنتُ أعرفُ أينَ مريمُ
لاتّبعْتُ النجمَ نحو بلادها،
لكنّ مريمَ خلّفتني في المتاهة منذ أن رحلتُ
وقالت: سوف تلقاني إذا أحببتني
في الرمل أبحت عن أناملها
وفي أطلال «عين الحلوة» السوداء عن عيني،
في باب «الوكالة» أسألُ الشبان: هل مرّت؟
وبين صحيفة وصحيفة أتسقطُ الأنباء
في المذيع، أمس، سمعتُ صوتاً: صوتَ مريمِ؟
أم تراها تسكن الطلقاتِ

بين الليلكي وبين حي السلم المنخوب؟

بيروت التي استندت إلى أحجارها

فزت كطير البحر

والعشاق يمتشقون رشاشاتهم

والبحر يهدأ

يُنصت الأطفال للصوت المباعث...

في البعيد حرائق،

والطائرات تدور في أفق رصاصي

لك العشاق والطلقات.. مريم

تدخلين، إذن؟

تعالني...

هذا الفضاء نزل نطرقه

حتى نرى في الوحشة العَلَمَا

حتى يدور الطير نُطْلَقُهُ

نحو النجوم ليطلق القَسَمَا

في البراري فلسطين، في قُبَرَاتِ المخابئ

في الرصاص الكثيف

وفي صيحةِ الراجمة

في الأغاني فلسطين، في الخصلة الفاحمه

في قميص الشهيد

في حديد يردُّ الحديد

في يد

في زناد

في اقتراب البلاد.

(٣)

ها نحن، مريمُ نرسمُ الطرقاتِ في الليلِ الملبّدِ
نرصدُ الطلقاتِ تتبعنا
ونقفزُ مثلَ عصفوريّين مذعورين بين قذيفةٍ وقذيفةٍ
ها نحن، مريمُ نهبطُ الدرجاتِ نحو الملجأ الليليِّ،
نُحصي الطائراتِ مغيرةً
ونقولُ: أمّا...

ونمشي ، خلسةً، للبحرِ
نجلس خلف أكياس الترابِ
ونرقب الأمواج تهدرُ، والشبابَ مقاتلين...
ثيابهم مَخْضرةٌ كالصخر عند شواطئ المتوسطِ
انتظري قليلاً، كي نقول لهم: سلاماً
كي نبارك بالدموع سلاحهم
كي نمسح الخصلاتِ بالماءِ القليلِ
ونمضع الخبزَ المجفّف صامتين...
ومريمُ، المرأةُ والرؤيا،
بشارةٌ أن نموتَ ممجّدينَ
وأن نعيشَ كما يعيش الرفقةُ البسطاءُ
مريمُ تسكنُ الميلاَدَ
تسكن في الدم العربيّ
نتبعها، وتتبعنا
ولكننا، هنا، في قسوةِ اللحظاتِ
ننسج من عباءتها هويّتنا
وندخل في القيامةِ
في الموقعِ الحجريّ رايتنا

مغروزةً في وقفةِ الزمنِ
سنظل نغرزها ونغرزها
حتى نُفجّرَ نبعةَ الوطنِ
وليكن ما يكونُ
وليكن أن يجيء الجنونُ
وليكن....
إننا القادمون.

(١٩٨٢)

من: «ديوان سعدي يوسف»

حسب الشيخ جعفر

الطائر المرمري

ها أنا أبحث عن طير الرماد
في لهيب الجسد الفاني وأدغال السهاد،
هذه الخصلة من شعرك ريحٌ وشرار،
هذه الكأسُ التي كانت تُدارُ
ها أنا أشرب من فَخَّارها الأخضر نار،
أيها الحبُّ الذي أشعل أجفاني بملحٍ وقتاد
ما الذي يحرقني حياً ويبقي الروحَ خيطاً من حرير،
طائراً من مرمري أخضر لا يطوي جناحاً أو يطير؟
كلُّ شيءٍ منك، غير الألق العاري، أراه
بين كَفِّي حريراً أو لهيباً في الشفاء،
أيها الحبُّ الذي أشعل أجفاني بشمسٍ من سهر
من ترى ألبسني في الكوكب المهجور تاجاً من تراب؟
ها أنا أركب أقمارَ الحجر
ملكاً أغزو فضاءَ البار،

-
- حسب الشيخ جعفر أبو جناح.
 - ولد في مدينة «العمارة» عام ١٩٤٢ .
 - تخرج في معهد غوركي بموسكو عام ١٩٦٦ .
 - عمل في الإذاعة وفي الصحافة .
 - من دواوينه: «نخلة الله» ١٩٦٩، «الطائر الخشبي» ١٩٧٢، «زيارة السيدة السومرية» ١٩٧٤، «عبر الحائط في

لا أبصر وجهاً غيرَ وجهي في الشراب،
أيها الحبُّ الذي أشعل أجفاني بملحٍ وسرابٍ
خلّني ألمس وجهَ الألقِ العاري المذابٍ
في مياهٍ أحرقتُ كَفِّيَ عاماً بعد عامٍ،
لأعني كوكباً يغرق في حانة طينٍ وظلامٍ،
لأصلي وأنام..
(صيفُك المترعُ في الغابات، والسحبُ التي تلمسُ
أطرافَ الشجرِ
وأريجُ الليلِكِ المبتلِّ، والضوءُ غمامٌ،
وذراعاي يشدانك، والرعدُ على مقربةٍ منا انفجرُ
فدخلنا الشجرَ الملتفَّ كالكهفِ القديمِ
وافترشنا الورقَ اليابسَ والعشبَ الهشيمَ،
شعركَ الأصفرُ كالحنطة، مبتلاً، على وجهي انهمرُ،
وعلى المرمرِ برقٌ ومطرٌ..
حطَّ بي فوق ترابِ المائدة
مركبُ دارٍ وراء الألقِ العاري المذابِ
في مجرّاتِ القرونِ الباردة،
أيها الحبُّ الذي أشعل أجفاني بملحٍ وسرابٍ
غرق الكوكبُ في نومٍ طويلٍ
فلماذا لا يزور النومُ لي جفنًا كطيرٍ مستحيلٍ؟
(إنها الآن، وفي مشربها العاجِ لفافه،
تشرب القهوةَ أو تجلس عند المعزفِ الضخمِ القديمِ،
ترتدي سروالها الضيقَ حتى الموتِ، تلتفُّ بظلٍ
من خرافه
أو بحلمٍ أزرقٍ، طوعُ يديها قصُرَ بلوَرٍ ونمرُ وزرافه

وعلى شطآنها ينتحب الصفصافُ والطير اليتيمُ،
هاك زهرَ الشجنِ الناعس، لم يلمسه طلُّ أو نسيمُ،
هاك يا طفلي اقحوانه
شمعةً في كلِّ حقلٍ تتوهجُ،
قلتُ، لو أعطيتُه بعضَ البنفسجِ،
غيرَ أني لم أعد أملك شيئاً منه، خذْ منِّي اقحوانه..)
وأنا أبحثُ عن طير الرمادِ
في لهيب الجسدِ الفاني وأدغال السهادِ،
ومَجَرَّاتُ القرونِ الباردة
ألقُ يُشعل وجهي في تراب المائدة.

من ديوان: «الطائر الخشبي»

توقيع

أمام العيادات أبصرها كل يوم، مكوّمة تحضن ابنتها، ترمقُ
العابرات الأنيقات، يخفق منزلها المتهالك في قرية من دخانٍ
وقشٍّ: تُعدّ لنا الشاي، يأتي لنا زوجها بالبريد السياسي من
عتمة النخل، في آخر الليل نترك في بيته بعض أسرارنا أو
نناقش مسألة الريف، مرتعشين من البرد حول السراج الهزيل،
الطيور المهاجرة المستريبة تطلق صيحاتها، والعيادات تغلقُ
أبوابها، والملاهي الوضيئة تكشف عن عريها المتلطح، في أيّ
جُرفٍ تَعَثَّرُ منكفئة، نازفاً أدركته الرصاصة في الكتف،
ما قال شيئاً

إلى آخر الليل ينزف في مخفرٍ حجريٍّ
ولفّ عليه الحصار المدمي،

ويبقى البريد السياسي منتظراً في الجذور الخبيثة في عتمة
النخل، ينفتح المنزل المتهالك في العبوة الدموية منكفئة، فارغاً،
أدركتها القوانين، يا أيها الماء خذني إلى الجرف أحفر في
صخره وجهه، أو أعلق في النخل أوراقه لافتات، تُعانق فيها
الجذور الذرى الشجرية، واللهب الأزلي السراج الهزيل،
العيادات تفتح أبوابها والرميلة تحتضن النخل حيث ابتدأنا
نلامس نبض البريد السياسي، يا أيها الماء خذني إلى الجُرف
أنشر موج القميص الذي اخترقته الرصاصة، أدرك ناقله تعبرُ
الشط، في وجهها الطلق

أكتبُ اسماً
طوته الملقاتُ في مخفرٍ حجريٍّ
ولفَّ عليه الحصيرُ المدمي،

ويخبو اسمُها في العرائض، ملتقّةً بالعباءة أبصرها، كلَّ يومٍ،
أمامَ الدوائر تحتضن ابنَتَها، ترمق العابراتِ الأنيفات، ينهرها،
عبرَ قهوته والدخانِ، المديرُ الزراعيُّ، يا أيها الماءُ خذني إلى
الجرفِ أحفر في عتمة النخل، منتزعاً صُحفاً ينبت العشبُ فيها،
أعلّقها رايةً، يلتقي المنزلُ المتهالك في خفّتها والرميلةُ، ينكشفُ
المخفرُ الحجريُّ عن الأفق، يا أيها الماءُ خذني إلى الجرفِ أحفرُ
في الصخر وجهاً، أمام العياداتِ أبصره، كلَّ يومٍ، مُدلاً، تمرّ به
العباراتُ الأنيفات، أحفر شيئاً عن النخل حيث ابتدأنا نلامسُ
نبضَ الجريدة.

من ديوان: «زيارة السيد السومرية»

زيارة السيدة السومرية

مرّاتٍ في الممشى أتبيّنُ خفقَ حذائكِ سيّدي أتبيّنُ صوتك،
مرّاتٍ، في ثرثرةِ الغُرفِ الأخرى أتبين من لمحاتك شيئاً منفلتاً
في وجه ممثّلةٍ أو عابرةٍ عجلي، لا أعرف شيئاً عن آخر دورٍ
تمثيليّ كُلفت به، لا أعرف شيئاً عن أثوابك في حفلات السهرة،
لكني في وجهك أقرأ أنك راغبةٌ أن يجمعنا، في المقهى، ركنٌ
منعزلٌ تتلامسُ أيدينا في البدء ونسحبها، ونُقربُ وجهاً من
وجه، وتروّعنا صيحاتُ طيور البحر وخفقُ الأجنحة البيضاء،
ويهرب وجهك منتشراً في خفقِ الأجنحة البيضاء وفي الزبدِ
البحريّ الأبيض، سيّدي عندي في كلّ مساءٍ يحتفل الموتى
وطيورُ البحرِ الميّتة البيضاء، نقربُ وجهاً من وجه، وأرى عينيكِ
الواسعتين مُبلّلتين،

(أسمعُ في الطرقِ المبتلةِ

وقعَ خُطّى؟)

لا أسمع شيئاً حين نكون معاً، لكني حين تدقّ الساعةُ دقّتها
الأولى في البرج وتصفر في أحشاء الليل الريحُ، أقلبُ أوراقِي
أو أذرعُ أرضَ الغرفة، مكتئباً، كالمحكومين المنفردين، أصيخُ
السمع: فأسمع خطوتها البيضاء،

(أخرجُ باحثةً

في الظلمة عن أحد؟)

لا أعرف شيئاً سيّدي، لكني أسمع وقعَ خُطّى، في البدء بطيئاً،

مجهولاً يتردد في عمق الطرق المجهولة، مقترباً، وأصيحُ
السمع: فأسمع وقعَ خطى تعلو السلمَ، تدنو، تتوقّف، تخفق في
الممشى، تتوقف عند الغرفة، أسمع نقراً فوق الباب وأفتحهُ،
(هل كنت ترى أحداً؟)

لا أسمع غيرَ طيورِ البحر وخفقَ الأجنحة البيضاء ويغمرني
الزبدُ البحريّ الأبيضُ، لكنّ حينَ تركتُ القاعةَ في الحفلِ
السنويّ الراقص عند الفجرِ، ولم أجدِ المفتاحَ، سمعتُ خطى..
كانت في غرفتي الغسقيّة واجمةً، تخطو كالمحكومين المنفردين،
متوجّهة، في زينتها الملكيّة،
(هل قالت شيئاً؟)

(هذا آخر يومٍ

أخرج فيه

من أعماق المدن المطمورة،

لا تدنُ مني،

لن تدركني،

في الفجر أعود دحاناً أبيض)

كلّ مساءٍ كنتُ أصيحُ السمعَ وأفتح بابي لكني لا أسمع غيرَ
طيورِ البحر وخفقَ الأجنحة البيضاء،
(وداعاً،

لا تدنُ مني

لن تدركني،

في الفجر أعود دحاناً أبيض)

سيّدتي عندي في كل مساءٍ يحتفل الموتى وطيورُ البحر الميّتةُ
البيضاء، ويهجرني بدني، يتسكّع في الطرق المبتلّة مرتعشاً
كالمحكومين المنهزمين، وتُفسح لي العلبُ المشبوهة ركناً منعزلاً،

في وجهك أقرأ أنك راغبة أن نبحت في الشجر العاري عن
مصطبة، نلتف عليها حتى توقظنا الخطوات الأسفلتية في مدن
أخرى، في وجهك أقرأ أنك راغبة أن يصحبنا في فندقنا خدم
الصالات المبتسمون، ندخن قرب ستائر من قصب، تتلامس
أيدينا في البدء ونسحبها، ونقرب وجهاً من وجه، وتروّعنا
صيحات طيور البحر، ويهرب وجهك منتشراً في خفق الأجنحة
البيضاء، ويهجرني بدني يتتبع وجهك سيدتي في معروضات
المتحف والمبغى.

من ديوان: «زيارة السيدة السومرية»

علي جعفر العلاق

الصديقان

إلى صلاح نيازي

هبطنا
من سماواتٍ
ومن أَرْضَيْنِ
لم تلمسهما امرأة،
وأصغينا لمعركة القطا والنوم،
كنا مثلَ طيرين يتيمين،
- لماذا غبتَ؟
مَنْ وافى بك الآن؟
لقد أضناني التسألُ
أتبع كلَّ قافلةٍ
وأهتفُ:
يا قطارَ النومِ
ماذا في عباةك العريضة:
صاحبُ ينأى؟
حريقُ في يباس العُشبِ؟
حلمُ طاعنٍ في السنِّ؟

-
- ولد في محافظة «واسط» عام ١٩٤٥ .
 - حصل على درجة الدكتوراه من جامعة إكستر .
 - رأس تحرير مجلة «الأقلام» .
 - عمل في جامعة صنعاء، وفي جامعة العين في الإمارات العربية المتحدة .

ماذا يا قطارَ النوم؟
مَنْ أَفْزَعَ هَذَا الْجَمْعَ
مِنْ غِرْلَانِنَا،
الْبَرِّيَّةِ،
الْبَيْضَاءِ،
مَنْ فَرَّقَ هَذَا الْيَوْمَ
مَا بَيْنَ الْقَطَا
وَالنُّوْمِ؟
على قارعة البحرِ، انتحينا
صخرةً منه،
وأفسحنا
لأيامك،
أفسحنا
لأيامي، هذا الحشدُ من غيم الجزيرة، مَعْبَرًا
رُحْنَا،
نُزِيلَ الْمَلْحِ وَالْأَسْمَالِ
عن أعوامنا،
صَحْنَا:
- أيا أيامنا السمرَاءِ
ألم تزلِ القرى وهَاجَةً في الريحِ،
والصبيَّةُ حافينَ،
وِثْمَةً قُفَّةً
في الماء؟

تعالِ اجلسْ
جِوارَ القلبِ،
لي ليلٌ بلا شجرٍ،
ولي قيلولةٌ جرداءٌ ، لم أسمعْ
بها غيرَ القطا والنومِ:
يختصمانْ

ومُدُّ غبنا
وهذا الطائرُ النَوَّاحُ
يُرْهقني:
- لمن تُفْضي
بأسراركَ بعد الآن؟
ومن ينهر هذا الليلَ
إذ يدنو بكلِّه
ويطرُدُ
ناقةَ الأحزان؟

لماذا
لم تعد من قبلُ؟
ذي رُوحٍ إناءٌ طافحٌ بالصبرِ
لا الصهباءِ
وعيناك:
قطيعٌ
أنهكَ الرعيانَ
من جرَّاءِ لهفتهِ،

.....

.....

فمن أطلق
في عينيك هذين
الغرابين،
الحزينين،
ومن أشعل
في وكريهما الحلفاء؟
ومن قرّر
في الفجر:
طيور الماء؟

وفي طرّف قصيٍّ
من كابتنا ، التقينا
لم يكن في الأرض:
إلّانا
وفي مُفترقٍ وعُرٍ
تزاحم فيه أسئلةٌ
وغزلانٌ،
وتزدحم اختياراتٌ،
ندمنا
وتكاشفنا
وأصغينا:
لهذا الحشد من غيم الجزيرة،
صافناً،
يبكي،
ومثل الماءِ

يُكْمَلُ قَاعُهُ الْأَرْضَا

وَفِي طَرْفٍ
قَصِيٍّ

مِنْ مَحَبَّتِنَا

رَأَيْنَا اثْنَيْنِ يَمْتَزِجَانِ:

طِفْلاً

شَائِئِكَ

غَضّاً،

يُغْنِي،

مَلَأَ عَيْنِيهِ تَسَاوُلَهُ،

وَيَغْمُرُ بَعْضُهُ

بَعْضَا..

من: «الأعمال الشعرية»

القصيدة المائية

ذاك وجهك،
أم جمره في ثيابي؟
أم هواي الذي يتشهى يديك المغامرتين،
ويرقب ما يحمل الليل
من مطر للحشائش،

- هل تذكرين الحشائش في الليل؟
- أذكرها حين تندي،

وأذكرها
حين تفضي بأسرارها
للتراب..

ذاك وجهك
من أيما أفق تنظرين؟
أرى غابة
ملاؤها العصافير:
تهرب من مطر الصيف،
والورد فاجاني ليلاً،
وثيابك، تلك السماء الخفيفة، تأخذني
لمواسمها

(إنّ موسمك الرخو دشداشة)

تخلطُ الصيفَ بالماءِ،
والماءَ بالصيفِ...)
وجهك حَشْدُ
من الراقصينِ،
وعيناكِ عصفورتانِ على طَرَفِ النهرِ،
هل تؤمَّنينِ إلى الماءِ؟
إنَّ المياهَ تُخَفِّفُ من ركضها
حين تلتفتينِ،
وتُعلنُ أن يديكِ أشدُّ بهاءً
من الماءِ والظلِّ بين الغصونِ النخيفه
وتُلَوِّحُ: أيُّكما أنضجُ الآخرَ،
الصيفُ أم أنتِ؟
أيُّكما فاتنُ
في الثيابِ الخفيفه؟

كان وجهكِ أمسيَةً
عذبةً،
مُطره
تتَهامسُ: إنَّ الهوى، هاهنا ، راقصُ
ونسيمُ يُعرِّفُ أرضاً بأخرى،
وماءً بماءِ
ووجهكِ ساقيةٌ مزهره
أنتِ
أم غَبَشُ المدنِ الممطره
قال لي: خُذْ يدي؟

أنتِ

أم غَبَشُ المدنِ الممطره
قال لي: سوف أدنیکَ
من موطن السرِّ؟

... كان لقاءُ القطاراتِ، في الليلِ،
يُشجِي،
ووحشتُها ، في المحطات، تُشجِي،

وكنتِ كشمسٍ مبلّلةٍ،
تعبرين ببطءٍ على الماءِ،
أو تدخلين قميصي
كما كنتِ حين التحمنا معاً،
ثم فرّقنا الدمعُ،
فرّقنا الخوفُ من هجرةٍ ستجِيءُ
ومن مطرٍ
غيرِ هذا الذي يخلط ، الآنَ أيامنا - سيجيءُ،
أكان اللقاءُ حزيناً
ومرتبكاً
مثلما تلتقي، في المساء، القطاراتُ
أو يختفي طائرٌ،
حين يهربُ
من مطر الصيف؟

يا لقاءَ القطاراتِ، في الليلِ،
حيث الهواجسُ تبتلّ ، والأرضُ
تصبح أعذبَ من وردةٍ
خلّ هذا المطرُ

يطرق، الآن،
نافذة الداخلين
إلى النوم، نافذة الخارجين
من النوم، خلّ المطرُ
جمرةً في قميصي،
وماءً
على صَبَوات السفرِ..

ذاك ثوبُكِ
أم غابةً
دخلتها العصافيرُ في الفجرِ؟
... حين حسبتُ اللقاءَ الذي لم يَطُلْ
سيطولُ ، ظننتُكِ وَرداً على تعبِي
ودماءَ لكفّي إذ تبردانِ،

(أكنتِ دماءً
وورداً لكفّي؟)

حين حسبتُ الذي لم يَطُلْ
سيطولُ، رأيتُ مياهاً
تجيء من البرِّ، أرضاً
تروحُ إلى الماءِ،

(هل كنتِ ماءً على كَبدي
أم قطاةً؟)

ووجهك
ذاك الشهيءُ، البهيءُ،
يُعرفُ أرضاً بأخرى،
ويُوصل ماءً
بماء،
لقد كنتِ نرجسةً،
تتنزه
بين الندى ، والغصون النظيفه:

لَوْحِي للغريبِ،
فإنَّ يديه
يتيمان ضاعا على الدربِ
لكنْ
ثيابكِ ، تلك السماءُ الخفيفة،
وطنٌ واسعٌ.

من: «الأعمال الشعرية»

المشي بين أرضين

تداعيات ابن زريق الواسطي

أرحلُ، الآنَ ،

ما بين أَرْضَيْنِ مَبْتَلَتَيْنِ: التي

يعتريني تَذْكُرها، والتي

أَتَشَمُّهَا شاحِباً، أَتَعَثِّرُ

ما بين أَمْطارِها

وعراقيلِها،

أعبرُ، الآنَ ،

ما بينَ لَيْلٍ وَآخِرٍ،

كان الندى

يُشَبِّه الدَّمْعَ،

كان الأَنيْنُ القَدِيمُ

يُعاودني

– يا لهذا العناءِ الذي

عاشِرَ الرُّوحَ عامِينَ

كيف اهتدى؟

نَشَرَ، الآنَ، قُمْصانَه، فوق بيتي

بَلَّ بالقشُّ
والندمُ المرَّ صوتي..

يا لَهْذا العناءِ،
لقد سلَّ رُوحِي من دفنِها،
والضياعِ المحبَّبِ،
جرَّدَها: من عصافيرها الطيِّبه
قال لي:

في طريقك أرضُ
بلا تعبٍ، وأغانٍ
بلا كدَماتٍ، وذاكرةٌ مُعشبه
قال لي:

لو ترى قمرَ الأرضِ
ها إِنَّه ناضجٌ وطريُّ،
أتعلمُ أَنَّ الكواكبَ في الكَرخِ
يصعبُ توديعُها،

كالغزالاتِ تعبرُ ما بين ماءٍ
وماءٍ فتتركُ أغنيةً هاهنا،
وبكاءً هناك،

وثُومِي،
دافئةٌ كالصبيَّةِ،
إذ يتخطى بها الجوعُ
دغلَ الشبابِ البريءِ

قال لي:

هل تجيء؟

وجهي عُصْنُ
ضائع في الماء
أحمل في نُعاسه علامة،
يا قمرَ الكرخ، ويا حجارة السماء
ولست أنسى أن لي
من عُمركم عامين
تركتُ فيهما يدي، عُمرَي المبتل،
جئتُ دونما عينيْن

أه.. واسطُ
أذكرُ ، هذي العشيّة، كلُّ روازينها
أتذكرُ دهلتها ليلةَ الفيضان،
عصافيرها حين تعترض الريح،
(ها إنها ، الآن، مخبوءة
في قميصي،
كما الوشمُ في وجه أمي)
وواسطُ قد بلَّلَ الماءُ أذيالها

لم يكن للخراب طريقٌ إلى دفننا،
أو عصافيرنا الحيّة القلب:

ذاك الزمانُ
وردةً،
في المياه التي
عافها المدُّ مخبوطةً، إنَّ ذاك الزمانُ
وطنٌ ممطرٌ،
كان يلعب فيه المحبُّونُ،
يُزهر في رملهِ السَّيسبانُ..

هاهي ، الآنَ ، أمُّ تُعلِّمُ أبناءَها
كيف يجتمعون على صَحْنٍ واحدٍ،
كيف يغفون في غُطُوةٍ بارده
وتُغني:
حديثُكَ
أم مطرُةَ الصيفِ،
ما بلَّتْ عَشْبَةً واحده؟

وتُعدُّ أيامَها واحداً ، واحداً
تترقَّبُ وحشتَها
حين يهجرها الماءُ:
إني أُخبِّئُكَ، الآنَ، للسَّاقية
حين أعجز عن طَفْرِها،
وتُعَاتِبُنِي
فُسْحَةً
في همومِكَ ، أو مدخلاً
في صباباتِكَ الآتية..

... أَتَذَكَّرُ هَذَا الْعَشِيَّةَ:
أَعَذِبُ مَا يَكْرَهُ الْمَرْءُ نَسْيَانَهُ
الصَّبَوَاتُ،
الْخِيُولُ
الْكِرَاكِي الْكُثْبَةُ
أَعَذِبُ مَا يَكْرَهُ الْمَرْءُ نَسْيَانَهُ
وَطَنٌ مُمْطَرٌ

وَاسِطُ
كَانَتْ فِي دَمِي أُنْيَّةٌ،
مِنْ مَطَرٍ مَمْلُكَةٍ
تَرَكْتُهَا مَبْتَلَةً الْخَدَيْنِ
وَفِي صَبَاحِ السَّفَرِ الشَّاحِبِ
جَفَّتْ وَرْدَةٌ
فِي طَرَفِ الضَّلَعِ،
بَكَتْ قَبِيلَةٌ
فِي الْعَيْنِ

أَتُبَادِلُنِي الدَّمْعَ بِالدَّمْعِ يَا قَمَرَ الْأَرْضِ،
وَالذِّكْرِيَّاتِ الرَّدِيئَةَ بِالذِّكْرِيَّاتِ الرَّدِيئَةِ؟

... هَا إِنَّ بَيْنَ ثِيَابِي
يَكْتَتِبُ الْعَشْبُ وَالْمَاءُ،

يصبح حزنُهُما
واسعاً وندياً كما الليلُ،
ها إنني أتلقتُ،
مثلَ التي عبّرتُ واحداً من بنيها
أُلوحُ: هل حال ما بيننا الماء؟

ها إنني أَتَقَرَّبُ من قمر الكرخ:
أغريتنني بالمجيء فأبدلتُ أرضاً
بأخرى،
ولكنني ، الآنَ أَرْجفُ
ما بينَ أرضَيْنِ
مبتَلَتَيْنِ،
وتلك التي
أَتَعَثَّرُ في ليلها، مثلما اللصُّ،
غيرُ التي
أَتَوَهَّمُ نسيانَها

(إنها امرأةٌ
لم أَجَفِّ ضَمِيرِي من دمعها بعدُ،
كانت معذَّبةً،
تتشبَّثُ بي في الرحيلُ

لم يكن سفري في الضحى
كنت أرحل - إنَّ الأصحَّ:
أُضيّع مملكة -
في صباحٍ ثقيلٍ...

لي من غبار الشجر المالح وردة
حملتها من حطب الفقر
ألم تروا يديّ تبتلن
بالروائح الأولى،
وهذي الطرق المكتنبة
قصيدة
بَلَلها الدمعُ ،
وتلك الذكريات المتربة

جنُّكَ، الآنَ،
إنَّ ورائي بلاداً
كما الوردُ ،
ها إنني أتأملُ ذاكرتي
حيث تختلط الأرضُ بالماءِ،
والماءُ بامرأةٍ
تُشبه الأرضَ:
مهمومةٌ
تتأملُ هجرةً أبنائها
وعصافيرها الحية القلبِ،

إنّ ورائي
ماضيّاً يتشقق كالجرح
في أول النّزفِ ،
إنّ ورائي
شَجَراً مالِحاً
ومخاوفَ يعرفها أصدقائي

جئتُكَ الآنَ ، كفايَ فارغتانِ
وثوبي أرضُ
أحاولُ ألفةَ أمطارها،
وعراقيلها،

هل شممتَ يديّ؟
سأكتبُ: ذا وطنُ
كالغزالةِ ، أم وحشةٌ؟

وأغني: إذا ورقُ
للسماتِ ، أم ورقُ
للرثاءِ؟
أم هوى يتوزّعُ
بين اثنتينِ:
بلادٍ
أحاولُ ألفتها،
وبلادٍ ورائي؟

بي هاجسُ:
هذا الخرابُ، الدهولُ
أرضانِ،
ما بينهما يهدر في الماضي،
ضحايه،
وهذا الواسطيُّ،
الخبولُ

حائطُ : يتهاوى على العشبِ
ذاكرةُ: تنشط الآنَ،
أم وطنٌ يتلوَّى:

أُخبِّئك، الآنَ، للشيبِ...
أعجزُ عن طُفْرِها
مَطْرَةُ الصيفِ...

ماضٍ: يرافقني كلَّ يومٍ
إلى النومِ،
والدمعِ،
والدائره
يتعقَّبني: خطوةً،
خطوةً،

حائطُكم تمنيتُ
أنْ يُغلقَ الذاكره
وتمنيتُ أنْ يسقطَ الحدُّ: بين بلادٍ
تعشقتُها في الطفولة رِيَانَةً،
وبلادٍ أريدُ
ألفَةً

مَعَ شُرطتها،
وعصافيرها،
وهواها الجديد..

غيرَ أنْ الخرابَ الذي جاعني
مثلما يدخلُ اللصُّ،
أو مثلما
حائطُ ينهاوى:
وواسطُ أمِّ،
وأرضُ،
وريحُ
لستُ أملكُ غيرَ تذكُّرِها،
والبكاءِ عليها،
وواسطُ:
مُنشَفَةٌ للجريحِ..

نبي وحشنة
تكتظ ، غير أني
وسادة تغني
وابن زريق الواسطي يقول:

هذا أنا ، كالحجر الناتي،
عصفورة
تعرض الرياح،
وتبقى رغم هذا البرد
سهرانة،
في دربها ، المشاكس،
الممتد...

نبي بلاد
أحاول ألفتها ، والتقرب
من نبضها
(ليس ينفعه العذل،
إن علياً يجازف ما بين أرضين)
أترك بينهما كل ما يكتب الآن،
هذا العناء الجديد
العناء المشاغب،
.. يا للخراب الذي
علم الفقراء الكتابة
والمشي ما بين أرضين،
علمهم: أن في حطب الفقر أرضاً

بلا تعبٍ،
وأغاني
بلا كدّاتٍ،
وعَلّمني:
أَنَّ أَعَذِبَ ما في الخرابِ المِباغتِ،
فوضاهُ،
زحزحةً، القلبِ،
أَعَذِبُ ما فيه..

(كان عليُّ مُقِلًّا)
ولا يكتبُ الشعرَ من دونِ خَضْخَضَةٍ،
أو عناءٍ...

إنني اخترتُ هذا الطريقَ المبلَّلَ:
لا وَرَقٌ للمِلامَةِ،
لا وَرَقٌ للرِثاءِ..

من: «الأعمال الشعرية»

الفهرس

- تصدير ٣
- مقدمة ٥
- محمد سعيد الحبوبي
- ليس للطرس أن ينال ربيعاً ٩
- أبن لي نجوى لو تطيق بيانا ١٣
- منح الصبابة أضلعاً وفؤادا ٢٠
- جميل صدقي الزهاوي
- عن بغداد ٢٧
- النائحة ٣٢
- يا عيد ٣٦
- عبد المحسن الكاظمي
- الأمر إن نمت عن إدراكه جلل ٤١
- في رثاء محمود سامي البارودي ٤٥
- بين يومين ٥٤
- معروف الرصافي
- الأرملة المرضعة ٦٧
- بعد البين ٧١
- الغروب ٧٥

- محمد رضا الشبيبي

٧٩ - شهيد الدفاع

٨٢ - دمشق وبغداد

٩٠ - باطل الحمد ومكذوب الثنا

- أحمد الصافي النجفي

٩٣ - التشرد

٩٩ - نخيل صيدا

١٠١ - دمة على رثيف خوري

- محمد مهدي الجواهري

١٠٥ - ناجيت قبرك

١١٠ - يوم الشهيد

١٢٧ - يا دجلة

- حافظ جميل

١٤١ - شاعر وعقار

١٤٤ - لبنان

١٥٠ - تحية الشعر

- نازك الملائكة

١٥٩ - خمس أغان للألم

١٦٥ - سوسنة اسمها القدس

١٦٨ - الهجرة إلى الله

- خالد الشواف

١٧٣ الانتفاضة -

١٧٧ القلم -

١٧٩ الجمهورية الجزائرية -

- عاتكة الخزرجي

١٨٣ وداع الدار -

١٨٦ بغداد -

١٩٠ لقاء وصمت -

- بدر شاكر السياب

١٩٣ شناسيل ابنة الجلبي -

١٩٧ مدينة بلا مطر -

٢٠١ نسيم القبر -

- بلند الحيدري

٢٠٣ النافذة العمياء -

٢٠٧ ثم رحل عنا -

٢١١ اعترافات من عام ١٩٦١ -

- عبدالوهاب البياتي

٢١٧ الحرف العائد -

٢٢١ سفر الفقر والثورة -

٢٢٩ مقاطع من عذابات فريد الدين العطار -

- حسين مردان

- ٢٣٣ رجل الضباب -
- ٢٣٧ الطابوكة -
- ٢٤١ السلسلة -

- مصطفى جمال الدين

- ٢٤٥ رائد النهضة الأدبية -
- ٢٤٩ بغداد -
- ٢٥٧ الفقيدان -

- شفيق الكمالي

- ٢٦٣ وداع -
- ٢٦٦ وقفة وداع -
- ٢٦٨ طليطلة والذي كان -

- ثيعة عباس عمارة

- ٢٧١ تحية لخليل مطران -
- ٢٧٥ في ذكرى شوقي -
- ٢٨٠ مسدودة طرقي -

- علي الحلبي

- ٢٨٣ يا حارس النار -
- ٢٨٧ السودان الجديد -
- ٢٩٤ طعام المقصلة -

- محمود البريكان

- ٢٩٩ حارس الفنار -
- ٣٠٤ رحلة القرد -
- ٣٠٦ البدوي الذي لم يروجه أحد -

- يوسف الصايغ

- ٣١١ الساعة التي تدق دقات كثيرة
- ٣١٥ اعترافات مالك بن الريب
- ٣٢٨ المعلم

- رشدي العامل

- ٣٣٩ العودة من الغابة
- ٣٤٢ عزف على وتر مقطوع
- ٣٤٩ كلمات لم تبتسم

- سعدي يوسف

- ٣٥٣ مرثية
- ٣٥٦ البحث عن خان أيوب
- ٣٦٠ مريم تأتي

- حسب الشيخ جعفر

- ٣٦٥ الطائر المرمرى
- ٣٦٨ توقيع
- ٣٧٠ زيارة السيدة السومرية

- علي جعفر العلاق

- ٣٧٣ الصديقان
- ٣٧٨ القصيدة المائية
- ٣٨٣ المشي بين أرضين

- الفهرس ٣٩٥

— |

| —

— |

— |